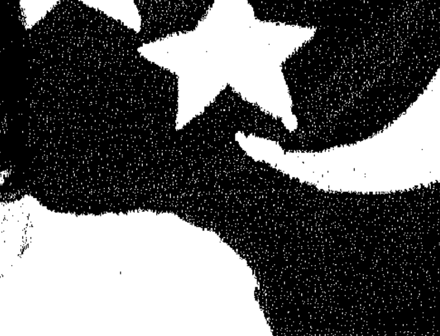
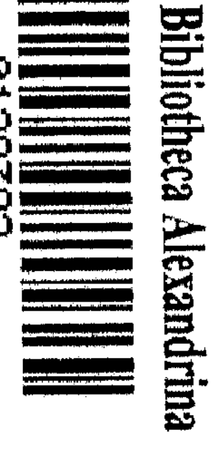
حنفى المحلاوى

الملكة نازلى

بين سجن الحريم وكرسى العرش









الدار المصرية اللبنانية

الملكة نازلي

حنفى المحلاوى

الملكة نازلى



الناشر
الدار المصرية اللبنانية

الناشـــر : الـدار المصريـة اللبنانيـة
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ١٠٨٥٢/ ٩٤
الترقيم الدولى : 5 - 185- 270 - 977
طبـع : عربية للطباعة والنشر
العنوان : ٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

الطبعة الأولى : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م
تصميم الغلاف : عمرو فهمى

مقــدمة

لأننى قررت تأجيل كتابة المقدمة إلى ما بعد الانتهاء من كتابة كل فصول هذا الكتاب . . فقد وجدت صعوبة بالغة فى كتابتها رغم معايشتى الدائمة لكل كلمة . . ولكل حرف من حروف هذه الحكاية .

وها أنا أكتب عن ذلك بصراحة . . رغم أننى لم أجد سبباً يعيننى بينى وبين نفسى على معرفة السبب المباشر لذلك الأمر . . وإن قلت مؤخراً ربما يكون السبب غير المباشر أن حكاية صاحبة هذه الأوراق قد استهوتنى وملكت علىّ الأحاسيس والأهواء والأحبار ! . مما جعلنى فى غمرة هذا الاستهواء أنسى التخطيط لكتابة المقدمة فى حينها . . ولكننى عاودت مرة ثانية القول عن ذات السبب : بأن ما سوف أكتبه عن صاحبة السيرة . . ربما من الممكن أن يمثل فى حد ذاته مقدمة . . تكون فى حاجة إلى استكمال ، على الرغم من أن عدد فصول هذه الحكاية يبلغ ثمانية فصول .

وعلى أية حال . . لقد استراحت النفس للتعليل الأخير على اعتبار أن حكاية امرأة فى مثل جبروت وقوة وذكاء وجمال الملكة نازلى ، من الصعب

أن يكفيها حديث على أوراق فى كتاب واحد . ومع ذلك فلا أنكر أن مكونات شخصيتها وسلوكياتها ودورها فى الحياة السياسية والاجتماعية والعاطفية قد استهوت القلم وراح يلهث وراء تفاصيل حياتها منقباً عن كل ما هو جديد ومثير .

والغريب . . أنه على الرغم من اكتشافنا لضخامة دور هذه الملكة فى تاريخ مصر الحديث، إلا أننا لم نجد المصادر الكافية التى تعين على كتابة هذه الأوراق إلا بصعوبة بالغة . . والغريب أكثر أن معظم هذه المصادر كانت عبارة عن قصاصات . . واحدة هنا والأخرى هناك ! ، ودون العثور على كتاب واحد يتناول حياة الملكة نازلى سياسياً أو عاطفياً. رغم خطورة الدور الذى لعبته فى حياة مصر المعاصرة ، وتأثير ذلك الدور المباشر وغير المباشر على الملكية المصرية بأسرها . بل وعلى بعض الأحداث التى وقعت خارج مصر قبيل رحيلها فى عام ١٩٧٨ .

ولن نعود ونكرر ما سبق وقلناه فى كتابتنا السابقة عن سبب إحجام المؤرخين والصحفيين والكتاب عن تناول سيرة الملكة نازلى . . متعللين فى ذلك بارتباطها بحياة الملك أحمد فؤاد وبابنها الملك فاروق .

وعلى أية حال . . ونحن ننقب فيما أتيح لنا من مصادر تخص حكاية الملكة نازلى عثرنا على معلومات على قدر كبير من الأهمية . . .ربما لا يعرفها الكثير من المتخصصين وغير المتخصصين وعلى وجه الخصوص من فئة الشباب . . رغم أهميتها التاريخية العالية . .

وكان على رأس هذه المعلومات :

●● أن الملكة نازلى كانت أول فتاة من عامة الشعب تدخل إلى القصور الملكية زوجة لسلطان مصر . . وقد فتحت بذلك الباب أمام غيرها من فتيات مصر . حيث لحقها كل من الملكة فريدة والملكة ناريمان .

●● على أن أكثر هذه المعلومات غرابة وطرافة ، وأيضاً سخرية ، أن الملكة نازلى تمتد جذورها التاريخية إلى الدماء الفرنسية والتركية . . ذلك لأن جدها الأكبر هو سليمان باشا الفرنساوى الذى هو فى الوقت نفسه «الكولونيل سيف» الذى أعلن إسلامه وتزوج من امرأة مسلمة بعدما استقر فى مصر بصفة نهائية . . وأن جدها الثانى لأمها هو شريف باشا أبو الدساتير المصرية الحديثة . . والتركى الأصل . . لأنه ابن قاضى عسكر السلطنة العثمانية !

●● وبخلاف ذلك كانت الملكة نازلى أول امرأة مصرية تحافظ على عرش زوجها من بعد رحيله ، وتحاول جهد إمكانياتها تثبيت تولية ابنها فاروق على العرش رغم صغر سنه .

■ ■ ■

هذا فيما يخص الجانب المضىء فى حياة الملكة نازلى . . أما عن الجانب المظلم فى حياة هذه الملكة فحدث ولا حرج . . ولعل مالا يعرف ويجب أن يعرف أن نازلى أم الملك فاروق قد تزوجت بعد رحيل زوجها الأول السلطان أحمد فؤاد انتقاماً منه بعدما سجنها طيلة سبعة عشر عاماً

فى سجن الحريم بقصر القبة . وكان هذا الزوج هو المعلم والداهية السياسى الكبير أحمد حسنين الذى لعب دوراً هاماً فى السياسة المصرية فى الفترة من الحرب العالمية «الأولى» وحتى الحرب العالمية «الثانية» عندما رحل عن عالمنا فى عام ١٩٤٦ قتيلاً فوق كوبرى قصر النيل إثر حادث أليم . . ارتكبه لورى انجليزى كان يقوده سائق إنجليزى مخمور . ولقد تم هذا الزواج وفقا لفرمان ملكى أصدره الملك فاروق لكى يتزوج أحمد حسنين من أمه نازلى زواجاً عرفياً !

ومن بعد رحيل أحمد حسنين . . عادت الملكة نازلى من جديد إلى حياة اللهو والعبث والمجون ، بعدما اختارت الولايات المتحدة الأمريكية مقاماً جديداً لها مع عشيقها الأخير زوج ابنتها رياض غالى .

ولقد تمثلت قمة جنون وعبث هذه الملكة فى قبولها أن تزوج ابنتها الأميرة الصغيرة فتحية من رجل يخالف دينها . على الرغم من تأكيده على إسلامه ! . حيث برهنت الأيام فيما بعد على كذب هذا الادعاء . . وذلك عندما قُتلت فتحية وتم دفنها فى إحدى الكنائس . . بل ولم يمض على رحيل هذه الفتاة سوى عامين حتى لحقت بها الملكة نازلى بعدما ارتدت عن دين الإسلام . وبالتالى دفنت هى الأخرى فى نفس مقبرة ابنتها على غير دين الإسلام ! !

حنفى المحلاوى

حدائق القبة ـ القاهرة

الفصل الأول

حكايات ...
من عصر الحب والثورة

الأحداث التى سوف نسمع صداها حين تصطدم بأرض الواقع . . وربما نشاهد بعض وقائعها . . فوق هذه الأوراق . . ترتبط فى الأساس بشخصية محورية واحدة . . هى الملكة نازلى التى امتد بها العمر لأكثر من ثمانين عاماً . . واقترنت كزوجة ثانية بالسلطان أحمد فؤاد . . وأنجبت له الملك فاروق آخر ملوك مصر فى العصر الحديث وكانت أحد شهود عصرين من أهم عصور الملكية المصرية قبيل رحيلها عام ١٩٥٢ .

وأقول ـ رغم ذلك ـ إلا أننا وفقا لمنهج التاريخ الاجتماعى . . كان علينا أن نعيش ظروف العصر الذى تواجدت فيه الملكة نازلى . . من أجل تقديم صورة متكاملة وبلا رتوش عن حياتها الخاصة والعامة . . والتعرف كذلك على المؤثرات الحقيقية التى أطاحت بكل سلوكياتها العلنية والسرية !

وكما سوف يمر علينا . . فقد لعبت الملكة نازلى ـ وفق ما قاله المؤرخون وإن لم يعلنوا عن ذلك صراحة ـ دوراً حيوياً فى عدة مجالات فى

حياة مصر المعاصرة وكان من أبرز تلك الأدوار التى سلط عليها المؤرخون أضواءهم . . ما قامت به فى المجال السياسى من جهود جبارة للحفاظ على عرش زوجها من بعده حتى يكون من نصيب ابنها الشاب فاروق . . وقد نجحت فى ذلك نجاحاً باهراً . . رغم عدم حنكتها السياسية التى نجمت عن ابتعادها عن العرش وعن مؤامرات القصور قرابة سبعة عشر عاماً . . سجينة فى قصر القبة .

إلا أنه كان هناك بجانب هذا النجاح السياسى الباهر . . نجاحات متعددة فى ميادين حيوية أخرى وكان من أهمها . . ميدان العشق والغرام والحب . . ! وإن كان هذا الميدان قد ارتبط أكثر بحياتها الخاصة وسلوكياتها مع بعض الذين اصطفتهم لنفسها .

وبعد قراءة متأنية لأبرز وأشهر وقائع ذلك العصر الذى عاشته نازلى داخل القصور وابتداء من عام ١٩٢٠ . . وجدنا أن تلك المغامرات والقصص والحكايات العاطفية كانت من مقتضيات ذلك العصر . . بل إن شئت قل . . كانت إحدى سمات هذه الأيام ! . . والغريب أننا قد اكتشفنا فى الوقت نفسه وجود نوع من الترادف بين هذه القصص الغرامية وبين وقائع أول ثورة شعبية مصرية فى العصر الحديث وهى ثورة ١٩١٩ . . بل أكثر من ذلك وجدنا ذلك الترادف يقترب كثيراً من حياة الملكة نازلى نفسها . . لأنه فى الوقت الذى كانت فيه تزف إلى سلطان مصر العجوز أحمد فؤاد . . كانت الثورة مشتعلة فى شوارع القاهرة بل وفى كل أنحاء مصر ! .

وأكثر من ذلك فإن مغامرات الحب والعشق لم تتوقف عند مستوى

معيشة بعينه . . أو اقتصرت على فئة معينة يمكن إهمال الحديث عنها . . بل كانت تلك المغامرات مرتبطة إلى حد بعيد بحياة أشهر الساسة المصريين فى ذلك الوقت . . وكانت أصدؤها كثيراً ما تهز أركان القصور الملكية . .

ولم يكن ذلك غريباً آنذاك . فقد كان رأس الدولة وملكها أكثر هؤلاء الذين ارتبطوا بمثل هذه المغامرات وكذلك أهل سلطانه . . وحاشيته . . بل وزوجته وأولاده .

ونحن لا نعيب على غيرنا إهمالهم هذا الجانب المهم من تاريخ الملكية فى مصر . . لنقص المعلومات المتاحة بسبب الحصار الذى كان مضروباً حول أخص العلاقات الغرامية فى عالم السياسة والمشتغلين بها . . وأيضاً بسبب تلك اللعنة التى أصابت الملكية المصرية الحديثة وكل من ارتبطوا بها من الرجال أو من النساء . .

لذلك سوف يصاحب الملكة نازلى عبر حياة الحب والعشق والغرام إلى حين . . مجموعة من الكوكبة السياسية المصرية آنذاك . . وسرد حكاياتهم فى عالم العشق والحب والغرام . . سوف ينقل إلينا صورة صادقة عن سمات ذلك العصر الذى عاشته الملكة نازلى . . والذى كان من أبرزها مغامرات الحب والغضب أو الحب والثورة . .

وإذا كنا قد استطعنا أن نحدد الفئة التى عاشت فى عالم الحب والغرام والعشق . . وكانوا كما أسلفنا الملك وحاشيته ومجموعة من أبرز السياسيين . . فإننا كذلك استطعنا أن نحدد الفئة التى ارتبطت

بالغضب والثورة . . وكانت كل الشعب المصرى . . الذى كان يحلم فى ذلك الوقت بالاستقلال والدستور .

وإذا كنا سنعيش سويا أهم وقائع وأحداث عصر الحب . . فكان لزاماً علينا كذلك وفقاً للأمانة فى السرد والتصوير أن نعيش ولو للحظات مع أهم إرهاصات الثورة . . ذلك لأن صاحبة هذه الحكاية قد ارتبطت كذلك بهاتين الصفتين . . وإن إرتبطت أكثر بالصفة الأولى . . صفة الحب والغرام . . وكذلك لم تبتعد عن صفة الثورة !

ومثل الحديث عن أى ظاهرة يراد دراستها . . أو مناقشة جوانبها المعلنة أو الخفية . . فكان من الضرورى تحديد زمن هذه الظاهرة وأطرافها الذين كانوا يحركونها . . فمن حيث الزمن . . نقول لقد انحصرت ما بين أعوام ١٩١٩ . . و١٩٤٧ . . مع أن عام ١٩٣٦ كان يمثل قمة الارتباط بتلك الظاهرة . . لأنه العام الذى رحل فيه الملك فؤاد . . والذى شهد خروج الملكة نازلى من سجنها الطويل الذى استمر قرابة سبعة عشر عاماً خلف جدران قصر القبة .

وإذا كان عام ١٩١٩ . . هو عام الثورة الشعبية التى اجتاحت كل الشعب المصرى . . فإن عام ١٩٣٦ كان أيضاً هو عام العشق والحب والغرام . إذ أعطت الملكة نازلى إشارة البدء لحياة جديدة لم تقتصر على محيطها الخاص . . وإنما دعت فى علانية غير مسبوقة كل من كانوا حولها لتقليدها واللحاق بها فى سباق المغامرات العاطفية .

وأول من استجاب لدعوة الملكة نازلى . . وبادر بحجز مكان فى عالم

الحب والعشق والغرام . . كان هو إسماعيل باشا صدقى الرجل السياسى الداهية الذى شهدت مصر فى فترة حكمه العديد من الانتكاسات السياسية الخطيرة . وتقول السطور المدونة فى أوراقه الخاصة عن حياته . . أنه ولد فى عام ١٨٧٥ . . وأن والده يدعى أحمد شكرى باشا . . من كبار رجال الدولة فى عهد كل من الخديوى إسماعيل وابنه توفيق .

وتعلم إسماعيل صدقى بمدرسة «الفرير» . . ثم التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية وتخرج منها . . وقد اشتغل فى بداية حياته كاتبا فى النيابة ثم مساعداً فى مدينة إيتاى البارود والمحلة الكبرى وطنطا . . ثم تمت ترقيته رئيساً للنيابة العسكرية . . وعمل صدقى باشا بعد ذلك فى مجلس مدينة الاسكندرية مسقط رأسه وموطن عائلته حتى أصبح سكرتيراً للبلدية . . وفى عام ١٩٠٨ تولى منصب سكرتير عام وزارة الداخلية . . ثم أصبح وكيلاً لها فى عام ١٩١٠ .

وتم اختيار إسماعيل صدقى بعد ذلك ناظراً للزراعة عام ١٩١٤ ثم تولى رئاسة الوزارة لأول مرة عام ١٩٣٠ وقد تولاها أكثر من مرة [(١)] وكان من أوائل الذين انضموا إلى سعد زغلول فى ثورة ١٩١٩ . . ثم أصبح عضواً فى الوفد المصرى . . وقد كتب بأسلوبه القوى أول احتجاج . . ضد الاحتلال الانجليزى ثم اختلف مع سعد زغلول وهما فى باريس فتم فصله هناك من عضوية الوفد .

---

(١) أسرار مجلس الوزراء ـ كامل مرسى .

وعندما عاد صدقى باشا إلى مصر فوجىء بأن الشعب كله قد اعتبره وفقاً لقرار سعد زغلول منبوذاً . . وكأنها كان قرار سعد زغلول أشبه بقرار الحرمان الذى يصدره البابوات! . الناس ترفض أن تصافحه ، وتأبى أن تنصت إليه . . والشعب كله بدأ يعامله فعلاً كرجل منبوذ أو مطرود حيث أغلقت مصر أبوابها كلها فى وجهه على حد تعبير مصطفى أمين .

ومنذ تلك اللحظة بدأ الانفصال الشبكى بينه وبين الشعب المصرى لذلك عندما تولى رئاسة الوزارة لأول مرة عام ١٩٣٠ . . وضع برنامجه الخاص بإلغاء البرلمان ثم من بعده ألغى الدستور ! .

هذا عن تاريخ الرجل السياسى . . أما عن غرامياته فكانت كثيرة ومتنوعة ويكفى تدليلاً على أهميتها . . هذه الكلمات الساخنة التى كتبها مصطفى أمين :

« هذا الرجل الذى جاوز الستين يتحول إلى ابن الثلاثين أمام كل امرأة جميلة . ويتحول إلى ابن العشرين أمام المرأة التى يحبها ! . ذلك الطاغية الجبار تلمسه عصا سحرية وتخلق منه « دون جوان » .

الشفاه القاسية التى تصدر الأوامر بإطلاق الرصاص وبالسجن والاعتقال . . هذه الشفاة تصبح ناعمة ، تلقى عبارات الغزل التى يعجز عنها أعظم الشعراء .

كان صدقى أستاذاً فى الاقتصاد . . ولكنه كان أستاذاً أكبر فى الهوى والغرام . . له قدرة عجيبة على سحر النساء . . الكلمة التى يقولها للمرأة تطرب لها كأنها أغنية . . كان يجد لذة عجيبة فى أن يتباهى

بعضلاته فى عالم الهوى ، فلا ينتزع المرأة إلا من زوج شاب يصغره بثلاثين عاماً . . أو من شاب جميل الصورة مشهور بأنه فاتن النساء . .[٢].

والغريب أن هذا العجوز المتصابى كانت أغلب مغامراته فى عالم الحريم مع نساء غير مصريات . . فقد كان لايعرف كيف يحب باللغة العربية . . حيث كان غزله دائماً باللغة الفرنسية التى كان يجيدها وكأنه عضو فى مجمع الخالدين بباريس .

ولعل الجو الأجنبى الذى كان يعيش فيه هو الذى جعله يتجه هذا الاتجاه ، أو أنه اختار أن تكون مغامراته فى الأوساط الأجنبية حتى لا تصل أخباره إلى زوجته التى كان دائماً يحسب لها ألف حساب ! .

وأشهر غراميات هذا العجوز . . والتى طوقت الآفاق داخل مصر . . كانت مع امرأة تعيش فى مدينة الاسكندرية . . لبنانية الأصل . . وقد أطلقوا عليها اسم « الكونتس الحسناء » . . ومما يردده البعض كدليل على عمق تلك العلاقة أن صدقى باشا قد أمر بإنشاء كورنيش الاسكندرية من أجل عيون تلك الحسناء .

لقد كانت امرأة جميلة وفاتنة . . وكان يغار عليها كثيراً . . ويخشى أن تتركه لو أقيل من رئاسة الوزارة . . خاصة وأنه قد سمع من هذه الحسناء فى العديد من المرات أنها تسهر دائما مع شلة من الأصدقاء . . وهو يعرف أن على رأس هؤلاء كل من « مسيو إميل ميرييل » رئيس مجلس

---

(٢) سنة أولى حب ـ مصطفى أمين .

إدارة البنك العقارى والمليونير « سلفاجو » . . و « البارون إمبان» ومسيو « موصيرى » صاحب بنك موصيرى . .

ويروى لنا مصطفى أمين حكاية غريبة عن غراميات إسماعيل صدقى رئيس الوزراء . . مستنداً فيها على وقائع عايشها بنفسه لما كانت بينهما من علاقات . . وصفها مصطفى أمين بأنها كانت علاقات عائلية .

ونفاصيل تلك الحكاية تقول : لقد حدث أننى [أى مصطفى أمين] علمت . بحكم المصادفة أن صدقى باشا تزوج سراً من فتاة فى العشرين من عمرها . . وهى الآنسة « سونيا » كريمة « خليل شاهين بك » . ذلك أن مراسلنا فى القدس الذى أثق به أرسل إلىّ خبر وصول حرم صدقى باشا إلى فلسطين .

ونشرت الخبر . . وإذا بأولاد صدقى باشا يتصلون بى ويقولون إن النبأ غير صحيح . . لأن السيدة والدتهم موجودة فى مصر ولم تسافر إلى فلسطين [٣].

وبحثت ـ والكلام لايزال لمصطفى أمين ـ فعلمت أن السيدة الموجودة فى فلسطين هى حرم صدقى باشا الأخرى . . وقد تزوجها سراً ! . وأنه لم يشأ إعلان هذا الزواج حرصاعلى عواطف زوجته الأولى . . ولم أرد أن أخبر أولاد صدقى باشا بما علمت ، واعتذرت لهم آسفا لجهل مراسلنا فى القدس .

---

(٣) شخصيات لا تنسى ـ مصطفى أمين ـ أخبار اليوم فى ٢٨ / ١١ / ١٩٨٧

وعندما تولى صدقى باشا الوزارة عام ١٩٤٦ لآخر مرة أيام حكم الملك فاروق تنبه أصدقاؤه إلى خطورة وجود زوجته الثانية فى مصر ، ومن الممكن أن يستغل خصومه هذا الزواج لمهاجمته . . واقتنع صدقى باشا وطلب إلى زوجته الجديدة أن تسافر إلى أوروبا . . وبقيت فى الخارج المدة التى ظل فيها رئيساً للوزراء .

ثم توفيت زوجته الأولى ـ وكان لا يزال رئيس الوزارة ـ وعلمت من صدقى أنه ينوى الإعلان عن زوجته الجديدة . . وأنه سيدعوها إلى الإقامة معه فى داره بالزيتون .

وفى جزء آخر من هذه الرواية يقول مصطفى أمين : وبعد وفاة صدقى باشا بفترة زارنى «خليل بك شاهين» والد زوجة صدقى باشا فى مكتبى . . وانتهزت فرصة لقائنا وسألته كيف تزوجت ابنته الشابة من صدقى باشا الذى تجاوز السبعين . وقال لى : لأنها تحبه !! . ولسوف تحكى لك هذه القصة ابنتى «سونيا» ودعانى للقاء ابنته زوجة رئيس الوزراء الراحل فى بيته بعمارة «ليبون» بالزمالك . .

وذهبت إلى هناك فى الموعد المحدد . . وانتظرت فترة فى الصالون . . ثم دخلت فتاة شقراء ممشوقة القوام . . لها عينان جميلتان . . ارتدت ثوباً أسود وعلى شفتيها ابتسامة جميلة . . وجلست فى مقعد أمامى وفاجأتنى بقولها :

ـ أنا عرفت أنك عارضت فى إعلان زواجى من صدقى باشا . . فبعد خروجك من غرفة صدقى باشا فى بيته بالزيتون نادانى من الغرفة المجاورة وقص على كل الحديث الذى جرى بينكما .

قلت لها : إننى أبديت رأيا سياسيا ولم أقصد شخصك . .

قالت : أنت حدثته عن الفرق فى السن . . صحيح إنه كان بين عمره وعمرى حوالى أربعين عاماً . . وقد تدهش أننى لم أشعر بهذا الفرق فى السن فى يوم من الأيام . . كان هذا الرجل العجيب يشعرنى دائماً أنه فى مثل سنى !! . ولا أستطيع أن أقول لك أنه أحبنى من أول نظرة ، ولكنى أعترف أنه أسرنى من أول كلمة، وطلب منى أن أكتم العلاقة التى بيننا ، ولم أستطع أن أكتمها عن أبى وأخبرته أننى أحب صدقى باشا . . وحاول أن ينصحى بأنها مغامرة . . وأن صدقى لا يلبث أن يحب فتاة أخرى . . ولكن كنت أؤمن أن صدقى باشا كان صادقا عندما قال لى إنه سيحبنى إلى أن يموت . .

وبعد ذلك قرر أن يتزوجنى . . وقال إنه لا يستطيع أن يطلق زوجته أم أولاده ، وأنه لا يستطيع أن يغضبها إذا عرفت أنه تزوجنى . . واحترمت رغبته ورضيت أن أكون زوجته فى الخفاء سنوات طويلة . واستمر زواجنا السرى حوالى عشر سنوات . . وعندما ماتت زوجته الأولى اعتقدت أن أبواب السماء فتحت لى . . ثم مرض ولزم الفراش . . واستقال من الوزارة . . ثم مات . . وشعرت أننى دفنت معه فى قبر واحد .

وبكت السيدة «سونيا» وقلت لها مواسيا : أنت لازلت شابة وأمامك المستقبل تبدئين حياة جديدة . . وقالت غاضبة : حياة جديدة ؟ لا توجد حياة جديدة بعد إسماعيل صدقى إننى لن أتزوج مدى حياتى إننى أقسمت له على ذلك .

ولم أصدقها . ولكنها برت بوعدها . . مات إسماعيل صدقى . . وبقيت ثلاثين عاماً ترفض الزواج . .

• • •

وصاحب الحكاية الثانية ، فى سجل غراميات رجال الدولة والساسة والحاشية فى عصر الحب والثورة . هو محمد توفيق نسيم باشا . . رئيس وزراء مصر . . الذى قال عنه التاريخ فى سجل الحياة السياسية المصرية : لقد تولى الوزارة لأول مرة عام ١٩٢٠ ثم عام ١٩٢٣ مرة ثانية وأخيراً عام ١٩٣٦ .

وتوفيق نسيم باشا . . اسم الشهرة ، وهو ينتمى فى الأصل لأسرة تركية موطنها فى الأناضول وتعلم فى مصر وتخرج فيها من مدرسة الحقوق . وقد عين فى بداية حياته العملية فى النيابة . . ومن بعدها تقلد عدة مناصب وعدة وظائف حتى تولى وزارة الأوقاف فى الوزارة السعيدية الثانية ومن بعدها تولى وزارة الداخلية فى وزارة يوسف وهبه . . مما مهد له الطريق لرياسة الوزارة (٤).

أما تفاصيل حكايته الغرامية فنبدأها بما سجله محمد التابعى فى أوراقه الخاصة . . حين قال : « غادرت باريس فى أول شهر يوليو عام ١٩٣٧ إلى «فيشى» مدينة المياه المعدنية المشهورة . . لا بقصد الشفاء ولا الاستشفاء ، وإنما لموافاة جريدة المصرى ـ وكنت يومئذ أحد أصحابها ـ بوصف رحلة صاحب الجلالة الملك وكان صاحب الجلالة وصاحبة

(٤) أسرار مجلس الوزراء ـ مصدر سابق .

الجلالة الملكة نازلى وصاحبات السمو الأميرات أفراد الحاشية قد غادروا باريس فى ذلك اليوم إلى «فيشى» ليمضوا فيها نحو ثلاثة أسابيع قبل أن يستقلوا الباخرة «النيل » عائدين إلى مصر بعد رحلة دامت حوالى خمسة أشهر .

ولكننى لم أبق فى «فيشى» سوى يومين اثنين أديت فيهما مهمتى الصحفية ثم قررت أن أسافر إلى «فيينا» وأمضى فيها عشرة أيام . . ولما سألنى أصدقائى من أفراد الحاشية الملكية عن سبب هذه الرحلة المفاجئة . . قلت لهم : توفيق نسيم . . أريد أن أتحرى التفاصيل وأبعث مقالاً بها إلى «المصرى» . . وكانت الأخبار قد جاءتنا أن المغفور له توفيق نسيم باشا قد أحب فتاة نمسوية من عامة الشعب وأنه ينوى الاقتران بها [٥] .

وللبحث عن المزيد من التفاصيل عن تلك المغامرة العاطفية عثرنا على خبر منشور فى مجلة آخر ساعة الصادرة فى عام ١٩٣٧ . . وقد جاء فيه :

كان «توفيق نسيم باشا » قد أعلن خطبته على آنسة نمساوية فى عمر أحفاده . . وقد تحدثت الصحف بهذه المناسبة عن ثروة «نسيم باشا» وأمواله المودعة فى البنوك . وقد عارضت آخر ساعة أى إجراءات يمكن أن تتخذ ضده أو ضد الآنسة التى أعلن عن خطبتها له . واسمها «ماريا هوبنر» وسرعان ما عدل «نسيم باشا » عن الخطبة . . وأكدت آخر ساعة أن السراى كانت ستقف موقف الحياد إزاء أية إجراءات

---

(٥) نساء فى حياتى ـ محمد التابعى

قضائية يمكن اتخاذها ضد «توفيق نسيم» . . ومن بينها سحب قلادة فؤاد الأول التى تعطيه لقب صاحب المقام الرفيع .

كما استطعنا فى هذا السياق الحصول كذلك على قصة نلك المغامرة العاطفية الغريبة وبتفاصيلها الدقيقة كما كتبها مصطفى أمين ونشر جزءاً كبيراً منها .

« صدرت جريدة الأهرام ، وفى صفحتها الأولى صورة فتاة جميلة عمرها ١٧ سنة . . ابنة صاحب فندق فى مدينة «فيينا» . . وقالت الأهرام إن صاحب المقام الرفيع «محمد توفيق نسيم» باشا رئيس الوزراء السابق خطبها وقرر الزواج منها ! .

وقامت ضجة فى الرأى العام المصرى ، لأن توفيق نسيم رجل تولى رئاسة الوزارة ثلاث مرات ، ورشحه الملك فؤاد عضواً فى مجلس الوصاية بعد وفاته ، كما أن الحكومة رشحته ليكون رئيس الديوان الملكى عندما يتولى الملك فاروق سلطاته الدستورية بعد أن يبلغ سن السابعة عشرة من عمره .

ولكن الاعتراض الأكبر أن نسيم باشا كان عمره سبعة وستون عاماً والعروس كان عمرها ١٧ سنة كما تقول الأهرام . .

وهذه المغامرة العاطفية كان قد اكتشفها فى ذلك الوقت «جبرائيل تقلا» صاحب جريدة الأهرام . . وذكر أنه فى أثناء رحلته الصيفية ذهب إلى النمسا ، وأقام فى فندق فى مدينة فيينا ، ولما عرف صاحب الفندق

أنه مصرى قال له : « إن ابنتى «مارى» أحبها باشا مصرى كان مقيما فى الفندق وطلب أن يتزوج منها ، وأنه رحب بهذا الزواج . .

وسأله «جبرائيل تقلا» عن اسم هذا الباشا فقال له صاحب الفندق إنه «توفيق نسيم» باشا رئيس وزراء مصر السابق . وذهل صاحب الأهرام ورفض أن يصدق ، فأطلعه صاحب الفندق على سجل المقيمين فى الفندق ورأى اسم «توفيق نسيم» . . كما أطلعه صاحب الفندق أيضاً على صورة فوتوغرافية له مع «نسيم باشا» وابنته «مارى» وأم الفتاة . وأراد صاحب الأهرام أن يأخذ هذه الصورة ولكن صاحب الفندق رفض وعرض عليه أن يعطيه صورة أخرى . . وفعلاً أعطاه صورة الآنسة «مارى هوبنر» التى نشرت فى الصفحة الأولى من جريدة الأهرام .

ويضيف مصطفى أمين أيضاً : « وكنت فى تلك الأيام قد عدت من الولايات المتحدة الأمريكية لأتولى رياسة تحرير مجلة آخر ساعة فى أثناء غياب الأستاذ محمد التابعى فى أوروبا طوال أشهر الصيف وفكرت فى أن أسافر إلى فيينا لأقابل نسيم باشا وأحصل منه على خبطة صحفية . . فقد كانت شقيقته زوجة فتحى زغلول باشا شقيق الزعيم سعد زغلول»[٦] .

وقبل أن أنهى إجراءات السفر وصل « توفيق نسيم باشا» إلى القاهرة عائداً من أوروبا وذهبت إلى بيته فى الحلمية الجديدة ، وطلبت مقابلته رغم أنه امتنع عن مقابلة أى صحفى وأنه يرفض أن تخوض الصحف فى حكاية زواجه لأنها مسألة شخصية .

---

(٦) شخصيات لا تنسى ـ مصدر سابق

وقلت له : ولكن البعض يعترض لأن الفرق فى السن هو خمسون سنة . . قال «نسيم باشا» محتداً . . هذا غير صحيح . . إن عمرها ليس ١٧ سنة . كما قالت الأهرام . . عمرها ٢٢ سنة . . والفرق بين عمرى وعمرها خمس وأربعون سنة فقط . . وأنا لست أول رجل فى مصر يتزوج فتاة أصغر منه سناً . .

إن النحاس باشا رئيس الوزراء تزوج وعمره خمسة وخمسون عاماً وعروسه كان عمرها عشرين سنة ! . والسير «مايلز لامبسون» السفير البريطانى تزوج وعمره حوالى الستين وعروسه أصغر منه بأربعين سنة »!!

قلت : إنهم يقولون إن حكومة النحاس باشا ترشحك الآن رئيساً للديوان الملكى ويعتقدون أن زواجك من فتاة صغيرة قد يحول دون تعيينك فى هذا المنصب . قال : أنا لا أريد هذا المنصب الكبير ، ولم أطلب من أحد أن يرشحنى له . . وإذا كان الملك «إدوارد الثامن» تنازل عن العرش من أجل المرأة التى أحبها ، فمن حقى أن أتنازل عن منصب رئيس الديوان من أجل المرأة التى أحبها ! . وعلى كل فاعلم أن رئيس الوزراء النحاس باشا أرسل لى برقية يهنئنى فيها بهذا الزواج بعد أن قرأ النبأ فى جريدة الأهرام .

وأصبح غرام « توفيق نسيم» باشا بالفتاة النمساوية الصغيرة حديث مصر كلها . . كما كان الموضوع الرئيسى فى الصحف . . وقامت حملة عنيفة من سيدات مصر ، وأرسلت الجمعيات النسائية برقيات إلى «نسيم باشا» تحتج على هذا الزواج .

وقال نسيم باشا إن «واصف غالى» باشا وزير الخارجية فى تلك الأيام تزوج من سيدة فرنسية ، وأن أمين عثمان باشا وكيل وزارة المالية متزوج من سيدة إنجليزية .

ولم يتزحزح «توفيق نسيم» عن إصراره على أن يتزوج من الفتاة التى يحبها متحدياً الملايين . . لذلك أرسل يدعوها للحضور إلى القاهرة . . وفى يوم ٩ سبتمبر عام ١٩٣٧ وصل إلى مصر «مسيو هوبنر» صاحب فندق «إمبريال» فى فيينا ومعه زوجته «مدام هوبنر» ولم تحضر الآنسة «مارى هوبنر» . . وسأل نسيم باشا أين العروس ؟! قال الأب إنها سافرت إلى انجلترا لشراء فستان الفرح . . ولكنه جاء قبلها ليعرف ماذا ينوى نسيم باشا أن يكتبه باسم العروس ؟! . ثم جاءت الفتاة يوم ٢٠ سبتمبر وبصحبتها أحد المحامين للاطلاع على ما سوف يخصصه «نسيم باشا» من أمواله لها . . وجرت بين المحامى وبين توفيق نسيم باشا عدة مفاوضات تدخل فيها صديقه أحمد نجيب الهلالى باشا . . الذى اكتشف أن الأمر ليس زواجاً ولكنه صفقة تجارية . . وتسربت أنباء هذه المفاوضات إلى الناس فاشتد غضبهم .

ودعا « إسماعيل صدقى » عدداً من رؤساء الوزراء السابقين إلى الاجتماع فى بيته لإنقاذ «نسيم باشا» من هذه الورطة وطلبوا من المحامى الكبير توفيق دوس باشا أن يرفع قضية حجر على نسيم باشا ومنعه من التصرف فى أمواله . . وقالوا إنهم اكتشفوا أن العروس ووالديها ومحاميها هم عصابة من المحتالين . وفعلاً قرر المجلس الحسبى التحفظ على

أملاكه . . إلا أنه قدم تقريراً طبياً أثبت فيه أنه عاقل وأنه قادر على الزواج . . مما جعل قاضى المجلس يرفض الحجر عليه .

ويختتم مصطفى أمين هذه الحكاية الغريبة بقوله : وعندما أصدر القاضى قراره بأنه نسيم باشا عاقل ورفض طلب الحجر عليه قرر فسخ الخطبة . . ودفع عشرة آلاف جنيه تعويضاً للعروس .

● ● ●

أما صاحب الحكاية الغرامية الأخيرة فى سجل العشاق من السياسيين فكان مصطفى النحاس الذى عاش هو الآخر قصة حب عنيفة . . ولكنها لم تكتمل بسبب تدخل رجاله فى حزب الوفد الذين اضطروا تحت تأثير الضغط الشعبى أن يقفوا بقوة أمام تحقيق رغبته فى إتمام قصة حبه بالزواج ممن كان يحبها . ولكن من تكون صاحبة هذه الحكاية ؟! وكيف بدأت ، وإلى أى مدى انتهت . . هذا ما سوف نعرفه من التفاصيل التالية :

تقول الأوراق التى قذف بها التاريخ فى جوف الأرشيف أن بطلة هذه القصة سيدة تدعى «سميحة شريف» . . وكانت تقيم فى مدينة الإسكندرية وكانت مطلقة . .

وقد عرفت النحاس باشا قبل أن يصبح زعيم الأمة ورئيس الوفد ورئيس الوزراء . . لقد عرفته عام ١٩٢٧ ، حين كان وكيلا لمجلس النواب ومحاميا مشهوراً . وكانت لها قضية مع طليقها « عبد السلام بك

عباس» . [٧] واختار طليقها أكبر المحامين فى تلك الفترة ليكون وكيلاً عنه وهو «إبراهيم بك الهلباوى» . . وأرادت «سميحة شريف» أن تقف فى مواجهة زوجها وفى مواجهة هذا المحامى الكبير ، فبحثت عن محام كبير يقف أمام محامى زوجها فأشارت عليها إحدى صديقاتها بأن توكل النحاس باشا لأنه أنزه محام فى البلاد .

وذهبت «سميحة هانم» فعلاً إلى مكتب النحاس باشا ، فاهتم بقضيتها الصغيرة . . وهو الذى لا يقبل إلا القضايا الكبيرة . . وترددت عليه عدة مرات . . فأعجبت ببساطته وصراحته ، وفتنت باستقامته ونزاهته . . ورأت فيه صورة مختلفة عن زوجها .

ولم يكن مصطفى النحاس جميلاً على حد قول مصطفى أمين . . ولكن سميحة فتنت بروحه . . فأحبها وأحبته . . وكانت تتصور أنه سوف يتزوجها . . مع أنه لم يعدها مرة واحدة بأنه يريد أن يتزوجها .

وسافر مصطفى النحاس إلى أوروبا فى صيف عام ١٩٢٧ للعلاج . . وتوقعت «سميحة شريف» أنه سوف يتزوجها بعد عودته . . وإذا بالزعيم سعد زغلول يموت أثناء هذه الرحلة ، وإذا بالوفد يجتمع وينتخب مصطفى النحاس رئيسا للوفد وخليفة لسعد . وقال لها مصطفى باشا إنه عارض فى قبول هذا الاختيار ولكن زملاءه ألحوا عليه ، واضطر أن يقبل لأن واجبه الوطنى يحتم عليه التضحية .

ومنذ انشغاله بالسياسة ودخوله الوزارة لم تعد تراه إلا ساعة واحدة كل

---

(٧) سنة أولى حب ـ مصدر سابق .

يوم خميس من كل أسبوع . ولكن سرعان ما تغيرت الأحداث فى حياتها . . فبعد أن انفصلت عن زوجها بفضل نجاح مصطفى النحاس كمحام . . حاول هذا الزوج أن يعيدها إليه من جديد مستعينا بضغوط إخوتها . . ولم تستطع «سميحة » أن تقول لأشقائها إنها تحب رجلاً . . وإن هذا الرجل مشغول بحب آخر ، ولايستطيع أن يتزوج منها فى الوقت الحاضر، ولو أنهم عرفوا أن هذا الرجل الذى تحبه هو زعيم الأمة لهتفوا بسقوطه على حد قول مصطفى أمين !! .

لقد كانت تتعمد أن تخفى على أشقائها رحلتها الأسبوعية من الإسكندرية إلى القاهرة كى ترى مصطفى النحاس . وقد مضى عليها أربع سنوات وهى تكذب كذبة واحدة كل يوم خميس لتخرس أَلْسِنَةَ من حولها . . حيث كانت تلتقى فى هذا الموعد وفى عوامتها الخاصة بالحبيب العجوز . . وكانت هذه المقابلة ذات طعم خاص إذ طلب منها النحاس باشا لأول مرة منذ أن عرفته من أربع سنوات أن تتزوجه . .

ويقول راوى التاريخ : إن أخبار هذه العلاقة قد وصلت إلى معارضى مصطفى النحاس . . وأنهم أرادوا أن يدبروا له فضيحة . . فيضبطوه متلبساً مع هذه العشيقة فى عوامتها الموجودة أمام النادى الأهلى . . وقد وضعوا له خطة محكمة لتنفيذ هذا العمل الخطير . . كما أعدت التقارير الأمنية التى رفعوها للملك فؤاد واتهموا فيها هذه السيدة بالعديد من الصفات غير الحميدة .

وجاء فى بعض فقرات تلك التقارير أن هذه السيدة تقيم فى شارع «سان استفانو» رقم ٤١ رمل الاسكندرية . . وكانت متزوجة من «عبد

السلام عباس» بك الثرى المعروف . . وقد انفصلت عنه بسبب سوء سمعته ومغامراته المتعددة مع الراقصات والممثلات . . وهى تبلغ من العمر ٣١ سنة . . طويلة القامة . . جميلة التقاطيع ، ومعروفة فى الحى بحسن السمعة ، ولا تخرج من بيتها إلا نادراً لزيارة أقاربها وأشقائها . وهى تملك عوامة أمام النادى الأهلى ، ولا تستقبل فيها أحداً سوى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا .

والمعروف أنه صديق أسرتها . . وعندما يجىء إلى الإسكندرية فى الصيف يزورها فى بيتها بوجود أشقائها ، وهى عموما فوق مستوى الشبهات .

ليس هذا فقط . . بل إن قصة غرام النحاس باشا وسميحة شريف . . قد انتقلت من صفوف المعارضة إلى صفوف المؤيدين داخل حزب الوفد . . فحاولوا الضغط عليه ومنعه من إتمام زواجه من هذه السيدة . . بل وتدخلوا لمنعه من الذهاب إليها فى الموعد الأسبوعى وذلك كله لكى يفسدوا ترتيبات الحكومة التى أعدتها لضبطه متلبساً ! . وفعلاً نجحوا فى تحقيق الهدف الأول . . فلم يذهب النحاس باشا إلى عوامتها كالمعتاد . . ولكنه بعد ذلك توجه إلى منزلها بالإسكندرية يطلب زواجها من أسرتها ومن أخيها القاضى «شريف بك» . .

وانتشر نبأ الخطبة . . ونزل النبأ على الملك فؤاد وحاشيته كالصاعقة . . ولم يهدأ رجال الوفد . . فذهبوا إلى صفية زغلول من أجل أن تتدخل لدى النحاس باشا كى تثنيه عن هذا الزواج . . وكانت وقتئذ فى السبعين

من عمرها . . ولما فشلت هذه الخطوة فكر بعض أعضاء الحزب اغتيال زعيم الأمة كآخر حل لهذه القضية . .

وأيضاً لم تلق هذه الدعوة أية استجابة من بقية أعضاء الحزب . . ومرت الأيام . . وجاء موعد عقد القران . . حيث زينت أسرة سميحة شريف بيتها فى شارع مصطفى عبادى فى حى محرم بك بالإسكندرية بالأنوار الكهربائية الساطعة . . وتم فرش الأرض والفناء الخارجى والرصيف بالرمل الأصفر .

وفى آخر لحظة ذهب أحد أقطاب الوفد إلى منزلها قبل عقد القران بساعات . . كى يخبرها أن لديه رسالة هامة من الزعيم مصطفى النحاس وأنه يبلغها بأسفه الشديد لأنه مضطر إلى فسخ الخطبة ! .

والغريب وكما يقول مصطفى أمين أن مصر كلها عاشت هذه الأيام سعيدة بفسخ خطبة الزعيم للمرأة المطلقة حتى الذين يحبون ويعشقون . . حتى المطلقات ! . وقد اعتبروا هذا العمل من جانب مصطفى النحاس إحدى تضحياته الوطنية .

وبعد أحداث هذه القصة بأكثر من خمس سنوات . . تزوج مصطفى النحاس من زينب الوكيل . . وكان وقتها يبلغ من العمر الخامسة والخمسين لأن تاريخ عقد قرانه على هذه السيدة . . كان فى ١٢ يونية عام ١٩٣٤ . . وذلك فى منزل والدها عبد الواحد باشا الوكيل بحى حدائق القبة . . . وكان فارق السن بينها وبين مصطفى النحاس كبيراً أيضاً . .

وكانت هذه نماذج لبعض حكايات الحب والغرام فى مصر المحروسة .. فى الفترة السابق الحديث عنها .. وكان القصد من روايتها كما أسلفنا هو إلقاء الضوء على بعض ملامح العصر الذى عاشته الملكة نازلى .. وهذا لا يعنى أن تلك الفترة بعينها كانت قاصرة على حكايات هؤلاء الساسة من الزعماء ورجال الأحزاب .. بل بالعكس كان المجال متسعاً للعشرات من هذه الحكايات .. ولمن يريد المزيد فعليه أن ينقب بصبر وأمانةفى الأوراق القديمة .. وما نحب أن نؤكد عليه فى هذا السياق أننا سنسوق المزيد منها وذلك حين نتحدث بالتفصيل بدءاً من الفصل القادم عن الملكة نازلى وحياتها العاطفية والسياسية .

وإذا كانت تلك النماذج من مشاهد الحب والغرام والمغامرات .. قد ارتبطت بشكل مباشر بحياة هؤلاء الساسة المصريين .. وكانت من أولى سمات العصر الذى عاشته الملكة نازلى .. فإنه بجانب ذلك كانت توجد سمة أخرى لا تقل أهمية عن السابقة .. وإن احتلت المرتبة الثانية من اهتمام الطبقة الحاكمة من الساسة ورجال القصر وحاشية الملك وأسرته . وهى سمة الغضب أو الثورة .. ولقد سبق لنا الإشارة إلى وجود نوع من الارتباط بين حياة الملكة نازلى وبين أحداث ثورة ١٩١٩ .. بل وأحداث ثورة يوليو أيضاً ! .

ويكفى أن نذكر فى هذا المقام .. أنه فى الوقت الذى كانت فيه كل طبقات الشعب المصرى تقف ضد الانجليز .. معلنة العصيان والثورة .. كانت الآنسة نازلى عبد الرحيم صبرى فى طريقها لتزف إلى السلطان العجوز أحمد فؤاد !. بل أكثر من ذلك فإن سلوك زوجها السلطان

وتعاونه السافر مع قوات الاحتلال كان أحد أسباب اشتعال تلك الثورة! . مما اضطره إلى تكتم خبر هذا الزواج . . بل واضطراره لأن يقيم أفراح عرسه على الآنسة نازلى فى سرية وكتمان ! .

ومما يؤكد على علاقة الملكة كذلك بالثورة . . أنها قد تربت فى أحضان بيت الأمة . . وتحت رعاية السيدة صفية زغلول بعد رحيل والدتها . . بل كانت قاب قوسين أو أدنى من الدخول رسميا فى معية سعد زغلول زعيم هذه الثورة . . إذا ما كانت قد وافقت على الاقتران بابن أخيه الشاب الوسيم سعيد زغلول .

وكما عشنا من قبل لحظات مع بعض حكايات الحب فى مصر المحروسة كان لزاماً علينا أن نعيش نفس اللحظات مع أحداث الثورة . . مع الفارق فى الأشخاص وفى التوقيت وأيضاً فى التفاصيل . .

وتقول السطور المدونة بحروف من نور عن بدايات أحداث ثورة عام ١٩١٩ :

إنه فى نهاية الحرب العالمية الأولى . . وفى نوفمبر عام ١٩١٨ . . رأى ذوو الخبرة السياسية فى مصر وقتذاك . . ضرورة التفكير فى طريق ما يجب السير فيه لرفع اسم مصر وتمثيلها فى مؤتمر الصلح الذى كان مقرراً عقده فى باريس فى ذلك الوقت لتقرير مصير عالم ما بعد الحرب .

وقد اتفق كل من سعد زغلول . . الوكيل المنتخب للجمعية الشرعية وعبد العزيز فهمى بك وعلى شعراوى باشا على مقابلة السير « رجلند ونجت» المندوب السامى البريطانى فى مصر لطلب الترخيص لهم

بالسفر إلى لندن لعرض مطالب مصر على الحكومة الانجليزية . . وكان ذلك بناء على نصيحة « حسين رشدى » باشا رئيس الوزراء . .

وتحدد موعد المقابلة وأعرب المندوب البريطانى عن دهشته لتحدث ثلاثة رجال فقط عن أمة بأسرها . . فاتفق سعد وزملاؤه على تأليف هيئة الوفد المصرى للمطالبة باستقلال البلاد . . وأن تحصل هذه الهيئة على تفويض من الأمة يخولها هذه الصفة . . وفعلاً تألف الوفد المصرى من ثلاثة عشر عضواً وأعدوا صيغة توكيل وقعت عليه مختلف الطوائف . . رغم تصدى قوات الاحتلال لحركة التفويض الشعبية .

وطلب سعد زغلول بعد ذلك من قيادة الجيش الإنجليزى تصريحاً له ولأعضاء الوفد بالسفر إلى لندن . . ولما ماطلت القيادة لجأ مرة أخرى إلى المندوب السامى الذى رفض هو الآخر إعطاءهم ترخيصاً بالسفر .

وأرسل الوفد مذكرات ونداءات إلى معتمدى الدول الأجنبية فى مصر بتأليف الوفد وصفته ومقاصده . . كما أرسل كذلك إلى الرئيس الأمريكى «ويلسن» نداء برقياً يطلب منه تحقيق مسعى الوفد فى السفر لحضور مؤتمر الصلح .

ولما لم تأت كل هذه المساعى ثمارها اشتد هياج الجماهير وبدت بوادر ثورة شعبية تأتى على الأخضر واليابس . . الأمر الذى استدعت من أجله الحكومة البريطانية مندوبها السامى فى مصر إلى لندن للتشاور .

وعلى الجانب الآخر عرض «حسين رشدى» تقريراً على السلطان فؤاد طلب فيه أن يعهد إليه وإلى زميله «عدلى يكن» باشا وزير المعارف

بالسفر إلى لندن لإجراء محادثات مع الحكومة الانجليزية بشأن مستقبل مصر السياسى . . ووافق السلطان وطلب منه عرض المسألة على المندوب السامى البريطانى الذى وعد بعرض الأمر على حكومته .

وجاء رد حكومة انجلترا بأن الوقت ليس مناسباً لهذه الزيارة لأن وزير خارجيتها «مستر بلفور» مشغول بمفاوضات الصلح فى باريس .

وإزاء ذلك قدم «رشدى باشا» استقالته فى ٢ ديسمبر عام ١٩١٨ إلى السلطان فؤاد الذى لم يقبلها وكرر رشدى باشا تقديم استقالته فى ٢٣ ديسمبر من نفس العام . . إلا أن الاستقالة ظلت معلقة لحين سفر المندوب السامى البريطانى إلى لندن فى محاولة لإقناع حكومته بالسماح لهما بالسفر . . واشترط «رشدى باشا» لسحب استقالته أن يسمح أيضاً لمن يشاء من المصريين بالسفر إلى أوروبا . .وأن يصل رد الحكومة البريطانية فى مدة مناسبة من وصول المندوب السامى إلى لندن .

ومضت المدة الكافية ولم يصل الرد . . فجدد «رشدى باشا» استقالته إلى السلطان فى ٩ فبراير ١٩١٩ فقبلها فى أول مارس وطلب من الوزارة الاستمرار فى أعمالها لحين تشكيل وزارة جديدة .

واعترض أعضاء الوفد المصرى «١٣ عضواً» على قبول استقالة الوزارة وقدم الوفد احتجاجاً يوم ٤ مارس إلى معتمدى الدول الأجنبية فى مصر . . ورأت السلطة البريطانية أن فى ذلك تحريضاً على المقاومة ، وكانت الجماهير طوال هذه الفترة تعيش فى حالة ترقب وانتظار لما قد تسفر عنه الأحداث والاتصالات بالإضافة إلى عرقلة تشكيل الوزارة الجديدة . .

فأخذت السلطات الإنجليزية الأمور بالشدة وانتهاج سياسة التهديد والعنف . . وتصاعدت الأحداث باعتقال «سعد زغلول » وثلاثة من رفاقه وهم محمد محمود باشا وإسماعيل صدقى وحمد الباسل وصدور قرار بنفيهم إلى مالطة .

وفى ٩ مارس ١٩١٩ اندلعت أحداث الثورة . . وفوجئت سلطات الاحتلال بحوادثها فى كل مكان رغم منشورات تحذير الحاكم العسكرى . . ونتج عن استمرار الثورة تصاعد الأحداث . . الأمر الذى جعل السلطات البريطانية تلجأ إلى مهادنة الثورة بالإفراج عن سعد زغلول ورفاقه والترخيص لمن يشاء من المصريين بالسفر إلى أوروبا . . وإزاء ذلك لم يكن أمام «حسين رشدى باشا» حجة يتذرع بها لاستمراره فى الوزارة .

ومع ذلك لم تهدأ الثورة . . بل واصلت مسيراتها وتخللتها مصادمات بين الأهالى وقوات الاحتلال . . فى الوقت الذى حاول فيه سلطان البلاد أن يهرب من أحداث هذه الثورة إلى أحضان امرأة ، فسارع إلى الاقتران من ابنة محافظ مديرية المنوفية عبد الرحيم باشا صبرى الآنسة نازلى وجاء موعد عقد القران فى مايو عام ١٩١٩ . وأصبحت هذه المرأة بذلك شريكة لسلطان البلاد فى معاصرة أحداث هذه الثورة . . ليس من الشارع كبقية أفراد الشعب . . بل من داخل جدران قصر عابدين . . وقصر الزعفران .

الفصل الثانى

دماء فرنسية وتركية ومصرية تجرى فى عروق نازلى !!

من الآن فصاعداً . . وبعد أن وضعنا أولى النقاط فوق حروف الكلمات التى هى سبيلنا لاستكمال الحكاية . . بات علينا أن نخصص الأوراق ونفسح المجال لحديث الشخصية المحورية الرئيسية لتلك الوقائع ، وهى الملكة نازلى التى وفدت إلى أسرة محمد على من خارج سلك الأمراء والأميرات . . والتى تمكنت بدهاء الشباب أن تستولى على قلب ملك عجوز هو أحمد فؤاد ، بل وتجلس على عرش مصر بجواره وتشاهد وتعاصر الأحداث السياسية الخطيرة . بل وتشارك فى صنع العديد من تلك الأحداث .

والبداية الصحيحة لمصاحبة هذه الملكة . . كانت لابد وأن تتم من واقع ما توافر لنا من معلومات . . سواء ما كان عنها أو عن أجدادها . . وأسرتها وطرق تعليمها . . وإمكانياتها الذهنية . . ومن أين وفدت . . ؟ ! وكيف استطاعت أن تستحوذ على كل مجريات التاريخ فى مصر بدءاً من عام ١٩١٩ وحتى رحيلها عام ١٩٧٨ ؟ !

وكان الدافع الرئيسى وراء اعتمادنا على قاعدة المعلومات هو اتباع المنهج العلمى الذى بات تطبيقه متاحا وبشكل كبير فى تحليل بعض حوادث التاريخ . . سواء من حيث التعرف على الظاهرة وجمع المعلومات أو إخضاعها للقياس التجريبى أو النظرى بهدف الوصول إلى النتائج ، ثم تأتى بعد ذلك مرحلة إصدار الأحكام .

ورغم أن نازلى كانت فى يوم من الأيام ، ملكة لمصر والسودان باعتراف الدستور وقانون البلاط . . كما كانت كذلك أما لآخر ملوك سلالة الوالى محمد على . . وزوجة للسلطان أحمد فؤاد . . فقد وجدنا غاية الصعوبة فى الحصول على معلومات عنها وعن أسرتها تعيننا على كتابة هذه الأوراق ووفقا للمنهج السابق .

وقد يكون السبب الرئيسى فى رأينا وراء اختفاء أو ندرة هذه المعلومات هو ارتباط حياة نازلى بسلطان مصر العجوز أحمد فؤاد الذى اقترنت سيرته فى التاريخ بكل أنواع الفساد السياسى والاجتماعى . . سواء من قبل توليه العرش أو من بعده ! . كما جاء جلوسه على العرش مقترنا كذلك بوجود قوة أجنبية كانت تحتل مصر فى ذلك الوقت . . وهو الاحتلال البريطانى . . الذى فرضه سلطاناً على البلاد بعد وفاة أخيه السلطان «حسين كامل» .

وفى إطار البحث عن معلومات تاريخية عن هذه الملكة قرأنا ونحن نقلب فى أوراق التاريخ وقصاصاته . . أن إحدى الصحف الفرنسية التى كانت تصدر فى باريس منذ أكثر من ستين عاماً . . كتبت موضوعاً

مثيراً . . أشارت فيه إلى أن ملكة مصر نازلى وأم ولى العهد الأمير فاروق . . تجرى فى عروقها الدماء الفرنسية ! . ذلك لأن جدها الأكبر سليمان باشا الفرنساوى الذى كان من قبل إسلامه أحد ضباط جيش نابليون العظيم الذى حقق أعظم الانتصارات العسكرية فى أوروبا وفى خارجها . . هذا الضابط الذى جاء إلى مصر مع بداية عام ١٨١٦ . . واستقر بها . . تزوج من امرأة مسلمة بعد ما أسلم . . كما أن ياوره الخاص شريف باشا قد تزوج بإحدى بناته . . وأنجب منها هو الآخر عدة بنات كانت من بينهن السيدة «توفيقة» . . التى تزوجها عبد الرحيم باشا صبرى وأنجب منها الملكة نازلى .

وبدون الدخول فى تفاصيل مناقشة هذه الرواية . . وتحرى مدى صحتها أو خطئها . . فقد عرفنا كذلك أن الملكة نازلى لم تتوقف فصيلة الدماء فى عروقها على الدم الفرنسى فقط . . إذ قادنا البحث للمزيد من التأصيل إلى نتيجة سجلتها معامل التحاليل الطبية التاريخية . . مؤداها أن نازلى كانت تجرى فى عروقها أيضاً دماء تركية عثمانية . . وكان مصدرها . . ذلك الياور الذى تزوج من ابنة سليمان الفرنساوى والذى كان والده أحد رجال الدين الإسلامى المشهورين فى الامبراطورية العثمانية . . ويدعى قاضى عسكر العثمانى «محمد شريف باشا» . . الذى كان منوطاً به شياخة الإسلام فى ولاية مصر العثمانية أيام حكم الوالى محمد على! . وكان من أهالى مدينة استانبول التابعة للامبراطورية العثمانية .

ليس هذا فقط . . بل إن نتيجة التحاليل الطبية فى معامل التاريخ أثبتت كذلك أن دماء الملكة نازلى لم تختلط فقط بالدماء الفرنسية

والتركية! . بل إن هذه الدماء قد اختلطت أيضاً بالدماء المصرية . . وذلك حين تزوج والدها عبد الرحيم صبرى من ابنة شريف باشا رئيس وزراء مصر الأسبق وابن قاضى عسكر العثمانى . . وهى السيدة «توفيقة» والدة الملكة نازلى .

وبذلك تكون النتائج النهائية لفحص عينة دم من الملكة نازلى فى معامل تحاليل الدم التاريخية . . هى أن عروقها كان يجرى فيها بالفعل دماء فرنسية تركية ومصرية أيضاً . . وأن دماء ابنها الأمير فاروق التى كانت تجرى فى عروقه بعد ولادته هى دماء فرنسية وتركية ومصرية وأيضاً يونانية!! . على اعتبار أن والده الملك فؤاد وزوج الملكة نازلى من سلالة الوالى محمد على الكبير . . الذى ولد فى مدينة « قولة اليونانية » .

أما فيما يتعلق بتفاصيل ما ذكرته المصادر الفرنسية . . عن الأصول والجذور الأولى لملكة مصر نازلى . . فقد جاء فى موضوع مثير نُشر بمجلة «كوميديا» عام ١٩٢٦ تحت عنوان «ولى عهد مصر كان له جد فرنسى» . بمناسبة ولادة الأمير فاروق :

« توجد بين فرنسا والأسرة المالكة فى مصر علاقة أخرى . . قد لا يعرفها الكثيرون . . وهى أن ابن الملك فؤاد وولى عهده الأمير فاروق يجرى فى عروقه دم فرنسى . . ذلك لأن أمه الملكة نازلى هى ابنة حفيدة «سليمان باشا الفرنساوى» القائد الفرنسى الشهير الذى لم يكن سوى الكولونيل «سيف» . . والذى دخل فى خدمة محمد على .

ففى أوائل القرن الماضى ـ على حد قول كاتب الموضوع ـ اعتزم حاكم

وادى النيل ومؤسس الأسرة الحاكمة الحالية أن يجدد شباب البلاد وأن يجعلها جديدة وجديرة بماضيها المجيد . . ومن أجل ذلك . . فقد ولى وجهه شطر فرنسا وطلب المساعدة من رجالنا فى تنفيذ هذا العزم ».

ولمزيد من التفاصيل عن ذلك القائد الفرنسى أضافت المجلة :

. . « وكان الجيش المصرى فى ذلك الوقت عديم النظام !! . فلم تكن تقاليده ولا الخطط التى يجرى عليها متفقة مع روح العصر . وهو أمر كان يُعد عقبة كبيرة فى سبيل تحقيق المشروعات التى كان يجيش بها صدر محمد على الكبير . . ألا وهى تحرير مصر من ربقة السيادة التركية .

وكان نابليون فى ذلك العهد ورغم الانهزامات التى بلى بها ينظر إليه معاصروه كسيد الحرب والمثل الأعلى للقائد المحنك .

وكان الضباط الذين خدموا تحت إمرته وتخرجوا على يديه يتمتعون فى كل مكان بشهرة فى الفنون الحربية لا ينازعهم فيها أحد . . وهكذا فى سنة ١٨١٦ هبط الإسكندرية ضابط شاب اسمه « أو كتاف انتثلم سيف» . وكان ضابطاً برتبة كابتن فى الجيش الامبراطورى . . فلما نفى نابليون وعاد «البوربون» إلى عرش فرنسا طردوه من الخدمة ، كما طردوا غيره من ضباط نابليون .

وهبط مصر ذلك الشاب الضابط يطلب العيش وينشد المخاطر فى نفس الوقت الذى كان محمد على قد أخمد فيه بشدة ثورة قام بها الجيش المصرى من جراء إصلاحات كان الباشا يريد إدخالها فيه .

وتقدم الكابتن «سيف » إلى محمد على باشا ، فأعجب بجرأته . . وإقدامه ومظهره الفخور فأدخله فى الحال فى خدمته وولاه ثقته وعهد إليه بتنظيم الجيش .

كانت المهمة شاقة جداً ولكن «سيف» استطاع سريعاً بهمته ونشاطه وحزمه أن يلزم الجميع طاعته وأن يوطد فى الجيش النظام وروح الطاعة وأن يدخل فيه الأساليب الفرنسية وأن يؤلف فى الوقت نفسه هيئة ضباط متعلمة تعليما فنيا راقياً » .

وأضافت المجلة الفرنسية : أنه من ضمن القصص التى تروى للتدليل على الصعوبات التى لاقاها «سيف» وذللها تلك القصة الآتية : كان الجنود المصريون معتادين فى ذلك العهد على المشى حفاة الأقدام !! . . وأراد «سيف» أن يجبرهم على لبس الأحذية ولكنه وقد درسهم وعرف أخلاقهم وعرف نفسيتهم فضل ألا يأخذهم قوة وقسراً . وأصدر «سيف» أوامره بأن يقوم الجنود فى ظهر كل يوم بعدة تمرينات عسكرية ، وقد اختار لإجراء هذه التمرينات قطعة كبيرة من الأرض مغطاة بألواح من الزنك والحديد ! .

وفى سنة ١٨٢٠ اعتنق «سيف» دين الإسلام وتسمى باسم سليمان الفرنساوى . . ثم أنعم عليه بلقب باشا وعين رئيساً لهيئة أركان حرب إبراهيم باشا . وتزوج سليمان باشا بعد ذلك ، ورزق من زواجه هذا ثلاث بنات وولد واحد . . واقترنت إحدى بناته «بشريف باشا» الذى رزق منها عدة بنات تزوج إحداهن عبد الرحيم صبرى وهى السيدة

توفيقة وكانت جلالة الملكة نازلى والدة ولى عهد مصر فاروق إحدى ثمرات هذا الزواج .

أما سليمان باشا . . فقد توفى بالاسكندرية فى ١٤ مارس عام ١٨٦٠ بعد حياة مجيدة ملأى بجلائل الأعمال . . وأنه فى وسع فاروق ملك مصر القادم أن يفخر على حد سواء بأبيه فؤاد وبأسرته . .

● ● ●

وحين نعيد قراءة ما ذكرته مجلة كوميديا الفرنسية عن جذور الملكة نازلى . . نشعر بالنعرة الفرنسية الزائدة والعنصرية المفرطة . . وكأنما هذا الشعب العريق صاحب السبعة آلاف عام . . لم تكن لتحييه سوى هذه الدماء الفرنسية رغم أننا لا ننكر دور سليمان الفرنساوى وأهميته فى مجال تحديث وتدريب الجيش المصرى أيام محمد على . . وإيماناً منا بذلك نسوق بعضاً مما ذكره المؤرخون المصريون عن أهم أعمال ذلك الرجل . . بصرف النظر عن كونه جد الملكة نازلى أو أنه قد أسلم أو حتى تزوج من امرأة مصرية مسلمة .

فيقول الدكتور حسين مؤنس : أن الجنرال «سيف» بعد أن أبلغ الوالى محمد على بأنه سوف يعتنق الإسلام . . وبعد أن اختار له الوالى اسم سليمان بك . . عاد إلى داره فى مصر القديمة وخلا إلى نفسه فى شرفتها المطلة على دار تلميذه وصديقه إبراهيم بن محمد على . . تلك الدار التى كان يسكنها بونابرت أثناء مقامه فى مصر فأثار منظرها ذكريات شتى فى نفس هذا الشاب الفرنسى فسبح خياله يستعرض ماضيه القلق المضطرب .

ذكر طفولته الأولى فى قرية «أوى » فى أعطاف هضبة «السافوا » . . وكيف كانت أحلام المغامرة تطوف برأسه الصغير ولم يبلغ العاشرة بعد . . لقد يئس أبوه وهو فى سن الثانية عشرة فأرسله إلى البحرية . . لاليكون ضابطا . . بل ليكون بحاراً خاملاً على ظهر سفينة اسمها «المويدون » ومضت السنوات تلو السنوات وهو لايزداد إلا سخطا على الحياة . . ثم اختلف ذات مرة مع أحد ضباط البحرية فى أمر ما . . فتشاجرا ، فضربه سيف بقطعة من حديد على رأسه وسقط الضابط ميتاً !

ثم تداركته عناية القدر فأنقذه « الكونت دى سيجور » وضمه إلى جنوده . . وكان ذلك بدء تحسن أحواله ، فترقى حتى أصبح جاويشاً وانضم إلى جنود نابليون وحارب بجواره حتى وقع فى أسر الألمان ، ولم يتخلص من هذا الأسر إلا بصعوبة . . وانتهت أيام نابليون الأولى وتشرد سيف كما تشرد غيره من رجال نابليون .

ومن بعدها حاول أن يكون نساجاً مثل أبيه . . ثم حاول كذلك أن يكون تاجراً فلم يوفق . . وانتهى به الأمر إلى نصيحة صديق بأن يذهب إلى الشرق إلى فارس أو إلى مصر . . لأن هناك شعوباً ناهضة وتحتاج إلى خبرته فركب الرجل االسفينة من «طولون» وهو لا يدرى إلى مصر سيذهب أم إلى فارس .

ولكن استقر به المقام فى مصر . . وكان يحمل خطاب توصية إلى عاهلها محمد على . . وكانت رتبته آنذاك «ميجر» . . أى «رائد» فزعم أنه

قائمقام « أى عقيد» وعلى كتفه شارات هذه الترقية . فاستقبله محمد على بترحاب وقدمه إلى ابنه إبراهيم . . ثم عينه مدرباً للجنود ثم أرسله فى رحلة عسكرية إلى السودان فذهب إلى كردفان وعاد من جديد . . ثم ارتفع به محمد على فعينه رئيساً لأركان حرب الجيش الجديد .

ويضيف الدكتور مؤنس : وتولى سليمان بك تنظيم جيش مصر الجديدة وسار به إلى ميادين النصر فى بلاد اليونان حيث هز الدنيا بانتصاراته فى كل مكان . لقد قضى أربعين عاماً مغامراً فى نواحى الأرض حاملاً سلاحه فى يده يحارب الزمن ويناضل الأعداء . . لقد أنشأ جيشاً عظيماً هز أوروبا كلها ثم انتهى به الأمر إلى ما يشبه الأسر عندما تخلت فرنسا عنه حين زحف بالجيش المصرى لمحاربة أوروبا لولا تصدى كل من جيوش بريطانيا وروسيا . . وأمام هذه الهزائم أصدر محمد على أوامره للجيش المصرى بالانسحاب . . وعاد سليمان العظيم يقود جنوده إلى مصر فى تقهقر محزن .

وحتى عندما عاد سليمان مرة أخرى إلى مصر . . حاول إعادة بناء الجيش من جديد فى فترة حكم ابراهيم باشا الذى خلف محمد على فى حكم مصر . . ولكن العقبات حالت دون اتمام مشروعه . . حيث يمرض ابراهيم باشا ويموت ويبكيه سليمان الفرنساوى حيث شعر هو بقرب نهايته .

وتنتهى أيام محمد على ، ويقبل عباس الأول فيأخذ فى القضاء على النهضة العظيمة وآثارها . . ويعارض سليمان . . ، ويظل على معارضته

حتى يموت عباس ، وتقبل أيام سعيد ويحظى سليمان ببعض الراحة . . ويشهد قبل موته استمرار العمل فى قناة السويس أيام الخديوى إسماعيل .

وينهى الدكتور حسين مؤنس روايته التاريخية بقوله : وصعدت روح سليمان إلى بارئها فى الساعة الثانية بعد ظهر ١٢ مارس ١٨٦٠ بقصره بمصر القديمة . . ودفن فى حديقة داره حيث أقيم له محراب صغير [(١)].

أما الدكتور حسين فوزى النجار فيقول عن سليمان الفرنساوى : بعد أن أفل نجم نابليون . . اشتغل سيف بالتجارة ، ولكن تجارته باءت بالخسران . وقدمه «الكونت سيجور» الذى كان قد توسط له فى إبدال حكم الإعدام بالفصل من البحرية إلى محمد على الكبير . . الذى أوفده بدوره فى مهمة إلى السودان . وبعد عودته أخبره محمد على برغبته فى تنظيم جيش حديث . . وعهد إليه بهذه المهمة واختار خمسمائة من مماليكه لكى يدربهم فى أسوان . . وقد تمكن من تخريج أول دفعة من الضباط بعد ثلاث سنوات .

ويضيف الدكتور حسين فوزى قوله : أن « مسيو سيف» اشترك أيضاً فى حرب المورة رئيساً لأركان جيش إبراهيم باشا ابن محمد على . وعاد من هناك وفى يده زوجة من إحدى السبايا . . وقد أنجب منها ولداً واحداً وفتاتين . إحداهما كانت تدعى «أمينة» وتزوجها رجل يدعى راتب باشا . . والثانية كانت تسمى «نازلى» وهى التى تزوجها محمد شريف باشا

---

(١) حسين مؤنس ـ المصور بتاريخ ٢٣ / ٧ / ١٩٤٨ .

.. هذه الفتاة جاءت من سلالتها حرم المغفور له عبد الرحيم باشا صبرى والد صاحبة الجلالة الملكة نازلى .

وبخلاف ما رواه كل من الدكتور حسين مؤنس والدكتور حسين فوزى . فإن بعض المؤرخين يرون أن سليمان الفرنساوى هو صاحب الفضل الأول فى إعادة تكوين جيش مصر فى العصر الحديث .. كما يرجع إليه الفضل فى افتتاحه لأول مدرسة حربية فى مصر .

● ● ●

ويبدو أن نعرة الأنساب الأجنبية التى اجتاحت مصر مع بداية عصر الحب والثورة .. كانت منتشرة بشكل ملحوظ .. مما جعل البعض يعتقد أنها كانت أشبه بظاهرة لم تفرق بين الوالى أو الخديوى أو حتى المنتسبين إلى الحاشية ! ..

والتاريخ المصرى الذى تم تسجيله فى تلك الفترة .. حافل بالعديد من القصص والحكايات التى نقلت إلينا جذور تلك الأنساب .. ومن أشهرها بخلاف ما عرفناه عن قصة نسب الملكة نازلى قصة زواج الخديوى إسماعيل من الملكة فيكتوريا صاحبة تاج الامبراطورية البريطانية التى لم تكن تغرب عنها الشمس .. وتقول تفاصيل هذه الحكاية أنه فى أثناء زيارة إسماعيل للعاصمة لندن وعلى إثر الحفاوة التى قوبل بها هناك بدأ يدخن فى حضرة الملكة وينفخ الدخان فى وجوه من كانوا يحدثونه من أشراف المملكة وسيدات البلاط ..

ولاحظ الخديوى امتعاضاً على وجه النبيلة التى كانت تجلس بالقرب

منه فأخرج من جيبه علبة السجائر المرصعة بالزمرد والماس . . وقدم منها سيجارة لجلالة الملكة . . ثم أشعل لها عود الثقاب . . وقدم لها مبسماً مرصعاً ، وعلمها كيف تدخن به !!

ولما انتهت الملكة من التدخين تناول منها الخديوى المبسم ووضعه فى فمه بعد أن أدخل به سيجارة أخرى ثم التفت ، وهو يدخن بسرور إلى الملكة قائلاً : هذه ألذ سيجارة دخنتها فى حياتى .

وتصور الحاضرون أن الملكة وهى المعروفة بصرامتها فيما يتعلق بالآداب ستنهض واقفة من مكانها غاضبة من جرأة ذلك الحاكم الشرقى الجرىء . . وفوجىء الجميع عندما رأوا وجه جلالتها يحمر سروراً لهذا المديح . . ! ويذكر راوى الحكاية وأحد شهود عيانها . . أن الملكة رافقت الخديوى إلى الحديقة ، وقد أخذ بذراعها فوضعه تحت ذراعه ضاغطاً عليها بخفة وبدون كلفة .

وقد قطفت الملكة فيكتوريا وردة حمراء . . وناولتها للخديوى ، فانحنى يقبل يدها شاكراً [٢] ولم يمض سوى يومين على إسماعيل وهو فى ضيافة الملكة حتى كانت كما قال « لادى كانج» قد ذابت تحت شمس ابتسامات خديوى مصر ، وأصبحت كلها رقة وأنوثة وعذوبة .

ولم تتوقف الحكاية عند هذا الحد . . بل لقد أثير بعد زيارة الخديوى إسماعيل للندن بفترة أن هذا اللقاء قد أثمر عن إنجاب الدوق « أوف كنون» شقيق الملك إداور السابع . . وان الشاهد الوحيد على هذا

(٢) محمد التابعى ـ صبرى أبو المجد ـ الجزء الأول .

الإنجاب هو تشريفاتى الملكة الذى كان يعمل فى بلاط الملكة فيكتوريا

• • •

ومازالت حكاية دماء الملكة نازلى . . وتاريخ أنسابها وأصوله . . ماثلة فى الأذهان . . رغم ابتعادنا عنها بعض الوقت . . وكان علينا من أجل الوقوف على بقية تفاصيل هذا النسب وأصوله أن نترك باريس عاصمة النور والفن . . ونطير إلى مدينة استانبول التركية . . ننقب ونبحث . . ونحلل بقايا دماء الملكة التى قيل إن عروقها تحمل أيضاً الدماء التركية . . وكان دليلنا خلال تلك الرحلة الحُجة الرسمية التى أصدرتها منذ أكثر من خمسين عاماً نقابة عموم السادة الأشراف بالديار المصرية . . والتى عرفنا من خلال بعض سطورها « أن السيد محمد شريف باشا ابن المرحوم السيد أحمد بن المرحوم محمد شريف المنتمى نسبة إلى الإمام الحسين سيد الكونين . . قد تزوج من جدة الملكة نازلى . . وأنجب منها السيدة «توفيقة» والدة الملكة » .

وتقول بقية تفاصيل هذا النسب . . وفقاً لما ذكرته بعض المصادر التاريخية أن الجد المباشر للفتاة نازلى صبرى . . هو شريف باشا بن محمد شريف باشا أفندى «قاضى عسكر» الدولة العثمانية لمصر فى السنوات الأولى لتولى محمد على السلطنة فى بداية القرن التاسع عشر . .

والمعروف أن وظيفة قاضى عسكر كانت ترتبط آنذاك بالدفاع العسكرى . . كما كانت تماثل كذلك وظيفة المندوب الأعلى للهيئة

القضائية العثمانية فى الولايات التابعة لها . . وكان شريف باشا بهذه الوظيفة العالية يشترك فى السلطة مع محمد على نفسه . . الذى كان حتى تلك الفترة حاكماً عثمانياً للبلاد(٣) .

وتضيف هذه المصادر التاريخية أن الرجلين كانا صديقان حميمان . . وكان مصدر هذه الصداقة أن شريف باشا كان كثيراً ما يقف بجانب محمد على فى نزاعه الدائم مع رئيس وزراء تركيا والمعروف بالصدر الأعظم . . وكان كثيراً ما يستخدم نفوذه الواسع فى العاصمة العثمانية لصالح محمد على .

وحتى عندما عاد محمد شريف أفندى قاضى العسكر إلى استانبول . . بعد اختياره شيخ الإسلام للامبراطورية . . ترك ابنه الصغير شريف فى مصر لمواصلة تعليمه ودراسته .

ولقد عاصر شريف باشا الأمير إسماعيل ـ خديوى مصر فيما بعد ـ كما زامله فى الدراسة . . وكان ضمن أفراد البعثة الخامسة للطلبة المصريين التى توجهت لفرنسا . . وهى التى سميت فى ذلك الوقت . . ببعثة الأمراء . . حيث كانت تضم مجموعة كبيرة من ألمع طلبة المهندس خانة التى عرفت فيما بعد باسم كلية الهندسة أو «مدرسة المهندسين» . . نضيف إلى ذلك أن نفس البعثة كانت تضم عدداً كبيراً من أمراء أسرة محمد على . . مثل الأمير أحمد والأمير عبد الحليم حسين . . وكذلك

---

(٣) فاروق الأول ـ الملك الذى غدر به الجميع ـ عادل ثابت .

الأمير إسماعيل الذى كان على علاقة طيبة مع شريف باشا [٤] .

وعندما وصل شريف باشا إلى باريس التحق هناك بأكاديمية «سان سير» العسكرية . . وتخرج منها بدرجة امتياز . . ثم قضى هناك عامين آخرين فى المعهد الفرنسى العالى للعلوم العسكرية ، وبعد تخرجه تمت ترقيته إلى رتبة «كابتن» برئاسة الأركان الفرنسية العامة . ومنذ ذلك الحين أصبح قريباً من الكولونيل «انتشلم سيف» الذى سمى فيما بعد باسم سليمان الفرنساوى .

وعندما رجع إلى القاهرة من باريس فى عام ١٨٥٠ وكان قد سبقه سليمان الفرنساوى إلى مصر . . التحق بالجيش المصرى مساعداً لسليمان الفرنساوى . . وقد اختاره ياورا خاصاً له . . وفى مصر كذلك أخذ شريف باشا طريقه إلى الترقى فتم اختياره فى منصب الأميرالاى قائد الحرس الخاص لنائب الحاكم .

وفى عام ١٨٥٦ رقى «شريف باشا» مرة أخرى وحصل على رتبة اللواء ثم رتبة الباشوية . وفى العام التالى نقل من عمله العسكرى إلى العمل المدنى بعدما أصبح وزيراً للخارجية فى فترة حكم الوالى « سعيد باشا» .

وفى تلك الفترة تعرف «شريف باشا» على ابنة سليمان الفرنساوى وكانت تدعى «نازلى» . . وبعد فترة قصيرة تزوجها . . وأنجب منها عدة بنات . . كانت واحدة منهن . . وهى الآنسة «توفيقة» من

---

(٤) المصدر السابق .

نصيب عبد الرحـيم بـاشا صبرى الـذى أنجب منها الملكة نـازلى .

وبعد وفاة الوالى «سعيد باشا» عام ١٨٦٣ وتولى الخديوى إسماعيل الحكم من بعده أسند إلى صديقه شريف باشا وزارة أخرى هى وزارة الداخلية . ثم عينه فى عام ١٨٦٥ قائمقام الحكم فى غياب الخديوى فى مدينة استانبول . كما حصل «أيضاً شريف فى عهد اسماعيل أيضاً على أعلى مظاهر التكريم بتوليه رئاسة الوزارة فى مصر فى عدة مناسبات .

وفى عام ١٨٦٨ تم انتخابه لرئاسة المجلس الخاص الذى كانت سلطاته تفوق الوزارة . وفى عام ١٨٨١ شكل الوزارة فى ظروف سياسية غاية التعقيد . . وبناء على رغبة أعضاء الجمعية الوطنية بعدما اشترط عليهم ضرورة ابتعاد ضباط الجيش بزعامة أحمد عرابى عن السياسة . حيث رأى «شريف باشا» أن وجود هؤلاء الضباط سوف يقدم للأجانب المزيد من الذرائع للتدخل العسكرى فى مصر .

وبخلاف ذلك النشاط السياسى المتميز « لشريف باشا» . . فقد لى رئاسة مجلس النواب عام ١٨٧٥ . . وكان له دور وطنى متميز اصة بالنسبة لمجموعة الإنجازات الدستورية الكبيرة التى تحققت على يديه . . مما جعل العديد من المؤرخين يطلقون عليه لقب «أبو الدساتير المصرية الحديثة » .

● ● ●

ولم يتوقف جريان دم النبلاء فى عروق الملكة نازلى عند هذا الحد . . بل واصل تدفقه بقوة حتى اختلط بماء النيل وتراب مصر العظيم . .

وذلك عندما ارتبط عبد الرحيم باشا صبرى بأسرة « شريف باشا» بعد زواجه من إحدى بناته وكانت تدعى الآنسة «توفيقة» وعندئذ تدفقت فى عروق الملكة نازلى دماء جديدة . . وكانت هذه المرة دماء مصرية خالصة . . إذ كان عبد الرحيم صبرى مواطناً مصرياً التحق بالخاصة الملكية . وبعد زواجه أنجب من السيدة «توفيقة» ولدين وثلاث بنات . . كانت على رأسهن الآنسة نازلى . . التى وُلدت فى ٢٥ يونيه عام ١٨٩٤ . . بقصر والدها بحى رمل الإسكندرية . . بالإضافة إلى فتاتين الأولى تزوجت من النبيل عادل طوسون . ولم تعمر طويلاً . . والثانية تزوجت من رجل مصرى ورحلت معه إلى الجزائر وأقامت معه هناك حتى توفيت، وبخلاف أخوات نازلى من البنات كان لها أيضاً أخوان هما حسين صبرى والصغير شريف صبرى .

ولقد عمل والدها عبد الرحيم باشا صبرى محافظاً للمنوفية فى الفترة من عام ١٩١٣ حتى ١٩١٧ . . وعندما تولى السلطان فؤاد عرش مصر بعد وفاة أخيه السلطان حسين كامل . . اختار عبد الرحيم صبرى محافظاً للقاهرة . وفى أول تعديل وزارى تم قُبيل زواج السلطان فؤاد من الآنسة نازلى اختاره السلطان وزيراً للزراعة فى وزارة محمد سعيد باشا الثانية! .

الفصل الثالث

رجــال فى حــياة ملكــة مصــر

هل يمكن لامرأة واحدة . . أى امرأة أن ترتبط بخمسة رجال فى آن واحد ؟ . سواء كان هذا الارتباط على سبيل الحب أو العشق أو الغرام . . أو حتى الزواج ؟ . إن السؤال بهذه الكلمات يبدو غريباً . . كما أنه من الممكن أن يثير علينا المنظمات النسائية . . وكل الباحثين والباحثات عن حقوق المرأة فى الحياة ! . بل ومن الممكن أيضاً أن يثير علينا أصحاب الفضيلة من رجال الدين . . ذلك لأن الواقع يقول : إن المرأة يمكنها الارتباط برجل واحد فقط وفقاً للشريعة . . أو برجلين على أكثر تقدير . . الأول تحبه سواء فى السر أو العلانية والثانى تتزوجه . . ولا يشذ عن تلك القاعدة إلا المرأة فى المجتمعات البدائية والقبائل المتخلفة . . وذلك حين تختفى القوانين وتتمكن شريعة الغاب .

ولكن على الرغم من أن صاحبة هذه الحكاية التى نرويها فى كل هذه الأوراق ـ وهى الملكة نازلى التى عاشت فى العصر الحديث ، وتحت مظلة القوانين الوضعية التى كانت ترعاها نصوص الدستور المصرى ـ قد

ارتبطت بالفعل بخمسة رجال فى آن واحد ، بل وظلت على مدى أكثر من خمسين عاماً تعيش مع هؤلاء الرجال ! سواء فى الواقع أو فى داخل نفسها . .

وأكثر من ذلك . . كانت علاقتها المتميزة بالرجال الخمسة والتى ارتبطت بهم فى مراحل حياتها المختلفة . . هى المحرك الرئيسى والحقيقى لكل مجريات الأحداث العلنية والسرية التى عاشتها طوال هذه الفترة الزمنية .

ونحن نعتقد بدون جزم . . أن مصدر هذا الوضع الشاذ هو أن الملكة نازلى كانت بكل المقاييس امرأة متمردة . . وقد سبقت عصرها . . نظراً لتلك التوليفة الغريبة من الدماء التى كانت تجرى فى عروقها . .

ويرى البعض أن ارتباط الملكة نازلى كامرأة بهؤلاء الرجال قد لايحمل نوعاً من الغرابة سواء فى الفكر أو فى السلوك أو فى الفعل . . وربما يكون ذلك صحيحاً . . إذا ما نظرنا إليها كامرأة من حيث نوع الجنس . إلا أن ذلك السلوك يبدو غريباً ومثيراً إذا ما صدر من ملكة حملت فوق رأسها تاج مصر وارتبطت تاريخياً بعراقة شعب مكونات حضارته سبعة آلاف عام . ومن هنا . . كان عليها فرضاً وتاريخاً ألا تقترف أعمالا يحاسب عليها التاريخ . كما أوجب عليها منصبها ووضعها الملكى كذلك أن تلتزم ولو إسماً بالأعراف والقوانين التى كان يحرسها الدستور المصرى . . وكذلك بالمبادىء الدينية . . وذلك لأنها شاءت أو لم تشأ ستصير قدوة لغيرها من النساء على مدى تاريخ مصر كله . .

ولقد حاول البعض أن يتلمس عذراً مرفوضاً للملكة فيما أقدمت عليه من أفعال ارتبطت فى حياتها مع هؤلاء الرجال . مستندين فى عذرهم إلى مجريات أحداث العصر الذى عاشت فيه . . إذ كانت تحت تأثير ظروف كثيرة معاكسة . . كان فى مقدمتها ارتباط حياتها لمدة ١٧ عاماً بالسلطان فؤاد الذى اختارها دون غيرها لتشاركه حكم مصر .

وبدون الدخول فى تفاصيل مناقشة وجهة النظر هذه . . كان علينا أن نلقى الأضواء المبهرة على تلك الشخصيات التى ارتبطت بحياة الملكة وشاركت فى صنع معظم أحداث حياتها فى السر أو العلن . . وحين نتناولهم بالحديث . . فسوف نراعى الترتيب الزمنى لظهورهم فى حياة نازلى . . ودورهم أو موقعهم داخل عقلها وقلبها ، كما سيكون الحديث فى البداية قاصراً على التعريف بالشخصية ومؤهلاتها . . دون الدخول فى تفاصيل ما اقترفته من أعمال . . ذلك لأنهم سوف يصاحبوننا تباعاً خلال الأوراق التالية .

وهؤلاء الرجال وفقا للترتيب الزمنى الذى نقصده كانوا :

● سعيد زغلول وهو ابن أخت الزعيم سعد زغلول ، وأول حب فى حياة نازلى .

●● السلطان أحمد فؤاد . . أول الأزواج ! .

●● الوجيه عمر فتحى كبير ياوران الملك فؤاد وأحد المنافسين الرئيسيين على قلب الملكة . .

●● أحمد حسنين باشا . . رئيس الديوان الملكى وأول العاشقين ثم الزوج الثانى بعد السلطان أحمد فؤاد .

●● وأخيراً الوجيه رياض غالى . . الذى عاصر أخريات أيام الملكة نازلى . . والذى ظل بجوارها وجوار ابنتها الأميرة فتحية حتى رحيل المرأتين . . إحداهما قتلها برصاص مسدسه والثانية ماتت حزناً على رحيل ابنتها ! .

وما نود الإشارة إليه ـ قبل الانطلاق فى رحاب البحث عن معلومات تخص هؤلاء الرجال الخمسة ـ هو أننا لاحظنا وجود خلافات كبيرة خاصة بالرجل الأول أو الحب الأول فى حياة الملكة نازلى . هذه الخلافات تناولها بالتفصيل بعض المؤرخين والكتاب والصحفيين الذين كانوا معنيين آنذاك بهذه الحكاية . ولعل من أهم نقاط هذا الخلاف كان اسم الرجل ولقبه وعائلته . وقد ظهر ذلك بوضوح فى كتابات وآراء كل من مصطفى أمين ومحمد التابعى ! .

كما لاحظنا كذلك وجود نفس القدر من الخلاف عند سرد تفاصيل زواج نازلى من السلطان . وكان هناك فقط شبه إجماع لدى هؤلاء المؤرخين على أن نازلى كانت على وشك الزواج من أحد الشبان التى كانت على علاقة حب معه ، شهد بها الأقارب وبعض الأهل والأصدقاء ولقد أجمع كل المؤرخين تقريباً وشاركهم فى ذلك العديد من الصحفيين على أن نازلى صبرى كانت أول سيدة مصرية تدخل البلاط الملكى من خارج أسرة محمد على مؤسس الملكية المصرية عام ١٨٠٥ .

وعلى أية حال . . لقد عالجنا هذه الموضوع بشىء من التوسع اقترن بدراسة مستفيضة فى كتابنا الذى صدر بعنوان «حريم ملوك مصر» .

ويعتبر كل من الكاتب الصحفى محمد التابعى . . ومصطفى أمين من أوائل الذين اختلفوا فى رواية قصة الحب الأول فى حياة الملكة نازلى . . وعلى أية حال . . سوف نسوق ما ذكره كل منهما . . ثم نتبع ذلك بمناقشة سريعة لأوجه هذا الخلاف .

وأولى هذه الروايات . . كما جاءت وفقا لما سطره الكاتب الصحفى محمد التابعى : « الذى سمعته من رواة ثقات من أقارب الملكة نازلى هو أنها قد أرغمت على الزواج من السلطان أحمد فؤاد . وأنها كانت تحب شاباً من أقاربها . . وأكتفى هنا [والكلام لا يزال لمحمد التابعى] بذكر الحروف الأولى من اسمه « ش . ش » . . لأنه لا يزال على قيد الحياة . .

لقد كانت نازلى تحب قريبها هذا الشاب . . وكان أملها فى الزواج منه إلى أن خطبها عظمة السلطان أحمد فؤاد من أبيها . . وفى اليوم المحدد لعقد القران هربت نازلى ـ فى الصباح الباكر ـ من قصر أبيها . . ولجأت إلى حبيبها « ش . ش » . وراح الفتى ينتقل وهى معه طول اليوم من دار صديق إلى دار صديق . . خوفا من مطاردة رجال القصر . . فقد انطلق الأقارب وسلطات الدولة كلها تبحث فى كل مكان عن خطيبة عظمة السلطان .

وأخيراً أدرك الفتى ألا فائدة ! . ولعله كذلك خاف مما قد يصيبه من بطش السلطان فأركبها عربة حنطور وأعادها إلى قصر أبيها فى المساء . .

وعُقد القران . . وأصبحت نازلى صاحبة العظمة السلطانة . . [١] .

أما مصطفى أمين فيقول فى روايته : « . . وكان سعيد الصغير [يقصد سعيد زغلول] قد أحب الفتاة الصغيرة نازلى وملأت قلبه وفكره وحواسه . . كانت طويلة القامة ، رشيقة القد ، بشرتها بيضاء كاللبن ، وشعرها الأسود الطويل ينسدل إلى ما تحت ظهرها . . عيناها سودوان واسعتان ضاحكتان . . وكان وجهها مشرباً باحمرار فى لون ورد الربيع . .

لقد كان سعيد يشعر بأن شيئاً مجهولاً يجمعهما . . إنها كانت يتيمة مثله . . ماتت أمها كما ماتت أمه . . وقالت أمها وهى على فراش الموت، لصفية زغلول « أوصيك بنازلى . . إعتبريها ابنتك » .

وعاملتها صفية كأنها ابنتها كما تعامل سعيد كأنه ابنها . . وكانت صفية ترسل باستمرار العربة الحنطور إلى بيت نازلى فى الجيزة ، فتحضرها وتمضى اليوم كله مع رتيبة وسعيد ووهيبة ابنة شقيقة صفية . . وهكذا بدأ بين الولد الصغير والبنت الصغيرة تفاهم وصداقة تطورت مع الأيام إلى حب . . » [٢] .

وفى موضع آخر من هذه الرواية يؤكد مصطفى أمين على أن الشاب الذى «أحبته الملكة» نازلى قبل زواجها من السلطان أحمد فؤاد هو «سعيد زغلول » . . فيقول : « وكان سعيد باشا طويل القامة ، عريض

---

(١) من أسرار الساسة والسياسة ـ مصر ما قبل الثورة ـ محمد التابعى .

(٢) من واحد لعشرة ـ مصطفى أمين .

المنكبين، جميل الصورة . . له عينان جميلتان ، وكان الذين يعرفون سعد زغلول فى شبابه يقولون إن سعيداً كان فى تلك السنوات صورة طبق الأصل من خاله الذى كان تلك الأيام يفتن قلوب النساء . ولهذا لم يكن غريبا أن تقع نازلى فى هواه ، فهو الشاب الوحيد الذى تراه فى محيطها من غير أقربائها الشبان » .

وفى موضع ثالث يقول : « . . وفاتح سعيد شقيقته برغبته فى الزواج من نازلى . . وطلب أن تتولى إبلاغ صفية زغلول هذه الرغبة لتستأذن سعد زغلول . . فقد كان سعيد لا يجرؤ على أن يتقدم بهذا الطلب مباشرة إلى خاله . ورحبت رتيبة بأن يتزوج شقيقها من صديقتها نازلى . . ولكنها قالت : إنها تفضل أن تسأل صديقتها رأيها . وألح «سعيد» على شقيقته فى ألا تسأل نازلى ولكن شقيقته أصرت على أن تسأل نازلى أولاً . . وسألتها : فقالت وهى تضحك دعينى أفكر دقيقة ! وأمسكت نازلى ساعتها وراحت ترقب عقارب الثوانى إلى أن قطع مسافة الدقيقة ثم قالت وهى تعانق رتيبة : « موافقة جداً » .

وذهبت رتيبة إلى صفية زغلول وأبلغتها برغبة سعيد فى أن يتزوج نازلى فقالت « صفية » : إن سعيداً ابنى ونازلى ابنتى . . وأنا أرحب بهذا الزواج ولكن يجب أن أسأل نازلى رأيها قبل أن أعرض الأمر على سعد .

وذهبت صفية وأبلغت زوجها سعد زغلول . . فوافق لأن والد نازلى صديقه ، ولأن أمها كانت صديقة زوجته ، وطلب سعد من صفية أن تسأل الفتاة أولاً قبل أن يتقدم إلى أبيها ويطلب يدها «السعيد» . .

وتظاهرت صفية بأنها لم تفعل هذا بعد . . ثم عادت إليه وأبلغته أن نازلى رحبت بالزواج . . » .

وفى الفقرة الرابعة من نفس الشهادة يشرح مصطفى أمين حيثيات عدم إتمام هذا الزواج بقوله : « وتولى السلطان فؤاد عرش مصر . . وعرف السلطان الجديد أن سعد زغلول كان يتزعم المعارضين فى تعيينه سلطاناً . . فأرسل إليه صديقه « أمين يحيى » باشا التاجر الكبير بالإسكندرية ليؤكد له أن السلطان فؤاد قرر أن يتغير ، وأن يبدأ حياة جديدة ، وأنه يرغب فى تعيينه وزيراً ولكن الانجليز يعارضون ذلك ، ولكنه سيتغلب عليهم ولن يقبل أن يتلقى أوامر من الإنجليز بعد اليوم ! .

وأبلغه كذلك أن السلطان فؤاد قرر أن يمتنع عن حياة الفسق والفجور وأنه سيصلى الجمعة كل أسبوع ، وأنه يرغب فى أن يؤدى سعد زغلول معه الصلاة . ثم عاد «أمين يحيى» باشا إلى سعد زغلول ذات يوم وقال له إن السلطان الجديد يريد أن يعين عدداً من كبار سيدات مصر وصيفات فى القصر ، وأنه اختار صفية زغلول لتكون وصيفة وثار الفلاح فى سعد زغلول . . غضب أن يفكر السلطان العازب فى أن يجعل زوجة سعد زغلول وصيفة فى قصره . .

وذات مساء دعا سعد زغلول صديقه «عبد الرحيم صبرى» باشا مدير المنوفية لمشاهدة إحدى الروايات فى مسرح الأوبرا ، وفى أثناء الاستراحة سأله سعد زغلول : إنك لم تبلغنى بعد موافقتك على زواج

نازلى من سعيد ، وتلعثم «عبد الرحيم صبرى» باشا وأجاب إجابه مبهمة . . ودهش سعد زغلول ، ودهش أكثر لأنه لاحظ تغييراً لم يفهمه فى تصرفات صديقه ، فلم يعد يطيق الدعابة كما كان يفعل من قبل ، ولكنه اعتقد أن صديقه تأخر فى الرد عليه لأسباب طارئة ، ولم يعلق ليلتها أهمية على إجابة صديقه المبهمة .

ولكن سعد زغلول فوجىء فى اليوم التالى بإعلان خطبة السلطان فؤاد للآنسة نازلى كريمة «عبد الرحيم صبرى » باشا . . نازلى التى خطبها لابن شقيقه سعيد زغلول . . والتى رحبت بهذا الزواج » .

وقبل أن نسوق من الدلائل التاريخية ما يثبت صحة هذه الرواية من عدمها . . نشير فى هذا السياق إلى حقيقة نراها هامة فى حكاية نازلى والرجل الأول فى حياتها . . مؤداها أن سعيد زغلول الذى جاء ذكره فيما رواه لنا مصطفى أمين هو نفسه الأخ غير الشقيق للسيدة «رتيبة» والدة مصطفى أمين ! . وقد تعنى هذه الحقيقة الشىء الكثير فيما يتعلق بما رواه مصطفى أمين ! . إذ ربما يكون قد روى هذه الحكاية من منطلق عاطفته الخاصة حتى يلوث سمعة السلطان العجوز الذى بات همه الأول مناصبة أسرة سعد زغلول العداء . . وخطف خطيبة ابن أخيه ! .

وما يؤكد لدينا هذا الرأى أن مصطفى أمين لم يعاصر تلك الأحداث . . فلم يكن عمره فى ذلك الوقت سوى خمس سنوات . . حيث أنه من مواليد عام ١٩١٤ ، بينما تزوجت الملكة نازلى من السلطان فؤاد عام ١٩١٩ . وربما أراد مصطفى أمين من ناحية أخرى أن يربط فى روايته

السابقة بين خلافات خال والدته الزعيم سعد زغلول مع السلطان أحمد فؤاد وبين زواجه من نازلى. وقد يبدو ذلك واضحاً من قول مصطفى أمين : « وقال سعد زغلول فى حزن لأفراد أسرته : إن الكارثة التى حدثت هى أن الإنجليز رشحوا الأمير أحمد فؤاد سلطاناً على مصر . . » وفى قوله أيضاً : « وما كاد السلطان فؤاد يتولى عرش مصر حتى اصطدم بأسرة سعد زغلول . . فعندما تسلم خطاب «سعيد زغلول» بك الذى يطلب فيه من القصر أى وظيفة أخرى خارج القصر . . هاج السلطان وماج واعتبر هذا الطلب وقاحة وقلة ذوق من موظف صغير . . » .

لقد تصور مصطفى أمين وفقا لهذا الربط . . أن زواج السلطان فؤاد من نازلى عبد الرحيم صبرى . . يمكن اعتباره زواجاً سياسيا فى مقابل زواجه السابق بالأميرة شويكار الذى كان دافعه المال . . وبالتالى كان أيضاً زواجاً اقتصادياً .

وعلى أية حال . . نحن نميل بشكل قاطع إلى تأييد رواية الكاتب الصحفى محمد التابعى . . وبالتالى نعتبر أن أول حب فى حياة الملكة نازلى لم يكن «سعيد زغلول» . . وإنما كان «شاهين شريف» .

وربما يكون من أولى الدلائل التاريخية التى ساعدتنا فى هذا التأييد هو أن محمد التابعى فى الفترة التى شهدت أحداث تلك الحكاية كان صحفياً كبيراً فى جريدة الأهرام . . وكان على علاقة صداقة قوية بأحمد حسنين باشا . . الذى من المحتمل أن يكون هو مصدر التابعى فيما كتب عن هذه الحكاية كما أن الأستاذ التابعى ووفقا لرؤيته الخاصة عما

رواه لم يكن طرفاً فى نزاع سعد زغلول والسلطان فؤاد مثلما كان مصطفى أمين .

أما ثانى هذه الأدلة . . بل وأهمها . . ما ذكره الدبلوماسى المصرى عادل ثابت حين قال : « . . وقد علمت فيها بعد أن الملكة نازلى حاولت ، وهى فتاة أن تهرب مع عمى الوسيم « شاهين باشا» . . وربما كان هذ ا العمل قد سبب قلقاً كبيراً للملك فؤاد . .[٣] » .

ورغم عدم إفصاح عادل ثابت عن الاسم أو اللقب الثانى لعمه الوسيم إلى أنه ومع ذلك قد اقترب كثيراً من الاسم الذى ذكره التابعى وأشار إليه بحرفين « ش . ش» . وفى تقديرنا الشخصى أن « عادل ثابت» كان يقصد عمه «شاهين شريف» . . وقد سجل هذه الشهادة من واقع علاقته المعروفة بالأسرة المالكة . . إذ كانت عمته زوجة لحسين باشا صبرى الأخ الأصغر للملكة نازلى . . ونستطيع أن نفهم خصوصية تلك العلاقة من قوله :

« جاء الإعلان ذات مساء فى عام ١٩٤١ لدى عودة والدتى من إحدى زياراتها اليومية تقريباً عصر كل يوم إلى قصر القبة ، فقد أعلنت لنا أننا مدعوون لقضاء عيد الميلاد ورأس السنة فى الأقصر . . وسيكون ذلك نوعاً من التجمع العائلى ، حيث يختلط أعضاء من أسرة الملكة نازلى بأعضاء من أسرة فريدة . وإن كان أعضاء أسرة الملك الراحل فؤاد لن يكونوا حاضرين .

---

(١) فاروق ـ عادل ثابت . مصدر سابق .

وقد أثارنى النبأ أنا وشقيقتى « دودى» بطبيعة الحال . . ولسوء الحظ أن المجموعة لن تشمل صديقى «توتس» ولعل السبب هو أنه ابن سيدة أصبحت أميرة ، ومن ثم فإنها تنتمى إلى فريق آخر .

غير أن أعضاء الجماعة كانوا متجانسين للغاية لأنهم جميعاً أصدقاء قدامى . . ففى فريق الملكة نازلى توجد أمى ، وعمتى «شهيرة» وزوجها حسين صبرى باشا شقيق الملكة نازلى ، و«حسنين باشا» ووصيفات الملكة الأم . . ومن ناحية فريدة ستكون هناك أمها ، وزينب هانم كبيرة وصيفات الملكة ، وخالها حسين سرى باشا رئيس الوزراء وزوجته ناهد ، وابنتاهما ، وشقيق فريدة الصغير شريف ، وكذلك أحد أبناء عمها إسماعيل مظلوم . . وانطلق بنا القطار الملكى من القاهرة إلى الأقصر من محطة كوبرى القبة . . » .

● ● ●

والرجل الثانى فى الترتيب العام لهؤلاء الرجال الخمسة . . كان السلطان أحمد فؤاد . . إذا ما اعتبرنا أنه كان فى حياة نازلى رجل واحد . وكانت على علاقة به قبل الزواج . . مع اختلاف اسمه ونسبه .

وتقول بعض سطور المعرفة التاريخية المبسطة عن أحمد فؤاد . . أنه من مواليد شهر مارس على ١٨٦٨ . . وهو آخر أبناء الخديوى إسماعيل . . وأمه كانت تدعى «فريال هانم» وقد جاءت ولادته بعد تولى الخديوى إسماعيل عرش مصر بحوالى خمس سنوات . أما هو فقد تولى الحكم بعد وفاة السلطان حسين كامل فى أكتوبر على ١٩١٧ . .

وتزوج أحمد فؤاد وهو أمير لأول مرة فى عام ١٨٩٥ من الأميرة «شويكار» . . بعد رجوعه من إيطاليا واستقراره نهائياً فى مصر . أما فى عام ١٨٩٨ فقد انفصل عنها . . وظل بدون زوجة قرابة عشرين عاماً حتى التقى بالملكة نازلى وتزوجها فى مايو عام ١٩١٩ . وكان عمره آنذاك واحداً وخمسين عاماً . . وفى المقابل كانت نازلى تبلغ من العمر الخامسة والعشرين . . لأنها من مواليد عام ١٨٩٤ . ولقد ظل فؤاد زوجاً للملكة نازلى قرابة سبعة عشر عاماً . . حتى وفاته عام ١٩٣٦ .

● ● ●

ويأتى الياور « عمر فتحى» فى المرتبة الثالثة ضمن سلسلة عشاق الملكة . . بعد كل من سعيد زغلول و شاهين شريف . . ثم الملك فؤاد! . ورغم أن دور هذا العاشق لم يستمر طويلاً . . إلا أنه قد دخل التاريخ ضمن زمرة من أحبتهم الملكة ! . وكما سوف نعرف بعد لحظات . . كان ذلك الدور قاصراً على تهيئة مناخ المنافسة العاطفية وإشعال نار الحب فى صدور من كانوا حولها من الرجال الخمسة ! .

وتقول بيانات حالته الاجتماعية والوظيفية . . أنه كان يعمل فى بداية حياته ضابطاً فى حرس السلطان حسين كامل . . وبعد فترة تم اختياره وبتوجيهات خاصة من الملكة نازلى ياوراً خاصاً لابنها فاروق عام ١٩٣٧ . ثم تم تعيينه مديراً لمصلحة خفر السواحل فى فبراير عام ١٩٣٨ . . وفى عام ١٩٣٩ أنعم عليه الملك فاروق برتبة اللواء . . وبعدها تم اختياره كبيراً للياوران الملكى فى عام ١٩٤١ .

وكان «عمر فتحى» متزوجاً من سيدة تدعى «أنيسة» . . وكانت من سيدات القصر . . ومن وصيفات الملكة نازلى . . وقد انفصل عنها فى عام ١٩٥٣ وذلك قبيل وفاته بعامين .

ولقد توفى الياوران الملكى عمر فتحى فى عام ١٩٥٥ على إثر إصابته بأزمة قلبية . . وكان يعالج من الأزمات الصحية فى فرنسا . . وعندما توفى كان يبلغ من العمر الخامسة والستين . . ولم يترك وراءه على حد تعبير أحد الرواة سوى زوجة شابة جميلة فى الأربعين من عمرها .

وكان أول من أشار إلى دور عمر فتحى فى حياة العاشقين للملكة نازلى وأحد رجالها الخمسة هو محمد التابعى . . الذى عاصر أحداث انضمام ذلك الرجل إلى زمرة هؤلاء العشاق . . وقد كتب عنه يقول :

« وبقيت نازلى سجينة القصر أو فى «قفص من ذهب» سبعة عشر عاماً . . هى الربيع وخير مافى العمر سنوات الصبا والشباب . . وأخيراً قررت يوم مات «سجانها» الملك فؤاد . . وكان ربيع عمرها ولى ومن بعده الصيف أوشك كذلك أو كاد . . وانطلقت نازلى بشراهة ونهم . . تنهل من عيون الحياة . . تطفىء نار الظمأ الذى أحرق حشاها السنوات الطوال » .

ويضيف الأستاذ التابعى فى حديثه عن الياوران عمر فتحى :

وكثر الهمس . . و ذكرت أسماء بعض ضباط الحرس وموظفى القصر . . ثم تركزت الإشاعات حول اسمين اثنين هما أحمد حسنين والياور «البكباشى» يومئذ عمر فتحى . .

وما من شك فى أن ملكة مصر يومئذ نازلى كانت تريد أن تلهو بالرجلين وأن تضرب أو تضارب أحدهما بالآخر ، وأن تثير الغيرة فى صدر هذا ضد ذاك ، وأن تتلذذ بمشاهدة الغيرة والمنافسة بين رجل الحاشية الوسيم وضابط الحرس الرشيق . . وأن تعبث وتلهو .

ولقد سمعت من حسنين هذه الحكاية [والكلام لايزال لمحمد التابعى] : طلبت منه الملكة نازلى ذات يوم أن يمر عليها فى الساعة كذا لكى يصحبها إلى حفلة ما فى المساء وذهب حسنين فى الموعد المحدد ووقف ينتظر . . وأخيراً سأل عن جلالة الملكة ، وطلب من إحدى الوصيفات أن تذكر صاحبة الجلالة بموعد الحفلة وأن حسنين فى الانتظار .

وقالت الوصيفة : ولكن جلالة الملكة غادرت القصر منذ ساعة وذهبت فعلاً إلى الحفلة . . وسألها حسنين : ذهبت وحدها ؟ . . قالت الوصيفة : كلا . . فقد صحبها عمر فتحى بك » .

لقد روى لى حسنين هذه الواقعة وقال : لو سألت الوصيفة عما إذا كانت جلالة الملكة خرجت وحدها . . وأنا أعرف مقدماً أن الجواب سيكون أنها خرجت مع «عمر» فلم تكن تلك أول مرة تحاول فيها أن توقع بينى وبين صديقى « عمر فتحى » .

ومن ذلك أيضاً أنها دعت مرة عمر فتحى لكى يصحبها إلى «المكس» لتناول طعام العشاء فى مطعم هناك اشتهر بطهى أصناف السمك . . واعتذر عمر فتحى عن عدم تلبية طلبها لأن جلالة الملك متوعك المزاج

وأن عليه ـ أى عمر فتحى ـ أن يلازمه هذا المساء . وهزت نازلى كتفيها فى رشاقة ونظرت إلى الياور عمر فتحى بطرف وقالت : على كفيك إذا كنت مش فاضى . . حسنين دايما فاضى علشانى ! .

ولكن لعبتها لم تطل لأحد، فأحد الرجلين ـ عمر فتحى ـ لم تكن له مطامع ولأنه طول خدمته فى القصر كان حريصاً على أن يكون فى حاله ، وأن يؤدى واجبات منصبه فقط . . ومن ثم فقد انسحب باختياره وترك الميدان خالياً أمام حسنين . . » .

ولو حاولنا إعادة قراءة ما سجله التابعى عن هذين الرجلين فى حياة نازلى بعد رحيل زوجها . . . سوف نكتشف أنها لم تتغير عما كانت عليه من قبل زواجها بالسلطان . فقد استخدمت نفس أسلوب المضاربة برجلين فى وقت واحد لكى تحقق أعلى المكاسب . . وتلك النظرة الجديدة تجعل كاتب هذه السطور يعيد حساباته مرة أخرى فيما قيل عن حكاية الملكة وعدد من أحبتهم قبل زواجها .

لأنه من الجائز أن تلك الفتاة كانت على علاقة غرامية بكل من سعيد زغلول وشاهين باشا فى آن واحد. وأن كلاً منهما كان يتصور أنه فتى أحلامها دون غيره . . مع أنها كانت تنظر إليهما على أنهما كانا مرحلة انتقالية فى حياتها حتى يظهر الرجل الجديد . . وبالفعل حين ظهر ذلك الرجل لم تمانع من الزواج منه رغم فارق السن الكبير . . والذى وصل إلى أكثر من عشرين عاماً ! .

● ● ●

أما الرجل الرابع فى حياة الملكة نازلى فكان أحمد حسنين باشا . . رغم أن العديد من المؤرخين يعتبرونه الرجل الأول وأيضاً الأخير، إذ نجح بمفرده فى الفوز بقلبها وعقلها . . كما تمكن فى نهاية المطاف من أن يتزوجها عرفياً ! وطلق فى سبيل الفوز بتلك الصفقة زوجته إبنة الأميرة شويكار ـ الزوجة الأولى للسلطان فؤاد ـ وذلك حتى يتمكن تماماً من إحكام سيطرته على الملكة ويتفرغ لحياته الخاصة معها .

والغريب فى الحكاية أن فريقاً آخر من المؤرخين كانوا ينظرون إلى علاقة أحمد حسنين المتميزة بالملكة نازلى على أنها كانت أحد بنود خطته الطموح فى الزحف السريع نحو الفوز بأهم المناصب السياسية . . بعدما توقف به السلم الوظيفى عند درجة الأمين الأول للملك ! . وكان دليلهم إلى ما وصلوا إليه من نتائج هو أن حسنين باشا قد استطاع فى فترة وجيزة من ارتباطه بالملكة نازلى أن يصل إلى منصب رئيس الديوان الملكى خلفا لعلى ماهر الذى تم اختياره رئيساً للوزراء . بل أكثر من ذلك كانوا يرون أن العمر لو طال بأحمد حسنين سنوات أخرى لاستطاع أن يتولى منصب رئيس الوزراء .

وإذا كانت تلك هى وجهة النظر الخاصة بالمؤرخين . . فإن أحمد حسنين نفسه قد أكد لكل من حوله أن علاقته المتميزة مع الملكة نازلى لم تكن علاقة حب . . بل كانت حرصاً منه على إرضاء نزواتها . . لأنها ملكة مصر وأم ملك مصر . . وكانت صاحبة النفوذ الأعلى لدى ابنها! .

ورغم أن علاقة أحمد حسنين بالملكة نازلى . . قد طوقت الآفاق . . وبات معروفاً للعامة والخاصة أن هناك علاقة من نوع ما بين حسنين ونازلى . إلا أن زوجة هذا العاشق لم تكن تعرف بعلاقته مع هذه المرأة إلا على سبيل الإشاعات . . وظلت على ذلك عدة أشهر . . حتى تأكدت لديها الإشاعة عندما أصرت الملكة نازلى على اصطحاب حسنين معها فى رحلتها إلى أوروبا . . عندئذ طلبت منه الطلاق ، فوافق على الفور رغم حبه لها وإنجابه منها العديدمن الأولاد ! . ولسوف يكون لنا مع هذه العلاقة وقفة طويلة . . نسردها من خلال فصلين من هذا الكتاب وبكل تفاصيلها الدقيقة .

● ● ●

أما آخر هؤلاء العشاق الخمسة فى حياة ملكة مصر . . فكان هو ذلك الشاب المصرى الوسيم «رياض غالى» . الذى تعرفت عليه عندما قررت أن تهاجر من مصر لآخر مرة . وظلت بجواره . . كما ظل هو تابعاً لها إلى أن سمحت له بدخول الأسرة المالكة ، حين ارتضت أن يكون زوجاً لابنتها الصغيرة الأميرة «فتحية» . . رغم اختلاف الديانة . . والغريب أنها قد سعت بكل ما كانت تملك من نفوذ وأموال حتى ينجح هذا الزواج !!

وكان عام ١٩٥٠ . . من الأعوام الحاسمة فى مصير تلك العلاقة الجديدة التى نشأت بين الملكة وبين آخر هؤلاء الرجال . . حيث شهدت أعنف حرب أعصاب كانت قد اشتعلت بينها وبين الملك

فاروق وحاشيته . ، بل بينها وبين كل الشعب المصرى . هذه المعركة التى دارت رحاها على أرض أجنبية ما بين بعض العواصم الأوروبية وبعض ولايات أمريكا .

وعلى الرغم من كل الصعاب التى حاولوا وضعها فى طريق الملكة لمنع استمرار هذه العلاقة وإفساد مخططها الذى كان يرمى إلى تزويج رياض من فتحية . . فقد تمكنت فى النهاية من حسم ذلك الصراع لصالحها ولصالح الرجل الأخير فى حياتها .

وبالرجوع إلى تفاصيل بداية علاقة نازلى برياض غالى . . نجد أن تلك الحرب النفسية القاسية قد نشبت أوائل عام ١٩٤٧ . . كما استمرت قرابة ثلاث سنوات حتى فى عام ١٩٥٠ .

وإذا كانت الملكة قد نجحت فى حسم هذه الحرب لصالحها . . ولصالح أغراضها الشخصية . . رغم أنها كانت تعيش بعيداً فى أمريكا مع ابنتها وعشيقها الأخير . فإنها لم تستطع كذلك أن تحرز نفس النتائج فى مصر . . نظراً لتعرضها وابنتها الأميرة «فتحية» لعقوبات ملكية صارمة أدت إلى حرمانها من الألقاب والأموال .

وكما هو متبع فى منهج تقديم هؤلاء الرجال . . نسوق بعض ما توافر لدينا من معلومات عن رياض غالى . . فأبوه يدعى «بشاى غالى» وهو من مدينة أسيوط . . وكان يعمل مدرساً بمدرسة التوفيقية الثانوية . . ورياض غالى ابنه الوحيد . . الذى جاءت ولادته فى مدينة القاهرة .

ولقد دخل الرجل الأخير فى حياة الملكة دائرة الضوء مبكراً وحتى قبل

التحاقه بقبيلة عشاق نازلى . . ذلك عندما ذكره السياسى مكرم عبيد فى الكتاب الأسود . . بعد حصوله على امتيازات خاصة لوجود صلات شخصية بين والده وبين بعض قيادات حزب الوفد . .

ومن المعروف أن السياسى مكرم عبيد وضع كتابه الأسود بعد انفصاله عن الحزب فى عام ١٩٤٣ حيث ذكر فيه معظم مساوىء مصطفى النحاس . . وعلاقته برياض غالى حين قال : « لقد باع رياض غالى إلى النحاس باشا إحدى السيارات التى كان قد اشتراها من المفوضية اليابانية قبل نشوب الحرب العالمية الثانية » . وعلى أية حال سوف نلقى المزيد من الضوء على هذا الموضوع عند الحديث بالتفصيل عن العاشق الأخير فى حياة الملكة .

ولقد ذكرت المصادر الدبلوماسية عن حياة هذا الرجل الأخير أنه قد بدأ موظفاً بالقنصلية المصرية بالكونغو ثم تركها بعد فترة وجيزة والتحق بالعمل موظفاً بالقنصلية المصرية فى باريس . . وهناك بدأت علاقته بالملكة نازلى على إثر تكليفه باستقبالها فى إحدى رحلاتها الخاصة إلى فرنسا وقد نزلت بمدينة مارسيليا . . المدينة التى كان بها رياض غالى ضمن أفراد القنصلية المصرية هناك .

وبشكل عام ظل رياض غالى مرتبطاً بالملكة وبابنتها الأميرة فى الفترة من عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٥٠ بعدما ساعدت على الارتباط بابنتها بعدما ظل يعمل سكرتيراً خاصاً أثناء وجودها فى الولايات المتحدة الأمريكية .

● ● ●

ونحن على وشك أن نضع القلم فيما يخص الحديث عن الملكة وعشاقها الخمسة نود أن نشير إلى نتيجة هامة توصلنا إليها من خلال استعراضنا لعلاقتها بهؤلاء الرجال . . لقد كان كل رجل من هؤلاء العشاق يمثل دوراً حيوياً فى مرحلة من مراحل حياتها . وقد اختلف هذا الدور باختلاف الوقائع . . من حيث الزمان وأيضاً المكان . . ومن حيث الأغراض والأهداف السرية والعلنية . وعلى أية حال لايمكن استبيان ذلك الخلاف . . إلا بعد تحديد دقيق لأدوار هؤلاء الرجال وفقا لمراحل حياة الملكة . .

وفى إطار هذا السياق استطعنا التوصل لتقسيم ثلاثى لحياة نازلى . . يمكن من خلاله تتبع أحداث كل مرحلة على حدة ثم تحديد دور كل من هؤلاء الرجال الخمسة .

لقد مرت نازلى أولاً بمرحلة الشباب شأنها شأن بنات جنسها . حيث عاشت مغامرات الحب الأول . . وأمنيات فارس الأحلام . . كما بدأت هذه المرحلة تاريخياً فى حين لم تكمل عامها الثانى والعشرين . . إذا ما عرفنا إن التوقيت الصحيح لهذه المرحلة كان عام ١٩١٧ ! . ولعل من أهم ملامح هذه المرحلة . . كان قصة الحب التى عاشتها مع سعيد زغلول وشاهين شريف وذلك من قبل لقائها بالسلطان فؤاد . . كما تميزت تلك المرحلة بقلة عدد سنواتها . . إذا ما قيست بسنوات حياة الملكة فى المراحل التالية . . حيث لم تستمر سوى سنتين فقط . . وحتى بداية عام ١٩١٩ . .

أما فى المرحلة الثانية ـ مرحلة الزواج والسجن ـ فقد لوحظ ووفقا لمنهج الربط بين أحداث التاريخ وجود نوع من التلازم الغريب فى كل من الزواج والرحيل إلى السجن . . هذا التلازم اتضح بصورة جلية فى التوقيت من حيث البداية وأيضاً من حيث النهاية .

ويقول التاريخ ان واقعة زواج السلطان فؤاد من الآنسة نازلى قد تمت فى مايو عام ١٩١٩ . . وبعد سبعة أشهر أو يزيد قليلاً التقى حادث الزواج بالحادث الثانى الذى قضى بدخول نازلى إلى سجن الحريم ! وذلك على إثر الفرمان السلطانى باعتقال الملكة فى قصر القبة . والملاحظ أن كلا من الحادثين قد تساويا فى الزمن مع فارق بسيط تمثل فى شهور قليلة ، وفى منتصف عام ١٩٣٦ انتهت وقائع الحادثين معا على إثر رحيل الملك فؤاد .

ولقد اتسمت تلك المرحلة بالإضافة إلى ذلك بالقسوة والدموع وعذابات السجن والوحدة والغيرة . . الأمر الذى ترك آثاراً معاكسة لازمتها فى حياتها وظلت مرتبطة بها حتى يوم وفاتها .

وأما المرحلة الثالثة التى شهدت الانطلاق والهجرة والموت . فقد عاصرت الملكة خلالها أعنف المغامرات التى انتهت بمأساة مقتل ابنتها الأميرة فتحية ! . كما كانت كل أحداثها الشاهد الحقيقى على انطلاق الملكة إلى كهوف الرذيلة ومستنقع الأخطاء . . والخروج على مقتضى الأعراف والقوانين وما نص عليه الدين الإسلامى .

والغريب أن هذه المرحلة قد ارتبطت أيضاً بعدة تواريخ . . وشهدت

أحداثا كان أبطالها رجلين من الرجال الخمسة . ولقد بدأت زمينا فى الفترة من منتصف عام ١٩٣٦ واستمرت حتى عام ١٩٧٦ . . وكان الرجل الأول أحمد حسنين باشا الذى ظل على مسرح هذه الأحداث حتى يوم رحيله فى عام ١٩٤٦ . وأما الثانى فكان رياض غالى الذى استكمل مسيرة العشق فى حياة الملكة من عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٧٦ . كما شهدت هذه المرحلة فى عام ١٩٧٨ رحيل الملكة نازلى نفسها . ولقد تفوقت هذه المرحلة بطول سنواتها حيث وصلت إلى اكثر من ثلاثين عاماً كما اتسمت بعنف أحداثها وخطورتها فى حياة الملكة وحياة كل من كانوا حولها سواء فى مصر أو فى خارجها .

الفصل الرابع

وكان الرجل الثانى ..
والزوج الأول هو السلطان !!

نستطيع أن نؤكد وفقا للتقسيم الزمنى السابق عن حياة ملكة مصر والتى مرت بمراحل ثلاث ـ بدأت بالحب ثم بالزواج وانتهت بالهُجرة ـ أن هذه الملكة كانت دائما تضع رغباتها فوق مشاعرها وفوق عواطفها بصرف النظر عن كون تلك الرغبات مناسبة لفتاة في مثل سنها .. وارتباطها بالأحلام الوردية والبحث عن الفارس الذى سوف يختطفها بين ذراعيه .

لقد عاشت الملكة نازلى قرابة سنتين فى قصة حب عنيفة .. بدأت أحداثها فى بيت زعيم الأمة سعد زغلول .. وانتهت فى بيت أحد أقاربها ليلة زفافها ! . ولولا بريق التاج وأحلام الجلوس على عرش مصر المحروسة لما استسلمت لطموحات أسرتها ووافقت أن تتزوج من السلطان .. رغم معرفتها بكل مساوئه وأخطائه وأيضا فارق السن الكبير ! .

وعندما نستعرض حياة الملكة نازلى . . قبل أن نقلب فى أوراق التاريخ لمعرفة تفاصيل حكاية الزواج فى حياتها . . نكتشف وللمرة الثانية أنها عاشت فترة انعدام غير قصيرة صاحبت قبولها المتسرع الزواج من السلطان أحمد فؤاد ، وكان يتنازعها آنذاك رغبات ثلاث اتسمت بالعنف والأمل فى آن واحد .

ولقد تمثلت الرغبة الأولى فى أحلام الصبا وأمنيات الفوز بكل ما كانت ترجوه أية فتاة كانت فى مثل عمرها ! . كما تمثلت الرغبة الثانية فى أمنية الزواج التى كانت كثيراً ما تتلاحم وتتزاحم على طريق جذب أحلام الحب إلى واقع تراه بعينها وتعيشه بأحاسيسها .

ثم ثالث تلك الرغبات فقد تمثلت فى قوة السلطان وحب التملك والاستحواذ على الغير حتى ولو كان على ملك البلاد نفسه . ولاشك أن هذه الرغبة وبكل عناصرها كانت متأصلة فى جذورها منذ وصول جدها الأكبر إلى مصر .

والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا السياق . . وهل استطاعت نازلى أن تفلسف كل طموحات حياتها السرية والعلنية وفق تلك الرغبات . . أم لم تنجح فى ذلك ؟! .

وبشكل عام . . يعتقد بعض علماء النفس والاجتماع أنه ليس من الضروى أن تحقق المرأة ـ أية امرأة ـ نجاحات متساوية فى مجال حصد هذه الرغبات . وإنما المتاح فى حياتها الطبيعة يتمثل فى تحقيق رغبتين على الأكثر ! . سواء الحب والزواج . أما رغبة السلطان وحب التملك فهى

عادة مايكون تحقيقها مقصوراً على المرأة التى تمتلك بعض المؤهلات المطلوبة والتى تعينها على ذلك .

وفى حالة الملكة نازلى . . فإن واقع حياتها وسلوكياتها العامة والخاصة قد أثبت تمكنها الفعلى والعملى من تحقيق هذه الرغبات الثلاث فى آن واحد . . وهى بذلك قد خالفت معظم القواعد العامة المتعارف عليها فيما يخص حياة المرأة .

لقد ظلت نازلى لفترة غير طويلة تبحث عن شاب بمواصفات خاصة يمكن أن يلعب فى حياتها دور فارس الأحلام ولم يكن فى حسبانها أن ذلك الشاب ، يمكن أن يمثل دور الزوج ! . بدليل أنها ظلت تعيش أحلامها الوردية مع هذا الفارس حتى ظهر فى حياتها الرجل الذى رأت فيه إمكانيات تؤهله لأن يلعب دور الزوج . . رغم أنه لم يكن بالمواصفات المتعارف عليها والتى تثير شغف النساء ! . بل كان فقط يتصف بالقوة والسلطان . ولفترة طويلة حاولت خلالها المحافظة على ذلك الزوج الذى صور لها القوة والسلطان . ولكنها . . وبعد فترة اكتشفت أن تلك القوة وذلك السلطان كان مجرد كلمات يرددها الناس فى الاحتفالات الرسمية . . ويقرها الدستور وقانون البلاط .

وكان دوام الحال داخل ذهن الملكة نازلى من المحال . . فبعد أن اكتشفت سراب السلطان بعد سراب الزواج . . راحت تبحث من جديد عن الحب المفقود . . الذى تصورته سوف يقودها إلى الزوج المأمول!.

لذلك نجد أن فترة اعتقالها داخل سجن حريم قصر القبة ولمدة سبعة عشر عاما كانت بحق من أخصب فترات إعداد نفسها للعودة إلى الانطلاق بقوة نحو استعادة عرش الحب والزواج ، وفقا لما كانت تتمناه كامرأة وليست كملكة ولفرط ذكائها . . لم تفكر فى الإقدام على تلك الخطوة إلا بعدما ثبتت أقدامها فوق العرش . .

ولعل من المصادفات التاريخية النادرة . . والتى صعبت من مهمة نازلى فى حياتها الزوجية مع سلطان البلاد . . أنها حين سارعت بالموافقة على الزواج منه بعدما رفضت الحب . . وقعت أحداث ثورة ١٩١٩ . ولانعرف حتى هذه اللحظة . هل كانت الآنسة نازلى على علم بتلك الأحداث ، أم فوجئت بها . . ؟ ! . لكن الشىء المؤكد أنها كانت على علم مسبق بمساوىء السلطان وموقفه العدائى من الشعب .

وعلى أية حال . . لقد كانت أحداث ثورة ١٩١٩ ، وموقف أحمد فؤاد المعادى من الثورة ومن زعيمها سعد زغلول . . من الأسباب الرئيسية لازدياد السخط الشعبى والكراهية ضده وضد زوجته الملكة . هذه الكراهية هزت أركان القصر وانتشرت فوق ألسنة الناس .

ولسوف نعرف بعد قليل كيف ساهمت الملكة نازلى ولوبطريق غير مباشر فى إشعال نيران ثورة ١٩١٩ . . بل وكانت أكثر من ذلك . . الوقود المشع الذى ساهم فى ازديادوهج تلك الثورة ! كما سوف نعرف كذلك . . كيف تركت أحداث هذه الثورة سحابات سوداء فوق جباه كل من كانوا من حول السلطان وحاشيته . . الأمر الذى أثر بشكل

مباشر على مراسم هذا الزواج مما اضطره لإقامة حفل عرسه فى سرية وكتمان غير مسبوق .

ولعلنا نجزم باجتهاد شخصى أن التكتم الذى صاحب زواج نازلى من السلطان كان دافعها الحقيقى لإقامة احتفال رسمى وشعبى كبير فى مناسبة زواج ابنها فاروق . . هذا الاحتفال الذى استمر قرابة سبعة أيام والذى شارك فيه كل الشعب المصرى مجبراً .

ولتأكيد تلك الرغبة فى نفس الملكة نازلى فيما يخص حاجتها للعيش فى أفراح زواجها ولوبطريق غير مباشر . . ننقل هنا صورة صادقة لتلك الاحتفالات الكبيرة التى أقامتها بمناسبة زواج ابنها من الملكة فريدة والتى حرصت بنفسها على تسجيل وقائعها فى أوراقها الخاصة والتى حكت لنا من خلالها العديد من التفاصيل المرتبطة باحتفالات القصر والسرايا فى يوم زفافها . . وكأنما تحكى لنا وللتاريخ بصوت الملكة نازلى . .

ففى يوم الخميس ٢٠ يناير ١٩٣٨ تم عقد القران بقصر القبة وإرتديت فى تلك الليلة فستانا صنع خصيصا فى باريس من خيوط فضيةوالدانتلة الفرنسية الجميلة وبأكمام طويلة وذيل قصير صنعه أشهر محل أزياء بباريس . . وهو محل « ورث » . وكذلك ارتديت « مانتو » من قماش خفيف مفضفض تكون منه الذيل الذى بلغ طوله ١٥ قدماً ومغطى بالتلى الخفيف . . لقد كان الفستان رائعا وجميلاً .

هذا اليوم . . بل هذه الأيام كانت أشبه بالأحلام ، وكأننا نعيش فى

السماء . . الزهور والموسيقى والهتاف بحياتنا فى كل مكان . . والحب فى عيون أفراد الشعب . . فالجميع سعداء . . والقصور والوزارات ، والهيئات والزينات تلف مصر كلها ، ولا أعتقد أن هناك زواجاً كان بمثل هذه الفخامة والجمال ومشاركة جميع أفراد الشعب حتى الشركات والمنازل . . فكل بيت مزين بالورود وعناقيد الكهرباء . . كما استقبلت القاهرة وفوداً من مختلف المديريات والأقاليم . . الكل جاء يعبر عن تهنئته ، ويظهر حبه وولاءه . . ومواكب الزهور فى كل المدن . . لقد كانت حفلات الزفاف الشعبية شيئا شبيها بالأساطير . .

ولقد استمرت هذه الاحتفالات الرسمية ثلاثة أيام وثلاث ليال ، أظهر الشعب كل الحب والولاء . . وكانت مصر كلها كأسرة واحدة قوية وكأنما كل أسرة تزوج ابنها أو ابنتها . [١]»

ولسوف نلاحظ من خلال سردنا لمراسم زواج نازلى من فؤاد . . كيف اختلفت هذه الصورة شكلاً وموضوعاً . . مع أن الفارق الزمنى بين الحادثين لم يكن سوى ١٩ سنة ! .

لقد سبق وذكرنا أن السلطان فؤاد اضطرته الظروف السياسية إلى أن يقيم أفراح عرسه على نازلى فى سرية وتكتم . . خوفاً من الهياج الشعبى . . إلا أنه سمح لبعض الصحف الملكية المؤيدة له . . بنشر بعض مقتطفات من مراسم هذا الفرح . . بناء على بيان رسمى أصدره القصر . . فيما يشبه البيان العسكرى .

---

(١) فريدة ملكة فصر ـ فاروق هاشم .

وعلى الجانب الآخر . . بل وكان على النقيض . . ما أذاعته بعض الصحف المعارضة للسلطان فؤاد . عن هذا الزواج . . ولجوء تلك الصحف إلى الربط بين أحداث ثورة ١٩١٩ . . وأحداث تلك الليلة التى خطف فيها سلطان البلاد زوجته من أحضان الحبيب الذى تمنت أن تتزوجه بعيداً عن كرسى العرش ! .

والمثير أن تلك الصحف قد نجحت فى نقل معركتها مع السلطان فيما يخص هذا الزواج إلى الشارع وإلى هتافات الجماهير .

فمن بين الصحف المصرية المؤيدة للسلطان والتى أشارت لهذا الزواج فى حينه كانت . . مجلة «مسامرات الشعب» لصاحبها وناشرها خليل صادق ، الذى نشر خبراً تحت عنوان « القران السلطانى السعيد ـ بلاغ من القصر السلطانى » جاء فيه :

نظر حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر المعظم بعين الحكمة العالية الدينية إلى وجوب التمسك بما وصى به الدين الحنيف فى أمر الزواج والاهتمام به عملاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى وفقه الله وأسعد أيامه إنجاز ماعقد عليه عزمه الشريف نحو ذلك وتم عقد القران السلطانى السعيد بقصر البستان فى صبيحة يوم أمس السبت المبارك الموافق ٢٤ من شعبان سنة١٣٣٧هـ ٢٤ من مايو عام ١٩١٩ . على سليلة بيوتات المجد والشرف حضرة صاحبة العظمة السلطانة نازلى . .

وقد تولى مولانا السلطان أيده الله قبول العقد بنفسه إجلالاً لأحكام

الشريعة المطهرة حيث كان الوكيل عن عظمة السلطانة حضرة صاحب المعالى والدها الماجد عبد الرحيم صبرى باشا وزير الزراعة حالاً بشهادة كل من حضرات أصحاب المعالى محمود شكرى باشا رئيس الديوان العالى السلطانى وسعيد ذو الفقار باشا كبير أمناء الحضرة المعظمة السلطانية .

ولقد باشر صيغة العقد المبارك حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد ناجى رئيس المحكمة الشرعية بحضور حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد هارون رئيس محكمة مصر الابتدائية الشرعية .

وكان فى مقدمة المحتفلين بهذا العقد السعيد حضرة صاحب السمو السلطانى الأمير كمال الدين حسين وحضرات أصحاب السمو الأمير محمود حمدى والأمير على حيدر فاضل والأمير يوسف كمال والأمير عمر طوسون .

وحضره أيضا صاحب الدولة محمد سعيد باشا رئيس الجمعية التشريعية وحضرات أصحاب المعالى الوزراء وكبار رجال الدولة والحاشية السلطانية رافعين أصدق عبارات التهانى الخالصة ، والدعوات الصادقة لعظمة مولانا السلطان جعله الله قرانا سعيدا محفوفا باليمن والبركات عائدا على البلاد بالخير والسعادات بجاه سيد العرب والعجم القائل إنى مباه بكم الأمم [٢]» .

والملاحظة الهامة فى هذا السياق أن معظم الصحف أو المجلات التى

(٢) مسامرات الشعب ـ مجلة أسبوعية ـ الأحد ٢ مايو ١٩١٩ !

صدرت فى هذا الوقت والمؤيدة للسلطان أو المحايدة لم تخرج عن نشر نص هذا البيان حيث التزموا به دون إضافات . . وإن كانت هناك بعض الصحف التى أضافت بعض المعلومات الخاصة بالعروس وبزوجها السلطان . . فعلى سبيل المثال نشرت مجلة « اللطائف » المصورة معلومات عن فؤاد جاء فيها : أن السلطان أحمد فؤاد ولد فى القاهرة فى ١٦ مارس عام ١٨٦٨ وهو النجل الأصغر للخديوى إسماعيل . . تلقى علومه فى مدارس سويسرا وإيطاليا ، ودخل المدرسة الحربية العليا بإيطاليا ومدرسة المدفعية فى مدينة « تورينو» وتخرج فيها برتبة ملازم ثان .

انتظم فى الجيش الايطالى وعين ضابطاً فى آلاى المدفعية الثالث عشر وكان فى مقدمة المرشحين لعرش ألبانيا عندما نادى الألبانيون باستقلالهم قبل نشوب الحرب العظمى الأولى . .

أسس جامعة فؤاد الأول والجمعية الجغرافية الملكية والجمعية الاقتصادية السياسية ومدرسة الفنون الجميلة وغيرها . كما ساعد على إنشاء جمعية الإسعاف وجمعية الهلال الأحمر وسواهما من الجمعيات الخيرية وقد اعتلى العرش فى ١١ اكتوبر على ١٩١٧[٣] .

أما مجلة « الدنيا المصورة» فقد نشرت معلومات خاصة بالملكة نازلى جاء فيها : « أن جلالة السلطانة ولدت يوم الاثنين ٢١ ذو الحجة عام ١٣١١ هـ الموافق ٢٥ يونيه على ١٨٩٤ فى قصر والدها عبد الرحيم باشا صبرى فى رمل الإسكندرية . ووالدتها هى كريمة محمد شريف باشا

---

(٣) مجلة اللطائف المصورة ـ العدد ـ ١٤١ ـ ٢٢ أكتوبر عام ١٩١٩ .

رئيس الوزراء الأسبق وأحد رجال مصر الذين لهم تاريخ عظيم . وهو من طبقة الأشراف الذين يرجع نسبهم إلى النبى محمد عليه الصلاة والسلام . . ولها أخوان وأختان . . أكبرهم حسين باشا صبرى . . ثم تليه جلالة السلطانة . . ثم صاحب المقام الرفيع شريف باشا صبرى . . أما الأختان فإحداهما كانت زوجة النبيل عادل طوسون ، وقد توفيت منذ فترة . . أما الثانية فكانت هى الصغرى . . وقد تعلمت السلطانة فى أول نشأتها بالمدارس الفرنسية ، كما تعلمت الدين الإسلامى على يد الشيخ « سيد ثابت » وتعلمت من والدتها العزف على العود . . وكان معلمها هو الشيخ على الليثى .

وتجيد السلطانة نازلى فن التصوير بالزيت والتصوير الفوتوغرافى . . ومن أهم صديقاتها السيدة أم المصريين . . وترجع صداقتهما إلى عهد الطفولة . . فقد كانت أم المصرين صديقة حميمة للسلطانة ووالدتها » .

وبعد مرور أكثر من عشرين عاماً على زواج نازلى من الملك فؤاد . . نشرت إحدى المجلات وصفاً دقيقاً لمراسم هذا الزواج . . كتبه أحد موظفى القصر الملكى . . كشاهد عيان على الزفاف السلطانى . . فقد نشرت مجلة آخر ساعة عام ١٩٣٧ تقول عن هذا الوصف : « كان المغفور له عبد الرحيم صبرى باشا مديرا للمنوفية من عام ١٩١٣ حتى عام ١٩١٧ ، وفى تلك الأثناء توطدت العلاقة بين المغفور لهما جلالة الملك فوءاد وعبد الرحيم صبرى باشا . . ولما تولى الملك فؤاد سلطنة مصر عين عبد الرحيم صبرى باشا محافظاً للعاصمة ، وطلب المغفور له الملك فؤاد منه يد ابنته الكبرى الآنسة « نازلى » .

ومع أن الملك فؤاد كان سلطانا على البلاد ، إلا أن المغفور له عبد الرحيم باشا لم يقبل أن يبت فى الموضوع إلا بعد استشارة كريمته وجعل لها الرأى الأول والأخير . ولما عرض عليها ذلك الأمر قبلت الآنسة نازلى . .

ومن المصادفات الظريفة أن الوزارة استقالت قبل عقد قران الملك فؤاد بثلاثة أيام . . وألف المغفور له محمد سعيد باشا الوزارة الجديدة واختار المرحوم عبد الرحيم باشا صبرى وزيراً للزارعة .

وقد يدهش القراء إذا علموا أن عبد الرحيم باشا رفض دخول الوزارة . . وقال إنه يفضل منصب محافظ مصر على منصب الوزارة وأنه لايحب الاشتغال بالسياسة ، وأخيراً تدخل المغفور له الملك فؤاد وألح على عبد الرحيم باشا . . حتى قبل دخول الوزارة ! ! .

وفى صباح يوم السبت ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ كنت ترى أمام سراى البستان ـ بشارع الحوياتى [٤] ـ صفوفاً من السيارات والعربات فإذا سألت عن الخبر قيل لك هذا « فرح السلطان » .

وقد كان فرح السلطان بسيطا للغاية . . فقد جلس المدعوون فى القاعة اليمنى بالسراى ، التى كانت فى وقت من الأوقات غرفة الاستقبال فى وزارة الخارجية ، وكان يستقبلهم صاحب المعالى محمود باشا شكرى رئيس الديوان الملكى فى ذلك الحين .

---

(٤) شارع البستان الآن والقريب من باب اللوق .

وكان المنتظر أن الذى سوف يتولى صيغة العقد هو الشيخ« أبو الفضل الجيزاوى » شيخ الأزهر خصوصا وأنه قبل ذلك اليوم بعشرة أيام تقريبا تولى صيغة العقد بين سمو الأميرة فوقية ومعالى محمود فخرى باشا . . ولكن الشيخ «أبو الفضل » كان مصاباً ببرد شديد ، وأراد أن يخرج رغم ذلك لعقد القران . فلما علم بذلك السلطان منعه من الحضور .

وباشر صيغة العقد مكانه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ « محمد ناجى » رئيس المحكمة الشرعية العليا فى ذلك الحين بحضور الشيخ «أحمد هارون » رئيس محكمة مصر الابتدائية الشرعية فى ذلك الوقت .

ورفض المغفور له الملك فؤاد أن يعين لنفسه وكيلا ، بل أصر على قبول العقد لنفسه بنفسه إجلالا للشريعة الإسلامية وأحكامها . . وكان الوكيل عن جلالة الملكة نازلى والدها المغفور له عبد الرحيم صبرى باشا. وكان شاهدا العقد صاحب المعالى محمود باشا شكرى رئيس الديوان العالى السلطانى وسعيد باشا ذو الفقار كبير أمناء المعظمة السلطانية فى ذلك الحين .

وحضر هذا الحفل أصحاب السمو الأمير كمال الدين حسين والأمير محمود حمدى والأمير على حيدر حجازى والأمير يوسف كمال والأمير عمر طوسون والمغفور له محمد سعيد باشا رئيس مجلس الوزراء فى ذلك الحين ، ويوسف وهبه باشا وتوفيق نسيم باشا وأحمد ذو الفقار باشا وجميع أعضاء الوزارة السعيدية وحضره كذلك المغفور له أحمد مظلوم باشا بصفته رئيس الجمعية التشريعية ومعالى محمود فخرى باشا وكان الأمين الأول «للحضرة

السلطانية » . . وكان من بين الحاضرين حسين أفندى صبرى وشريف أفندى صبرى وكبار رجال الحاشية السلطانية .

وقدمت أكواب الشربات الأنيقة وعلب الملبس الثمينة وتفضل المغفور له جلالة الملك وأهدى الشيخ محمد ناجى ساعة من الذهب المرصع بالماس ومبلغ مائتى جنيه ، وقدم كذلك للشيخ أحمد هارون هدية ثمنية . ولم تقم حفلة زفاف أو مغن ، بل اكتفى بسهرة خاصة حضرتها شقيقات الملكة . وفى اليوم التالى أذاع ديوان كبير الأمناء بلاغا رسميا عن هذا الزواج » .

وكانت أول برقية تهنئة من ملك تلقاها المغفور له الملك فؤاد هى من جورج الخامس وهذا هو نصها : « صاحب العظمة سلطان مصر . . أرجو من عظمتكم أن تتفضلوا بقبول صادق تهانى وأحسن أمانى بمناسبة زواج عظمتكم . . وأدعو الله أن يكون هذا القران الميمون مبشراً بعودة النظام والاطئمنان فى مصر وطالع سعد لخير البلاد ومستقبلها . إمضاء ـ جورج الملك والإمبراطور » . .

فرد عليه المغفور له الملك فؤاد ببرقية قال فيها :

« صاحب الجلالة الملك ـ لندن : أرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول فائق تشكراتى للتمنيات والتهانى اللطيفة التى تفضلتم بتوجيهها إلى لمناسبة قرانى ولما أعربتم عنه من أمانى الخير والسعادة لمستقبل مصر ـ فؤاد ـ »(٥) .

●●●

(٥) مجلة آخر ساعة المصورة العدد ١٦٠ الصادر عام ١٩٣٧ .

وأول ما يتبادر للذهن بعد هذا الاستعراض السريع هو معرفة تأثير إرهاصات ثورة ١٩١٩ على السلطان وعلى الزوجة التى عاشت فى خوف ورعب خلف جدران القصور العالية ـ وهى التى كانت بالأمس القريب تعيش بين الشعب وفى بيت الأمة وزعيم هذه الثورة ! ـ ذلك لأن زوجها السلطان فؤاد كان عليه ووفقا لتلك الظروف السياسية المعاكسة أن يؤجل كل ارتباطاته الشخصية . . ولكن له العذر . . ذلك لأن الإحساس الوطنى كان لديه مفقوداً على طول الخط . . بل كانت سلوكياته وتعاونه مع قوات الاحتلال الانجليزى أحد الأسباب القوية لاندلاع تلك الثورة! . وكأنما كان يقول لرعاياه أن احتفاله بيوم زواجه فى توقيت اندلاع الثورة . . كان يعنى عدم المبالاة المصحوبة بطمأنينة الفشل ! .

ولكن على غير ما توقع السلطان نجحت ثورة ١٩١٩ . . وكان خبر زواجه من نازلى أحد بنود هذه الثورة . . إذ أخذ الناس فى الشوارع يهتفون ضد السلطان الذى اختطف إحدى بنات الشعب والتى كانت تصغره بعشرات السنين زوجة له . . مما جعل صحف المعارضة . . تتناول قصة هذا الزواج بشىء من السخرية اللاذعة ... وكان على رأس تلك الصحف والمجلات مجلة « المسلة » لصاحبها الشاعر الفنان بيرم التونسى .

ويصف لنا محمد التابعى موقف تلك المجلة وصاحبها من زواج السلطان فيقول فى مقدمة هذا الوصف :

لقد كانت نظرة الشعب المصرى فى ذلك الوقت نظرة زراية وسخط

واستخفاف على السلطان ثم كانت سلسلة المسكنات والمرطبات والمهدئات من دستور وبرلمان وتمثيل سياسى ومقاعد وزارية ومقاعد برلمانية ووظائف سياسية ودبلوماسية ازدحم رجالات مصر وتكالبوا عليها! .

وهدأت ثورة الغضب واستكان الشعب واستطاع أحمد فؤاد أن يملك ويحكم سبعة عشر عاماً ، وأن يصبح ابنه ملكا محبوبا يدعو له الشعب بالعزة والتأييد (٦) .

ويستطرد الأستاذ التابعى فى شهادته عن ردود فعل الناس تجاه زواج السلطان من نازلى . . بقوله واتصلت بالأستاذ الأديب بيرم التونسى وسألته أن يبعث إلى ببعض أزجاله مع كلمة منه عن الظروف التى كتبت فيها هذه الأزجال .

وقال الأستاذ بيرم : إنه يذكر منها فقط زجلين الأول عن زواج أحمد فؤاد ونازلى . . والآخر عن مولد فاروق وما أحاط بالحادثين من شكوك وإشاعات (٧).

وتفضل وكتب إلى يقول : أخى . . طلبت إلى أن أحدثك عن ثورة عام ١٩١٩ ، كانت يا ولدى ثورة من النوع الذى لا يبقى ولا يزر . . ولقد تركها الإنجليز تتأجج وتتآكل إلى أن يخمد أوارها ثم يعالجونها بالطرق الناعمة . أيقن الشعب أن أمانيه الوطنية أصبحت فى يديه وقال

---

(٦) أسرار الساسة « والسياسة » ـ مصدر سابق .

(٧) المصدر السابق .

الإنجليز . . « نعم . . وها هو سلطانكم المستقل وبرلمانكم ما عليكم إلا إرسال السفراء والقناصل إلى كافة نواحى العالم . . » .

وكانت جريدة المقطم لسان القائد العام الإنجليزى بدأت تتحدث عن الأمير أحمد فؤاد الذى سوف يسند إليه منصب خطير فى الدولة المصرية . . وتساءل الناس عن الأمير فؤاد لأن رجال ذلك البيت وأميراته لم يكونوا يومئذ موضوعاً تخوض فيه الصحف إلا بقدر معلوم . فقال القائلون . . آه . . أحمد فؤاد المغامر الذى لا ترحب به أندية القمار لأنه مفلس ولا يسدد ديونه ! . أحمد فؤاد الذى يركب الحنطور ولا يدفع للحوزى أجرته. أحمد فؤاد الذى يفتح منازل أصدقائه ليلاً ويطلب الطعام ! .

وذات يوم مر موكب عظمة السلطان أحمد فؤاد من شارع رأس التين . . وقد جلس فى مركبته التى تجرها ستة من الجياد وفى شمائل وزينة القرون الوسطى . فلما مضى الموكب أخذ الشعب السكندرى يقول : «عامل زى قبانية مينا البصل . . ده أصله شيخ زامة . . إلى آخرة ! .

وأدرك العارفون أن الحركة الوطنية قد تحولت إلى زفة . . عريسها السلطان أحمد فؤاد وموائدها كراسى البرلمان ووظائف السلك السياسى . ثم أذاعت جريدة المقطم عزم السلطان « التقى » على الزواج . . ودقت طبول العرس بين ضجيج المعارك القائمة بين البوليس بقيادة ضباطه الانجليز وبين جماعات الشعب فى كل عاصمة وقرية .

وأخذ الناس يتحدثون عن العروس « نازلى صبرى » وأسرتها وجدها

الأول . . وكيف خُطفت ؟ وكيف حُبست ؟ ! وكيف هربت ؟ ! . واختلطت أحاديث الناس عن زواج السلطان بأحاديثهم عن بطولة البلاد التى قامت فيها الثورة . ما أشجع طنطا . . وما أعظم وطنية دمنهور ، ولله در أسيوط ومدن الصعيد . ولم أسمع من يقول « لله در الأنفوشى » وهو مسقط رأسى فى حى رأس التين ، وفيه يعيش منذ ٥ آلاف عام أرذل أنواع البشر كما قال علماء الشعوب .

ولم أكن من هواة تحطيم المصابيح أو اشعال النار فى الترام لأنى لا أحب أن أموت « فطيس » برصاصة عسكرى . . ولكننى أردت أن أشارك الثورة ، وطبقت فرخ « ورق جاير الجاير » على ثمانية أوجه وسميته « المسلة » . . ولما كان بدون رخصة كتبت فى الرأس « المسلة . . لا جريدة ولا مجلة » . .

ولكن ماذا أكتب فى « المسلة » وأنا لا أعرف شيئا فى الدساتير أو فى السياسية . . ؟ ! سلكت طريقة فتوات الأنفوشى عندما يقررون هدم العرس يكفى أن تحطم « الكلوب » أو تضع لغماً تحت « الموتور » الذى يدير المصنع ، لكى يمسى العرس فى ظلام دامس ، ويتعطل المصنع كله عن العمل . والموتور هو السلطان أحمد فؤاد . . والمناسبة حاضرة وهى قصة نازلى وما يقال عنها ، وعن ظروف زواجه بها .

ومن هنا كانت افتتاحية « المسلة » وهى على وزن أغنية سورية كانت قد جاءت حديثاً إلى مصر وانتشرت فيها ومطلعها : « مرمر زمانى . . يا زمانى مرمر . . قلبى تولع فى هواك ياالاسمر » . . ولها نغمة عذبة مرسلة

لذلك لم تحتاج البامية السلطانى إلى ملحن أو موسيقار وكانت هذه هى الأنشودة :

البنت ماشية من زمان تتمخطر

والغفلة زارع فى الديوان قرع أخضر

يا راكب الفيتون وقلبك حامى

اسبق على القبة وطير قدامى

تلقى العروس شبه محمل شامى

وجوزها يشبه فى الشوارب عنتر

***

وحط زهر الفُل فوقها وفوقك

وهات لها الشبشب يكون على ذوقك

ونزلو النونو القديم من طوقك

يطلع فى طوعك الولد يكبر

ويوم ما ينزل بالجاكته الكاكى

والستة خيل والأمشجى الملاكى

تسمع قولتها أوف أوه يا وراكى

العافية هبلة والجدع متشطر

الوزة من قبل الفرح مربوطة

والعطفة من قبل النظام مفتوحة
ولما جت تتجوز المفضوحة
قلت اسكتوا وخلو البنات تتستر
مرمر يا زمان مرمر !

ويقول الأستاذ التابعى ان الإشارات والتلميحات مفهومة . . فالبنت هى « نازلى » والغفلة هو أحمد فؤاد وكانت شواربه مبرومة مدببة الأطراف . . وأما النونو القديم ، والعطفة والوزة فأمرها متروك لذكاء القراء .

ويبدو أن الأستاذ التابعى قد أغفل جانبا من هذه القصيدة وهو الجزء الأول منها والتى تقول كلماتها :

البامية فى البستان تهز القرون
وجنبها القرع الملوكى اللطيف
والديدبان داير يلم الزبون
صهين وقدم وامتثل يا خفيف
مرمر يا زمان مرمر !
وربة الجارية تجيب الرغيف
شوف الميراث حصل ولاد البطون
ودخل الأغراب فاميلية على

***

يــــا بــــاديشـــاه دنت إبنـــك ظهـــــر

ربــــك يبيـــارك لك فـــى عمر الغـــلام

نـــزل يلعلط تحت بــــرج قمـــــــــر

يــا خســـارة بس الشهــر كان مش تمـــام

و « الفاميلية على . . » معناها أسرة محمد على . . و « باديشاه » كلمة فارسية أو تركية ومعناها « السلطان » والشهر كان مش تمام ، ليست فى حاجه إلى تفسير . . ومعناها أن فاروق ولد قبل مضى تسعة أشهر على الزواج .

●●●

وإذ كان بيرم التونسى فى مقدمة الذين أصابهم الهوان فى حياته الخاصة من جراء زواج السلطان من نازلى ، كأحد أفراد الشعب غاضب فإن الزعيم سعد زغلول وأسرته . . وكل من حوله كانوا كذلك من الذين أصابهم قدر من هذا الضرر بعد حادث الزواج . . مع اختلاف النتائج وأيضاً التوقيت والأسباب ، ولقد حاول العديد من المؤرخين أن ينقلوا للتاريخ وصفا دقيقا لذلك التأثير . . وكان سبيلهم إلى ذلك ما كتبه مصطفى أمين . . لما كان يتمتع به من علاقة خاصة بأهل بيت الأمة بصرف النظر عن سابق ما ذكرناه بخصوص علاقة الحب التى كانت بين سعيد زغلول والآنسة نازلى . .

وكان علينا أيضا أن نسوق ما ذكره هؤلاء المؤرخون سواء ما جاء على

لسانهم أو على لسان من نقلوا عنه . . لا لشىء إلا لتوضيح مدى تأثير هذا الحادث على الشعب المصرى بكل طوائفه . . الأمر الذى يبين لنا بجلاء مقدار الكراهية التى أحاطت بالملكة نازلى فور دخولها قصر عابدين . . وارتدائها الثوب والتاج الملكى . . وعلى أية حال سوف نشعر بمدى المرارة التى أصابت حلوق أهل زعيم الأمة . . وكل من كانوا حوله . ليس بسبب رفض الآنسة نازلى الزواج من ابن اخته . . ولكن بسبب آخر هو اعتلاء الأمير أحمد فؤاد عرش مصر تحت حماية المعتمد البريطانى فى مصر .

ولعل من أشهر ما ذكره هؤلاء المؤرخون . . ما كتبه مصطفى أمين حين قال . . « وكان سعد زغلول واثقا من أن نازلى سترفض هذا الزواج . . كان يحبها ، لقد حملها وهى طفلة تحبو . . كان يعطف عليها ويعجب بأدبها وذكائها . . كان يرى خسارة كبيرة فى أن تتزوج الملاك الصغير من شيطان كبير . . كان واثقا من أن نازلى ستفضل العيش فى بيته زوجة لابن شقيقته سعيد على أن تعيش زوجة للسلطان فؤاد فى قصر عابدين » . .

وليس سعد زغلول فقط الذى كان يرى فى هذه الفتاة هذه الصفات . . بل كل أفراد أسرته الذين كانوا يرون أنها فتاة ذات شخصية لا يمكن إخضاعها . . لقد ورثت عن جدها لأمها « سليمان باشا الفرنسى » الذى كان معروفا بالكولونيل « سيف » صفة الثورة . لابد أنها ستتمرد على أبيها ، ولابد أنها سوف تثور عليه . . لابد أنها ستأبى أن يذبحوها

قربانا لرضاء السلطان . . لابد وأن والدها هو الذى أرغمها على هذه الخطبة الغريبة [٨] .

وكانت زوجته صفية زغلول مؤمنة كذلك بأن نازلى لا يمكن أن تخطوا مثل هذه الخطوة قبل أن تستأذنها باعتبارها فى مقام أمها . . كانت مؤمنة بأن العلاقة التى بينهما أقوى من العلاقة التى بين نازلى وأبيها . . فقد كانت تلجأ إليها فى كل أمورها الخاصة . . فهل يصدق عقلها أن تقدم نازلى على تلك الخطوة بغير استشارتها وهى التى سمعتها تقول إنها لو تزوجت من سعيد زغلول فستكون أسعد امرأة فى العالم .

ويبدو أن زواج السلطان فؤاد من نازلى . . قد فجر بجانب ردود الفعل الشعبية الغاضبة . . ردود فعل من نوع آخر هزت بقوة عقول طبقة المثقفين المصريين فى ذلك الوقت . وكان على رأسهم المؤرخون الذين أخذوا ينقبون فى كل الأوراق المدونة باللغة العربية وبغيرها من اللغات . . فى محاولة من جانبهم للربط بين أعمال ذلك السلطان سواء من قبل توليه الحكم أو من بعده وبين حادث زواجه من نازلى .

وعلى سبيل المثال كان من أشهر ما رواه هؤلاء المؤرخون فى هذا السياق واقعتين عثروا عليهما فى مذكرات بعض الساسة الأجانب . . الأولى عبر من خلالها الأمير أحمد فؤاد عن أمانيه وأحلامه فى أن يكون حاكماً فى أى مكان ترتضيه الامبراطورية « البريطانية » أو أية دولة أوروبية أخرى ! .

---

(٨) من واحد لعشرة ـ مصطفى أمين مصدر سابق .

أما الثانية فكانت تتعلق باستعداد الأمير للارتداد عن دين الاسلام فى سبيل الفوز بالعرش !! .

ولقد سعى هؤلاء المؤرخون إلى ترويج هاتين الواقعتين فى الأوساط الشعبية والثقافية لكى تساند كلمات الشاعر بيرم التونسى فى معركة الشعب ضد السلطان العجوز وكان زواجه من نازلى الدافع الرئيسى الذى استندوا إليه فى هذه المعركة .

ولم تكن حكايات المؤرخين كلمات مجردة يتم ترديدها فى المقاهى أو فى المجالس الخاصة . . بل كانت وقائع تاريخية صحيحة ظلوا يسعون وراءها لإلقاء الأضواء المبهرة عليها . . وكتابتها بكل التفاصيل .

بالنسبة لتفاصيل الواقعة الأولى فقد جاءت فى مذكرات الكونت «سفور زاى » وزير خارجية إيطاليا أثناء الحرب العالمية الأولى والتى طبعت عام ١٩٤٢ فى مدينة شيكاغو ، حين قال :

« . . إننى لأذكر جيداً ما قاله الأمير أحمد فؤاد فى روما عام ١٩١٠ . . أنه لما كان أحد أفراد الأسرة المالكة فى مصر فى ذلك الوقت . فإنه سوف يشعر بالامتنان العميق إذا قررنا أن نجلسه على عرش ألبانيا . . » .

ويؤكد هذه الرغبة فى أعماق السلطان . . وهو لا يزال أميرا بلا مناصب . . ما ذكره الدكتور يوسف نحاس فى مذكراته بعنوان « سعد عبد العزيز » . . صفحة ٥٩ حين قال : « كاشفنى الملك . . بأمور تتعلق بشخصه . . منها أنه كان فعلا يطمح فى أن يعين حاكما على ألبانيا . فإن لم يكن فعلى طرابلس الغرب » . .

ويقول هؤلاء المؤرخون : إنه بالإضافة إلى ذلك تؤكد الوثائق البريطانية المدونة فى تلك الفترة أن الأمير فؤاد قد سعى بالفعل لترشيحه ملكا على ألبانيا عام ١٩١٣ ولكنه فشل فى تحقيق هذا الأمل . وقد ظل من بعدها وخلال ٢٢ عاماً يعيش على الهامش .

أما الواقعة الثانية فكانت متعلقة برغبة السلطان فى إعتناقه الدين المسيحى فى سبيل اعتلاء أى عرش ! . ولقد ظل هذا السر فى طى الكتمان حتى ظهرت وثيقة كانت مختفية . . ولم يعلن عنها إلا على لسان «السنيور نيتى » السياسى الإيطالى الشهير ورئيس وزراء إيطاليا وأحد مفكرى النصف الأول من هذا القرن والذى كان يعرف الملك شخصياً .

وتفاصيل تلك الواقعة مدونة فى أوراق « أميل خورى » سفير لبنان فى إيطاليا فى ذلك الوقت والتى نشرها بعنوان « آثار أقدام ـ الجزء الثانى ص ٢١٢ » .

«قال لى « نيتى » : فى عام ١٩١٢ كان « جيوفانى » رئيساً للوزارة وصديقى ورفيقى « المركيز دى سان وجوليانو » وزيرا للخارجية . . وكنت أنا وزيراً للتجارة . وكانت حرب طرابلس الغرب . . التى كنت فى الأصل من معارضى فكرتها ، قد انتهت بالمعاهدة التى عقدناها فى «أوشى » بفرنسا مع الأتراك .

وعند الظهيرة فى يوم بارد من شهر كانون الأول دخل على الحاجب يحمل بطاقة باسم الأمير أحمد فؤاد رئيس الجامعة المصرية وكانت مطبوعة باللغة الإيطالية فقلت فى نفسى : أمير مصرى يطبع بطاقاته باللغة

الإيطالية . . إنه لأمر لا يخلو من غرابة . ثم قلت للحاجب أن يفتح الباب على مصراعيه ، وتقدمت لأستقبل الضيف الكريم . فإذا به رجل وسيم ، أنيق إلى أقصى درجات الأناقة ، يحيينى تحية عسكرية . . ويقول باللهجة الخاصة بأهل نابولى : أنا يا صاحب السعادة متشرف جداً بتقديم نفسى إليك وشاكر جدا على تفضلك باستقبالى بدون انتظار.

ودعوته للجلوس ، وسألته عن صحته فحمد الله ، ثم قال لا تعجب يا سعادة الوزير إذا حدثتك بالإيطالية لا بسواها ، فأنا إيطالى . . وإذا شئت قل نصف إيطالى وتفسير ذلك أنى جئت طفلاً إلى نابولى مع والدى الخديوى إسماعيل باشا ، وعشت معه سنوات قبل أن أدخل المدرسة العسكرية فى « تورينو » .

وكنت ملماً بعض الشىء بالصعاب التى انتهت بإسماعيل باشا فى نابولى فكلمته عنها . وسألته ماذا يهمك ويرضيك ؟ فقال : جئت أحدثك بمشروع أجد فيه الخير كل الخير لإيطاليا . .

إن طرابلس وبرقة قد تنازلت تركيا عن حقوقها فيها وقبلت بانتقال سيادتها عليها إلى جلالة الملك « ملك إيطاليه » . . ولكن أهاليها لم يقروا تركيا على ما فعلت . . وهم كما تعلم يواصلون القتال ويستعدون لمقاومة طويلة . فإذا كنتم تريدون أن يعم مستعمراتكم السلام ، ويستقر لكم الأمر فيجب ألا تحكموها حكماً مباشراً . . وتظهر الحكمة وأصالة الرأى بأن تضعوا مظاهر الحكم فيها بيد أمير مسلم . وأنا الأمير المسلم الوحيد الذى يمكنكم أن تختاروه وكأنكم تختارون أميراً إيطالياً ! فأنا تركى

الأصل، ومن البيت المالك فى مصر ، ولكنى أعتبر نفسى من رعايا إيطاليا الروحيين . فوجدت حديث الأمير معقولاً من حيث ضرورة وضع طرابلس وبرقة فى ذمة حاكم مسلم مصلح ! . فقلت للأمير أحمد فؤاد : إنى لو كنت صاحب الأمر والنهى فى إيطاليا لما كنت نزلت عند رغبته . وعلى أية حال فإن طرابلس وبرقة أصبحتا بفعل قانون أقره مجلسا النواب والشيوخ أرضا إيطالية تابعة للتاج ومعنى هذا أنها ستحكم كما تحكم الأقاليم الإيطالية .

فودعنى الأمير ، وخرج مجددا الشكر على حسن استقبالى . . وفى الصيف كنت فى أحد الأيام فى مكتبى ، فدخل على الحاجب يحمل بطاقة الأمير أحمد فؤاد . . كان الحر شديداً ، فاستعنت بالله وقمت لاستقبال الأمير الزائر فدخل وحيانى تحية الصديق . . وجلس وبدأ بالحديث قائلاً : إنه لا يريد أن يضيع على وقتى ، فقلت له إن الحديث معك ليس مضيعة للوقت :

فقال : إنكم تبحثون الآن مع حلفائكم الألمان عن أمير لألبابنا . . وقد جئت أطلب إليك أن ترشحنى حكومة إيطاليا ، التى أعد نفسى من رعاياها الروحيين كما قلت لك سابقا .

فقلت : إننى وزير للتجارة ولا علم لى بما يجرى ، أو بما هو جار فى هذا الموضوع . فقال : ولكنى أعلم والناس جميعهم يعرفون أن وزير الخارجية صديقك الحميم ، وأنه يأخذ برأيك فى الأمور الصعبة فهل تعدنى بأن تنصح له بترشيحى ؟ ! . فأجبت : إن كل ما أستطيع أن

أعدك به هو أن أحدث المركيز بالأمر ، أسأله عما لأمير مصرى من حظوظ فى أن يقبل به ذوو الشأن أميرا على ألبانيا .

فشكرنى وهم بالانصراف ، ثم عاد وقال إنه نسى الأهم . . وهو هذا ، قد تكون الأفكار متجهة إلى اختيار أمير غير مسلم ، لأن الدول الأوروبية تفضل أميراً مسيحياً ، ولأن عدد المسيحين فى ألبانيا لا يستهان به وهذه صعوبة ينبغى أن أذللها بدون تفكير . . فأنا كما قلت فى زيارتى الأولى قد نشأت هنا فى نابولى ، نشأة مسيحية أوروبية ! . وأنا لا أفرق بين الأديان ، وإذا كان لابد من ذلك فلا مانع عندى أن أصير مسيحياً ! ! (٩) .

وتعليقاً على هذا القول الذى ذكره السياسى الإيطالى إبان الحرب العالمية الأولى ونقله السفير اللبنانى فى مذكراته الخاصة يرى بعض المؤرخين فى محاولة الربط بين تاريخ هذا الأمير الذى صار فيما بعد سلطانا لمصر . . وبين زواجه من الآنسة نازلى . . أن زوجته وابنته الصغيرة فتحية ربما حققتا تلك الرغبة التى كان يحلم بها السلطان العجوز ! . . فتحولتا بدلا منه إلى الديانة المسيحية فى أخريات الأيام . . بل ودفنت الملكة المصرية وابنتها فى إحدى كنائس الولايات المتحدة الأمريكية ! ! وكما سوف نكشف عن ذلك فيما بعد . . وخلال الأوراق القادمة !

---

(٩) مذكرات إميلى خورى ـ آثار أقدام الجزء الثانى .

الفصل الخامس

الغيرة .. والانتقام .. من قصر عابدين إلى سجن الحريم

فى صباح يوم الأحد الموافق الخامس والعشرين من مايو عام ١٩١٩ عرفت مصر كلها أن السلطان أحمد فؤاد تزوج بالأمس من الآنسة نازلى عبد الرحيم صبرى ! . وأن احتفالاً متواضعا قد أقيم بهذه المناسبة فى سرايا البستان .[١] بوسط القاهرة ، وفى الشارع المؤدى إلى ميدان باب الخلق وقصر عابدين .

وفور ذيوع الخبر وانتشاره تأكد للناس صدق ماكان يردده الشعراء والمداحون فى شوارع القاهرة . ومن ثم تحولت تلك الإشاعات إلى واقع جرت كل أحداثه خلف جدران أحد القصور الملكية العالية . وإذا ماعتبرنا زواج نازلى من السلطان كان يمثل بالنسبة للمؤرخين ولايزال قيمة تاريخية على درجة كبيرة من الأهمية وذلك لارتباطه بأحداث أول ثورة شعبية اندلعت فى مصر فى العصر الحديث . . فإن ذلك الحدث كان

---

(١)هذه السراى تهدمت الآن ، وأقيم مكانها جراج البستان الموجود الآن بشارع البستان !!

على نفس الأهمية بالنسبة لنازلى ولفؤاد فى آن واحد . . إذ كان البداية الحقيقة لذلك التحول الذى شمل كل حياة الملكة وامتد بها سنوات طويلة . . سواء فيما يخص فوزها بالتاج والجلوس على العرش أو بالنسبة لبداية حياتها الخاصة المليئة بالمغامرات ! .

هذا بالنسبة للملكة نازلى . . أما ماكان يخص السلطان فؤاد فيما يتعلق بتاريخ زواجه من الآنسة نازلى . . فقد كان هو الآخر البداية الحقيقة لفوزه بتلك الفتاة التى وفدت إليه من خارج القصور الملكية . لأنه واعتباراً من مساء ليلة الرابع والعشرين من مايو عام ١٩١٩ . . أصبح أول زوج شرعى فى حياتها وليس أول رجل . . بعدما ظل لأكثر من عشر سنوات سلطاناً أعزب . ولقد مكنه زواجه من فتاة تصغره بعشرين عاماً من إسكات أصوات معارضيه الذين كانوا ينظرون إلى وجوده على عرش مصر بدون زوجة . . على أنه نقيصة كبرى تستوجب الوقوف ضدها ! .

ولقد حاول السلطان رغم غلظته وشراسته المعهودة أن يكون منذ الليلة زوجاً مثالياً . . فقرر أن يقضى شهر العسل فى سرايا البستان التى لم تكن تبعد سوى ٥٠٠ متر فقط عن مقر الحكم بقصر عابدين . . وكان هدفه من هذا القرار التفرغ لواجبات الزوج بعيداً عن مسئوليات الحكم ! .

ومن ناحيتها استجابت نازلى لرغبة السلطان ، فقبلت أن تقيم معه فى تلك السراى بعيداً عن قصر الحكم فى حى عابدين . . رغم أنها

كانت تشتاق ومنذ اليوم الأول لدخولها فى معية السلطان لرؤية كرسى العرش . . ولبس التاج الملكى ! .

ولقد لعب الحظ دوره فى بداية حياة نازلى مع السلطان العجوز . . لأنه لم تمض سوى عدة أشهر حتى عرف السلطان بأن زوجته حامل فى شهورها الأولى . . وكان مثل ذلك الخبر كفيلا بزيادة جرعة الرقة والحنان داخل صدر السلطان وبالتالى انتقلت هذه الرقة إلى عقل وقلب زوجته نازلى ! . فبدأ يتودد إليها أكثر . . ويتقرب من حياتها أكثر وأكثر . . بل وكان كثيراً مايرحب باصطحابها ولو للحظات لرؤية كرسى العرش بقصر عابدين والسماح لها بارتداء الثوب الملكى ومن فوق رأسها التاج المرصع بالمجوهرات ! .

ولقد صورت لنا الملكة نازلى مشاعرها عندما دخلت لأول مرة إلى قصر عابدين وشاهدت على الطبيعة ذلك العرش الذى كانت تحلم برؤيته فقالت : « لقد بدا كل شىء وكأنه حلم مستحيل الوقوع . . نعم لقد بدا لى مستحيلاً أن يصبح مسكنى هنا فى قصر عابدين الرائع الذى طالما شاهدته وأنا طفلة . . وكم حدثنى عنه والدى . . لقد كانت أمامى أسابيع وأشهر . . بل وسنوات أتفرغ فيها لمشاهدته من الداخل والتنزه بين جدرانه وتحسس أعمدته الرائعة » (٢).

وفى موضع آخر من هذه المناجاة قالت السلطانة نازلى : « ودخلنا إلى صالة الاحتفالات الكبرى بالقصر التى كان لها باب واحد رئيسى للدخول . . ولذا فقد كان علىّ أن أقطع الصالة طولاً وهى مسافة تبلغ

---

(٢) حريم ملوك مصر ـ كتاب للمؤلف .

ثمانين متراً حتى أصل إلى المقعد الكبير الذى تجلس عليه السلطانة بجوار زوجها ! . وكان مقعدى كبيراً وعميقاً ومكسواً بحرير » الجوبلان ، الذى لايقدر بثمن . وعلى جانبى صالة الاحتفالات وقد صفت فيها المقاعد للرجال إلى جانب السيدات » .

ومن بعد هذه الزيارة التى أسال بها السلطان لعاب زوجته الحالمة دائما بالتاج والعرش . . عادت نازلى من جديد لتعيش مع حملها الثقيل فى سرايا البستان ، وسط رعاية كبيرة من السلطان ومن رجاله وحاشيته . كما كان يسمح لها من آن لآخر بزيارة بعض القصور الملكية المتفرقة فى القاهرة والإسكندرية . بهدف إبعاد شبح الملل عن حياة السلطانة ولتدريبها على حياة القصور الملكية .

ولقد ظلت تلك الرعاية مستمرة وبشكل مضطرد . . بل زادت مع الشهور الأخيرة لفترة الحمل . . حتى وضعت السلطانة وليدها بعد حمل سبعة أشهر . ثم سرعان ما انتهت هذه المعاملة المتميزة إلى غير رجعة بعد ولادة فاروق فى فبراير من عام ١٩٢٠ .

وما نود الإشارة إليه ونؤكده فى هذا السياق . . أن السلطان فؤاد ذاته قد ظل ينتظر وصول ذلك المولود ـ ولى العهد ـ فى اشتياق وفرحة ، لأنه لم ينعم من قبل بأولاد ذكور من زوجته الأولى الأميرة شويكار . هذا الانتظار الذى كان دافعه الحقيقى ليس إشباع رغبة الأب بداخله بقدر الاطمئنان على استمرارية أسرته وأبنائه من بعده على العرش .

ولأهمية ذلك المولود الملكى سواء بالنسبة للسلطان أو لمصر أو

للتاريخ . . ننقل صورة حية لحالة السلطان النفسية قبيل ساعات من ولادة ولى عهده . . وقد . . جاءت على لسان يوسف وهبه باشا رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت . . والذى قال : « فى صباح يوم العاشر من فبراير عام ١٩٢٠ . . ذهبت لمقابلة السلطان فؤاد فى سراى عابدين . . وذلك للتشاور فى بعض الأمور السياسية . . وبعد أداء مهمتى استقبلنى السلطان لتناول طعام الغداء معه . ولاحظت وقتها أن عظمة السلطان يلوح عليه الاضطراب . فلم أشأ أن أسأله عن سبب هذه الحالة . . ولكن مالبث عظمة السلطان أن قال لى :

ـ السلطانة ستضع مولودها بعد يومين . . وإن شاء الله يكون ولداً .

وكان السلطان فؤاد شديد الرغبة فى أن تنجب السلطانة نازلى ولداً يخلفه على عرش البلاد . . وكان كثيراً ما يلتفت إلى كل من حوله ولى ويقول :

ـ ادع أنت أيضا أن يكون ولداً ! .

وعلى مائدة الغداء التفت إلىّ السلطان مرة أخرى وقال لى :

ـ إذا جاء ولدا ماذا نسميه !؟

فقلت :

ـ نسميه إسماعيل على اسم أبيكم العظيم .

فقال السلطان :

ـ لا . . لا . . لقد كان لى ولد اسمه إسماعيل من البرنسيسة شويكار ومات .

فاقترحت أن نسميه محمد على باسم محمد على الكبير ، ولكن السلطان قال : إنه يتفاءل بحرف الفاء فاسمى فؤاد وإسم كريمتى الأولى فوقية واسم زوج كريمتى فخرى !! .

وراح موظفو السراى يبحثون عن أسماء تبدأ بحرف الفاء . . فائز ، فريد ، فاضل ، فتحى ، فائق ، فؤاد .

وأخيرا قال معالى شكرى باشا ناظر الخاصة الملكية ورئيس الديوان السلطانى فى ذلك الحين :

ـ فاروق : هو اسم عمر بن الخطاب .

وفى الساعة العاشرة والنصف تمت الولادة وأسرع الدكتور محمد شاهين باشا إلى السلطان الذى كان يقطع غرفة المكتب ذهابا وإيابا ، دخل شاهين باشا بدون إذن وصاح « ولد ياMولانا ولد». ولم يصدق السلطان فؤاد لأول وهلة ، وتم إبلاغ مجلس الوزراء كما تم إبلاغ الخبر للمندوب السامى البريطانى (٣).

وبناء على تعليمات السلطان . . بادر يوسف وهبه باشا بدعوة مجلس الوزراء للاجتماع فى صبيحة ، يوم ١١ فبراير . . وهو اليوم التالى لولادة ولى العهد . . وفعلاً عقد المجلس جلسة خاصة لإثبات هذا الحدث فى سجل خاص يحفظ بالمجلس ، ولبحث مايمكن اتخاذه من قرارات لهذه المناسبة السعيدة .

وفى هذا الاجتماع الذى حرص على حضوره السلطان فؤاد ، تقرر

---

(٣) محمد التابعى ـ صبرى ابو المجد الجزء الثانى .

منح إجازة فى يوم ميلاد الأمير فاورق وذلك لجميع الوزارات والمصالح الحكومية .

وبذلك أصبح فاروق ولى العهد رقم ١٢ فى سلسلة توارث العرش وكان الأمير أحمد فؤاد الثانى ابن الملك فاروق هو ولى العهد الثالث عشر والأخير (٤).

وعندما علمت الخارجية البريطانية بمولد ولى العهد ، ولم تكن حتى هذا التاريخ قد حددت نظام توارث العرش المصرى فى ظل الحماية . . لذلك عزم السلطان فؤاد وحكومته على الحصول على حق ابنه فاروق فى الولاية من بعده . . فتم إبلاغ الحكومة البريطانية فى لندن . ولم يمض سوى شهرين على هذا التبليغ حتى ردت دار الحماية البريطانية على قصر عابدين بتاريخ ١٥ ابريل عام ١٩٢٠ بخصوص طلب السلطان فؤاد . . وجاء فى هذه الرد : « إن الحكومة البريطانية نظرت فى نظام السلطنة المصرية ، واعترفت بالأمير فاروق ونسله من الذكور على قاعدة الأكبر من الأولاد ، فالأكبر من أولاده وهكذا ليكونوا أولياء العهد ! » .

ويقول الكاتب الصحفى عادل حموده : وبذلك ضمن السلطان فؤاد لابنه العرش من بعده . . كما ضمن التأييد من « الدولة الحامية » أيضا . . وعقب تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ . . أصدر السلطان أمراً سلطانيا بتاريخ ١٣ أبريل بوضع نظام لتوارث عرش المملكة المصرية ، ونص فيه على أن تنتقل الولاية من صاحب العرش إلى أكبر أبنائه ، ثم

---

(٤) الملك أحمد فؤاد الثانى ـ عادل حموده .

إلى أكبر أبناء ذلك الابن . . وهكذا طبقة بعد طبقة . . وانتهت كذلك إلى إثبات أن ولاية ملكه من بعده تكون لابنه فاروق .

● ● ●

وقد يتبادر للذهن أننا بالحديث عن ولى العهد الأمير فاروق . . قد ابتعدنا عن سير الحكاية المرتبطة بشخصية الملكة نازلى . . ولكننا نؤكد أن الاقتراب من حديث هذا الأمير الصغير . . هو جزء رئيسى من سير أحداث هذه الحكاية ذلك لأن ولادة فاروق كانت فى تصورنا الحد الفاصل الحقيقى فى تغيير مجريات أحداث حياة الملكة نازلى . . ووضعها الاجتماعى أو السياسى بالنسبة لزوجها أو بالنسبة لنفسها ولمن حولها . ! .

وكان من أهم هذه المتغيرات على المستوى الشخصى . . قرار اعتقال الملكة فى قصر الحريم .

والسؤال الذى من الممكن أن يفرض نفسه فى هذا السياق هو : وإذا مافشل السلطان فؤاد فى إنجاب ولى العهد ؟ ! . فهل الخلاف الذى وقع بينه وبين زوجته بسبب غيرته المجنونة الناتجة عن فارق السن الكبير كان من الممكن أن يتم تأجيله ؟ ! .

إن الواقع الذى أحاط بالملكة نازلى كان يدل على غير ذلك لأنه وحتى فى حالة تأخر إنجابها لولى العهد . لمدة سنة أو سنتين، مثلاً . . فإن السلطان فؤاد كان سوف يعمل على وضع نهاية درامية سريعة لعلاقته مع زوجته . وذلك لسببين : أولهما الضغوط السياسبة والشعبية

التى تعرض لها بسبب هذا الزواج . وثانيا : أنه صاحب تجربة مسبقة فى مجال تعامله مع الحريم الشرعى عندما إضطر إلى تطليق زوجته الأولى الأميرة شويكار رغم إنجابها لإبنه إسماعيل الذى رحل وهو طفل ! ، وأيضا بعد إنجابها للأميرة فوقية ، رغم أنه فى تلك الفترة لم يكن ملكاً . . بل كان أميراً . . ولم يكن يعنيه وصول ولى العهد أو عدم وصوله ! . أضف إلى ذلك فارق السن الكبير بينهما والذى تسبب وحده فى إثارة الغيرة الشديدة من جانب الزوج السلطان تجاه زوجته الملكة ! .

ولعل العودة لاستعراض أهم الأحداث السياسية التى صاحبت زواج السلطان من نازلى . . والتى زادته صعوبة بعدما ساءت علاقته مع شعبه ومع بعض الحاشية . . تساعدنا على الوقوف على الظروف النفسية السيئة التى أثرت كثيراً فى كل قراراته وكل سلوكياته حتى تجاه الملكة نازلى ! .

لقد عاش السلطان أحمد فؤاد ومنذ بداية عام ١٩١٩ وحتى رحيل الزعيم سعد زغلول فى حالة من الهلع والرعب خوفاً على ضياع العرش ! . مما دفعه أكثر لزيادة جرعة التعاون مع سلطات الاحتلال البريطانى على حساب متطلبات شعبه وآماله . . ولعل كتابات العديد من المؤرخين ومذكرات بعض القادة الإنجليز والساسة الذين عاصروا تلك الفترة من الأحداث تصور لنا وللتاريخ ماآلت إليه حالة ذلك السلطان خوفا من هذا الضياع الذى صاحب استمرار ثورة ١٩١٩ وتوهجها الشديد رغم بطشه وقوته . .

فعلى سبيل المثال كتب اللورد اللنبى رسالة بتاريخ ٢ يونيه عام

١٩٢٠ إلى « لورد كيرزون وزير الخارجية يقول فيها : أبلغنى المسيو «هنرى جايار» القائم بأعمال فرنسا أنه اجتمع ، بالسلطان ، فأظهر السلطان إنزعاجه الشديد لما علمه من أن سعد زغلول يريد إثارة مسألة العرش ، وأن السلطان يخشى تسليم رأسه للمتطرفين ، وأن الماليين الأجانب فى قلق على أموالهم ، وكبار أصحاب الملاك فى خوف على أرضهم إذا حدث مثل ذلك . وهم يرون جميعا أن بقاء العرش ضرورى لمصالحهم ومصالح الانجليز ، وأنه إذا تغير النظام فجأة فستحدث اضطرابات ، ويشجع ذلك على اعتداء الغير عليها مثل إيطاليا واليونان . . » .

ولقد تأثر لورد «ملنر» بهذه الرسالة التى بعثها اليه المندوب السامى البريطانى فبعد خمسة أيام أثار هذا الموضوع فى مفاوضته مع سعد زغلول .

من ناحية أخرى كتب اللنبى إلى وزير الخارجة البريطانى فى ١٦ يونيه عام ١٩٢٠ « زارنى « مسيو خاليه » معتمد أسبانيا فى القاهرة ، وذكر أنه فى مقابلته مع السلطان شعر منه أنه قلق جداً بسبب مايتلقاه من أنباء من نوايا المصريين فى لندن نحو العرش . وأنه سمع أن زغلول سيثير مسألة العرش والوراثة على العرش ، وأن السلطان يرى أن أى تغيير فى الحالة الراهنة للعرش يعرض الأجانب ومصالحهم ومصالح ذوى الأملاك للخطر .

وقال رجال الجالية البريطانية فى القاهرة والإسكندرية أنهم ــ مع كراهيتهم للسلطان ومعرفتهم بأغلاطه ـ يرون أن بقاءه على العرش هو

الضمان الأكيد للمصالح البريطانية . وأن تسليم الحكم للوطنيين بغير بقاء العرش بصفة « فرامل » سيؤدى إلى أسوأ النتائج ! . وطلبوا ضرورة بقاء الموظفين الإنجليز فى الحكومة »(٥).

●●●

وإذا كان ما مر بنا من لحظات يمثل بعض الهموم السياسية الخارجية التى هددت السلطان وشغلت أفكاره وأثرت بالتالى على علاقته بالملكة . فإن همومه الداخلية ومشاكل رعاياه . . كانت أخطر . . وقد لعبت الدور الأكبر فى زيادة جرعة الخوف والقلق بداخله حيث تمثلت هذه الهموم وهذه المشكلات فى أعنف موجة اغتيالات هددت السلطان وكبار السياسيين المصرين والأجانب . . هذه الموجة العنيفة بدأت فى أوائل عام ١٩٢٠ . . مما أثار غضب الإنجليز عليه وزاد من تخوفهم لتأييده . . ويقول التاريخ عن أبرز هذه الاغتيالات أنه فى ٢٨ يناير ألقى أحد الشبان قنبلة على « إسماعيل سرى » باشا وزير الأشغال . . وفى ٢٣ فبراير ألقى شاب آخر قنبلة قاتلة على « محمد شفيق » باشا وزير الزراعة . . وفى ٨ مايو القى شاب ثالث قنبلة على «حسين درويش» وزير الأوقاف . .

وأما إذا ماتركنا هموم السلطان السياسية داخليا وخارجياً لنتعرف على مصير الملكة التى كان من حظها أن تقيم سجينة فى قصر القبة مدة ١٧ عاماً . . نجد أن التاريخ يقول وبصوته المؤثر . . إن الحظ لعب دوره معها . . فى الأيام الأولى لهذا الاعتقال . . عندما واتتها إحدى الفرص

(٥) الكتاب الممنوع ـ الجزء الأول ـ مصطفى أمين .

النادرة والمثيرة للتعبير عن استيائها من الإجراء السلطاني القاسى . ففى شهر فبراير من عام ١٩٢٢ ، وبعد مرور أقل من ثلاثة أعوام على زواجها من السلطان أحمد فؤاد ، ومع الشهور الأولى لدخولها سجن الحريم فى قصر القبة . . طلبت إحدى الصحفيات الأمريكيات المشهورات فى ذلك الوقت وكانت تدعى «جريس هوستون» مقابلة الملكة لاجراء حوار صحفى معها . .

لقد كانت هذه المقابلة بحق فرصة ذهبية أتيحت للملكة نازلى . . إذ استطاعت من خلال هذا الحديث الصحفى أن تعبر عن أحزانها ومشاعرها وآلامها التى سببها لها ذلك الفرمان القاسى الذى أصدره السلطان بحبسها فى قصر القبة .

وتقول تفاصيل ذلك الحوار كما نشر فى حينه . . أنه فى فبراير من عام ١٩٢٢ جاءت إلى مصر الصحفية والمؤلفة الأمريكية « جريس هوستون» . . التى استطاعت بعد جهد كبير أن تقابل الملكة نازلى . . حيث أدلت لها بحديث أثار ضجة . . وكان من آثاره أن الملكة نازلى لم تقابل صحفيا بعده ، فكان أول وآخر حديث صحفى لها »[٦].

أما عن نص هذا الحوار فتقول كلمات سطوره :

« قرأت فى طفولتى قصة العصفور والقفص الذهبى ، ولكننى لم أر عصفوراً حقا داخل قفص من ذهب إلا حينما قابلت الملكة نازلى ملكة

---

(٦) إبتداء من ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ . . تغير لقب « نازلى » من سلطانة إلى ملكة بناء على إلغاء الحماية البريطانية . . وحصول مصر على استقلالها . وتغيير لقب السلطان فؤاد إلى الملك فؤاد ، فى ١٥ مارس ١٩٢٢ . . (المجمل فى تاريخ مصر ـ د. ناصر الأنصارى) .

مصر الجميلة . والملكة نازلى نموذج حى لهذه الأسطورة بل هى مثل بارز لمأساة المرأة أو بالأحرى الملكة الشرقية فى عصرنا الحديث . ولقد آمنت بعد ماعرفت قصتها بالمثل القائل « مصدوعة الرأس التى تحمل تاجاً » .

وقد تفضلت جلالتها فأذنت لى بأن أختلس نظرة إلى السجن الفخم الذى تقبع فيه ، وإلى العزلة الوثيرة التى تحيا فيها فى قصر عابدين أو على الأصح مقاطعة عابدين ، فهو أفخم قصر رأيته فى حياتى .

ولقد تم هذا فى نفس الوقت الذى كانت فيه مصر تتحول بواسطة تصريح بريطانى إلى مملكة مستقلة ذات سيادة ، وكانت نازلى تتحول فيه أيضا إلى ملكة صاحبة الجلالة بجوار زوجها الملك فؤاد الأول .

ولقد خرجت من عند نازلى الملكة المتوجة ، وأنا أومن بأن هذه الملكة الصريحة الطموحة سيدةذات روح متحررة ، وأنها ستنتهز فرصة سانحة لكى تحطم كل القيود التى تضعها التقاليد حول عنقها وتهرب من السجن الشامخ الذى تعيش فيه .

ولقد نشأت الملكة نازلى وعاشت حتى زواجها فى بيئة مصرية متحررة، وكانت أمها من صديقات « صفية هانم زغلول » الحميمات . . كما كانت من مؤيدات حركة المرأة الجديدة وزعيماتها ، ولكنها ككل الزعيمات الوطنيات فى مصر نفضت يدها من نازلى وأمها بعد زواج نازلى، وذلك لأنها كانت تؤمن بأن الملك فؤاد صنيعة البريطانيين وأنه لايحب المصريين .

ولم تفقد الملكة نازلى أملها فى أن تحصل على حريتها ، وكما قالت لى

لا تريد أن تكون أقل استمتاعا بالحرية من ابنة زوجها الأميرة فوقية ، فهى فى مثل سنها ، ولكنها تتمتع بحرية واسعة ، وتسافر إلى أوروبا كل عام ، وتحضر الحفلات سافرة الوجه وذلك فى الوقت الذى لاتقابل فيه الملكة نازلى أحداً إلا أقاربها وبعض صديقاتها ، وأقصى رحلة يسمح لها بها هى الرحلة من قصر عابدين إلى قصر رأس التين فى الإسكندرية وهى كما قالت جلالتها : « مدينة رطبة جداً لاأحبها » (٧) . .

ولقد قيل لى فى السراى ـ حينما طلبت المقابلة ـ أن جلالتها تتمتع بحرية تامة وأنها تستقبل من تريد ! . ولكن إحدى صديقاتها أكدت لى أنها لاتخرج من السراى مطلقا ، وأنها أيضا لاتقابل إلاعدداً معيناً من السيدات والسيدات فقط دون الآنسات !! ، وأن هؤلاء يدرجن أسماءهن فى كشف تعده كبيرة الوصيفات « مدام قطاوى » ـ باشا ـ وتعرضه على الملك الذى يشطب منه كما يشاء ثم يعيده إليها ، ولقد تحققت بنفسى من هذا كله . . بل ووجدت أن مقابلة الملكة نازلى أصعب بكثير من مقابلة أى ملكة أخرى . . ووجدت أيضا أننى لن أصل إليها إلا بالطريقة التى تصل بها إلى أى شىء آخر : «الواسطة»(٨).

ولقد توسطت لى « ليدى كونجريف » زوجة القائد العام البريطانى

---

(٧) يلاحظ أن الطفلة نازلى عبد الرحيم صبرى ولدت فى مدينة الإسكندرية وفى قصر والدها بحى رمل الإسكندرية !! .

(٨) أشار كاتب هذه السطور إلى بعض ما جاء فى هذا الحوار لأول مرة فى كتابه « حريم ملوك مصر » ولكن بتصرف ودون أن يتقيد بتسلسل عبارات الكاتبة .

وأخبرتنى أن أكتب اسمى أولاً فى الكتاب الملكى « سجل التشريفات » فيحدد لى موعد بعد ذلك . وذهبت مع « ليدى كونجريف » فى سيارة يقودها سائق إنجليزى يجلس بجانبه خادم أسود فى ثياب ذهبية مزركشة .

وحين وصلنا إلى قصر عابدين اجتزنا عدداً من البوابات الضخمة حتى وصلنا إلى جناح الملكة . . ووجدنا على الباب عشرة حراس عمالقة فى ثياب أنيقة ومدججين بالسلاح . . لحراسة المدخل ، ثم فتح لنا الباب « أغا » طويل وأغلقه على الفور ووجدنا أنفسنا فى ردهة فاخرة إلى حد البذخ . . وتوسطت الردهة ثلاث سيدات جميلات وتقدمت أولاهن بابتسامة رقيقة خلابة وقادتنا إلى منضدة من الرخام الفاخر وقدمت لنا قلماً من الفضة لنكتب اسمينا فى الكتاب . . وكتبت اسمى ، وكتبت «ليدى كونجريف » اسمها . . وقالت لى إن هذا هو كل ما علينا أن نفعل . . ولم يتحدد الميعاد إلا بعد شهر من كتابة اسمى .

وبعد سعى متواصل من الدكتور « هاويل » الوزير الأمريكى المفوض فى القاهرة ، وفى اليوم المحدد توجهت إلى القصر أنا ومسز «هاويل » . وبعد أن مررنا بكل البوابات والطقوس السابقة صعدنا السلم الفخم إلى غرفة استقبال الملكة . وقد اجتزنا فى طريقنا بوابة أنيقة محلاة بنقوش الذهب والفضة ووقف عليها اثنان من «الأغوات» فى ثياب مزركشة تبعث على الهيبة والإعجاب . . ثم وجدنا أنفسنا فى غرفة واسعة بها مايقرب من عشر وصيفات بدين فى جمالهن وأناقتهن وسحرهن كالحوريات .

ومن هذه الغرفة دلفنا إلى غرفة أخرى كان بها سيدة واحدة مهيبة الطلعة ، تبدو بشعرها البلاتينى وثوبها الباريسى الأنيق ، مثلا للجاذبية والأناقة والسحر الفرنسى . . وكانت هذه هى مدام «جوزيف أصلان قطاوى » باشا ـ كبيرة الوصيفات التى أخذت فى رقة ولياقة أخاذة تفهمنا طقوس ومراسيم مقابلة ملكة ملكات الشرق .

وبينما كانت تتحدث كنت أجيل بصرى فى الروعة والفخامة والجو الخيالى المحيط بنا . . وأتصور كيف يغرق ملوك الشرق وملكاته أنفسهم فى الترف والنعيم ناسين حياة شعوبهم .

وسارت مدام قطاوى وسرنا وراءها إلى الملكة . . وكانت جلالتها واقفة فى غرفة فسيحة واسعة ، تحت صورة ضخمة لحميها « الخديوى إسماعيل » . . وقد ارتدت ثوباً من القطيفة الغامقة من صنع باريس وغطت أصابعها بمجموعة من الخواتم الماسية البراقة وتدلى من أذنيها قرط تعلق به ماسة فى حجم البندقة .

وكان شعرها مصفوفاً وفقا للموضة الباريسية . . ولكنها وضعت فى مؤخرته مشطا كبيراً على الطريقة الأسبانية ، كان لون بشرتها أبيض ناعماً وشفتاها رقيقتين وعيناها مكحلتين على الطريقة الشرقية التى تضفى على عيون المصريات سحراً ، وبدت جلالتها بسيطه جذابة مثل ماسة نادرة من التى كانت تتحلى بها . ولم تكد عينى تقع على هذا الجمال الساحر الخلاب حتى أخذت ، ولم أملك إلا أن أقول : « إننى أدرك الآن يا صاحبة الجلالة . . لماذا يصر الملك على أن يحجبك عن لقاء الناس والصحفيين . . » .

وضحكت جلالتها ضحكة عالية مرحة رفعت على الفور الكلفة بيننا وقالت فى أسلوب طبيعى رقيق : « آه يا سيدتى . . ولكن يجب أن تؤكدى له أننى أستطيع الخروج ومقابلة الناس فى أمان فهو غيور . . غيور جداً جداً . . »

وضحكت وقلت لها : « له حق ، وعلى كل فإن الرجال جميعا فى هذا سواء . . » واستطردت جلالتها تقول وعلى شفتيها ابتسامة مرحة « لا . . ليس إلى هذا الحد . . وبهذه المناسبة أخبرينى هل اخترعوا فى أمريكا تليفوناً يرى فيه المتكلمون أنفسهم ؟! » قلت لها : « لا أدرى . . ولكن لماذا ؟ »

ثم استغرقت جلالتها فى الضحك ثم قالت : « جاءنى الملك منذ بضعة أيام مهموماً وقال لى لقد اخترعوا فى أمريكا تليفونا يرى فيه المتكلم الآخر وسوف يعمم فى العالم قريبا . . وهذه مسألة تشغله إذ لا يدرى هل يسمح باستخدامه فى القصر أم يرفع التليفونات كلها من هنا . . تصورى . . إنه غيور . . غيور إلى درجة لا تطاق » .

ولم يكن فى حديث الملكة أية مرارة أو ألم بل كانت فى مرحها . . حسناء فى الثانية والعشرين من عمرها . . قبلت مصيرها وأصبحت تجد متعة فى وجودها وسط أولادها وجواهرها . . ولكن .

وقلت لها : « كان يجب أن تتفقا قبل الزواج على حدود الغيرة وقيودها كما نفعل عندنا فى أمريكا . . » . وضحكت جلالتها ضحكة مرحة صافية على طريقتها وقالت « يبدو ـ ياسيدتى ـ أنك لازلت تجهلين

تقاليد الشرق مع ماقيل لى من إلمامك الشامل بأحواله . . إن الفتاة عندنا تتحجب من سن الرابعة عشرة . . وتخطر أو لا تخطر فى الثامنة عشرة أو قبلها بأنها ستتزوج فلانا وكل ماعليها هو أن تستعد . . » . «وقد قيل لى وأنا فى الثامنة عشرة أن علىّ أن أستعد لأتزوج السلطان . . ولما عارضت وكان العريس يكبرنى بسنوات عديدة تعجبوا وقيل لى : كيف ترفض بنت من الشعب يد السلطان ؟ » .

وأخذت جلالتها تضحك فى صفاء . . بينما سبحت أنا أفكر فيما عرفته من قصة هذا الزواج . . وكيف قضت الملكة أسابيع فى البكاء والصراخ . . قائلة إنها لاتريد أن تعيش وتفنى شبابها مع رجل فى سن أبيها !! . وأنها لاتريد أن تعيش إلى جوار رجل لا يعيش فى قلب أحد قط من رعاياه . . ثم كيف تغلب نظام الأسرة التركى ووجدت هى أن زواجها أصبح أمرا لامفر منه . . وكيف ظلت تقاوم حتى آخر لحظة حتى لقد أقيم الزواج بلا احتفال ولا صخب كما هى العادة ، ولم يشهده سوى أسرة العروسين من الرجال وسيدتين فقط ، إحداهما « مدام قطاوى » . . وطبعا لم يفرح أو يخفق قلب أحد فى مصر لزواج الملك المتعجرف الذى كان يعيش فى خوف دائم من شعبه .

وأخذت أجول ببصرى فى صورة حميها الخديوى « اسماعيل » المعلقة فوق رأسها وفى زهريات الورد البديع المتناثرة فى كل ركن من الغرفة . . وجلالتها كما عرفت مغرمة بالورود وهى تغيرها يوميا وتحب أن تكون كلها فى لون واحد . . وقلت لجلالتها بعد لحظات من الصمت : « إننى أرى الحرية قادمة إلى نساء مصر » .

فردت على الفور : « إن الحرية قادمة لاشك فيها ولكنها قادمة ببطء وأنا فرحة بها . . وأدعو الله صباحا ومساء أن لا تلقى « فوزية » نفس مصير أمها وأن تستمتع بالحرية فتستطيع أن تتزوج من تريد وتسافر وتذهب وتجيء . . الأمر الذى لا أستطيعه أنا » . وسرت غمامة حزن على وجه الملكة ولكنها مالبثت أن استعادت مرحها بسرعة ، وقالت : «إن « فوزية » ستأخذ بثأرى . . لا مناص » .

وسألت جلالتها : « أظنك على علم بحركة المرأة الجديدة وكفاحها فما رأيك فيها ؟! » فقالت : « إننى أعرف طبعاً شيئاً مما يفعلن . . وأنا شديدة الإعجاب بهن . . وإن كنت لن أجنى شيئا من ثمار حركتهن ولكن ستتمتع بها « فوزية » . . » .

وسألت جلالتها : « وكيف تقضين وقتك هنا ؟! وماهى هواياتك المفضلة ؟ فقالت : « لى هوايتان إحداهما أمارسها ، والأخرى لا أستطيع تحقيقها . . وهى السفر . . وأنت لا تتصورين كم أحب السفر . . وقد طلبت من الملك مرارا أن يصحبنى معه فى أسفاره ومع ذلك فليس عندى أمل فى أن يوافق لالشىء إلا لغيرته الفظيعة ! أنا فى شوق شديد لرؤية أوروبا مرة ثانية إذ لم أسافر إليها منذ كنت فى الثالثة عشرة من عمرى . .

ولقد سافرت يومئذ مع الأسرة ، وهى أسرة كبيرة إذ لى شقيقتان وعدة إخوة . . ولذا لم أستطع أن أفهم أو أستمتع بالكثير مما رأيت ولم أكن أجيد لغة أجنبية . . فأنا لم أتعلم الإنجليزية إلا فى السادسة عشرة ولكننى أتكلم الفرنسية بطلاقة وقد تعلمت الايطالية أيضاً . . فضلا عن العربية طبعاً . . » .

واستطرت جلالتها تقول : « ولكن ماأريد أن أراه حقا هو العالم الجديد . . أمريكا . . لابد أنها بلاد رائعة عظيمة ، وأنا أحلم برؤيتها كثيراً . . فأنا لاأحب أن أظل هنا طوال الوقت ، لا أسافر إلا إلى الإسكندرية المدينة الرطبة التى لا أحبها . . وأنا أفضل أوروبا ولكن الملك غيور . . غيور جداً » . . وسكتت قليلاً ثم قالت : « إن هذا حمق وغباء فظيع » . وأردت أن أدير دفة الحديث إلى موضوع آخر قلت لها : «وماهى الهواية الثانية ؟! » .

فأجابت : « القراءة وأنا أقرأ كثيراً وإن كان من الصعب أن أحصل على كتاب جيد » وسألتها هل أبعث إليها بكتاب أمريكى جديد عن المرأة فقالت : « إننى أجد صعوبة بالذات فى الحصول على كتاب إنجليزى جيد . . ولذا سأكون سعيدة ومسرورة أن أقرأه مع ابنى فاروق . . هل تصدقين أنه بدأ يتعلم الإنجليزية ويتكلمها الآن وعمره لايزيد على سنتين !! . إنه ذكى . . ذكى بشكل يجعلنى أخاف عليه أن ينقلب عليه ذكاؤه إلى الضد »

ولما سألتها عن الطريق الذى أبعث إليه بالكتاب قالت : « إرسليه إلى « مدام قطاوى » طبعاً . . ليمر على رقابة الملك قبل أن يصل إلى يدى . .

ودخل الخدم يحملون القهوة والفطائر ، وحينما انتهينا من تناولهما وقفت الملكة ، إشارة بنهاية الزيارة ووقفنا وسلمنا مودعين . . وتركت نازلى ملكة مصر الجميلة كما التقيت بها محاطة بالأزهار النادرة تحرسها روح الخديوى .

وفى آخر الردهة استدرت مرة أخرى لأنظر إليها وكانت لاتزال واقفة ، فلوحت لها بيدى على طريقتنا الأمريكية وتناست جلالتها التقاليد وأخذت تلوح لى بيدها البضة الجميلة ذات الماسات البراقة . إنها هى الأخرى ماسة نادرة فى صندوق فاخر . . ولكنه صندوق مظلم ! .

●●●

وحين نعاود قراءة مضمون هذه المقابلة الصحفية مرة أخرى . . نكتشف بعض الحقائق التاريخية التى أهملها عمداً بعض المؤرخين . . والتى تقود الباحث لمعرفة تفاصيل حياة الملكة ومآآلت إليه بعد أقل من عامين من دخولها القصر السلطانى ! .

ومانود الإشارة إليه هو ذلك الخلاف الذى حملته إلينا الكاتبة الأمريكية فيما يتعلق بمكان اعتقال الملكة . . حيث أجمع المؤرخون أن السلطان أحمد فؤاد نفذ حكم الاعتقال فى سجن الحريم بقصر القبة وذلك بعد ولادة ولى العهد أو بعده بقليل . . بينما ذكرت الصحفية الأمريكية أنها أجرت هذه المقابلة فى قصر عابدين . . وربما يكون ذلك صحيحاً إذا ما اعتبرنا أن قرار اعتقال الملكة وحبسها مدة سبعة عشر عاماً . . لم يصدر إلا بعد نشر الحوار الصحفى . . على إثر ماتركه من انطباعات غاضبة لدى السلطان وحاشيته .

وعلى أية حال . . لقد كانت النتيجة المتوقعة من وراء سلوكيات السلطان تجاه زوجته . . فرمان الاعتقال الذى بدأ تنفيذه من منتصف عام ١٩٢٢ وحتى عام ١٩٣٦ ، وكان من المفروض وفقا لرغبة السلطان

. . وإرادته القوية . . أن تظل الملكة قابعة فى قصرها الحريرى خلف جدران سجن الحريم الذى أقيم فى ضاحية حدائق القبة . .

والحقيقة أن الملكة استسلمت لفرمان السلطان فى بادىء الأمر . . وكأنها كانت تكتشف مواضع الضعف أو القوة فيها كان يجرى حولها . . ثم سرعان ماحولت هذا السكون وهذا القبول الظاهرى إلى ثورة غضب أشعلتها نيران غيرة السلطان العجوز ، وتصرفات زبانيته من الحراس الأشداء الذين كانت مهمتهم حراسة الملكة وإبعادها عن الرجال ! .

ولقد بحثنا طويلاً عن وصف يصور لنا حياة الملكة نازلى داخل سجن الحريم . قبيل دخولها معركة الحرية والانتقام ضد السلطان صاحب فرمان الاعتقال . . ولقد وجدنا ذلك الوصف فيها كتبه عادل ثابت إبن خالة الملكة . . عندما قال : « . . وكانت دادتنا تقول : إن الملكة نازلى أشبه بملكة البجع فى كتابك الرمادى للقصص الخرافية ، وهى شخصية محبوبة تقرأ الشعر طوال اليوم . . وقد أصبحت سيدة البحيرة الأثيرة بالنسبة لنا بطبيعة الحال سيدة كريمة ترسل لنا هديا فاخرة، وسأشعر دائما بالأمتنان لها على جهاز العرض السينمائى « باتيه بيبى » وآلة التصوير السينمائية ، والمجموعة المعدنية الرائعة المفصلة لتجميع سيارة من طراز « ستروين التى بعثت بها إلىّ » [٩].

ويقول عادل ثابت بعد تلك الإشادة بالسلطانة نازلى : « . . وكان أبغض الأشياء لدى الملكة نازلى هى المربية الإنجليزية للبلاط الملكى « مسز نايلور » . . ويبدو أن الملك فؤاد كان يسعى

(٩) عادل ثابت ـ مصدر سابق .

لوضع زمام محكم حول أسرته . . ولهذا الغرض استخدم مهارات « مسز نايلور » الصارمة التى كانت تحكم الجزء الخصوصى للأطفال بيد من حديد ، والتى فاقت سلطتها التى كان يؤيدها الملك . . سلطة الملكة نفسها .

والمفترض أن « مسز نايلور» فرضت نوعا من سجن « بريكستون » على الأمير الشاب فاروق وشقيقاته الأربع ، ويبدو أن الملكة لم يكن لها أى رأى فى التعليم ، المبكر لأطفالها . . وكان يسمح لها فقط برؤيتهم لمدة ساعة تقريبا كل يوم حتى لاتقاطع دراستهم .

وقد قيلت أشياء كثيرة متناقضة فيها يتعلق « بمسز نايلور » حتى أنه من الصعب تحديدها . . لقد كانت بالنسبة للبعض شمطاء مخيفة سليطة اللسان فى منتصف العمر تكره الملكة ، ويشجعها الملك الغيور الذى تقدمت به السن على الإبقاء على سيطرة محكمة على الأطفال ، وإبعادهم قدر المستطاع عن تأثير أمهم » .

وفى موضع آخر من مشاهداته الخاصة لمجريات حياة الملكة نازلى فى سجن الحريم قال عادل ثابت : « وكانت الملكة هاوية متحمسة للتصوير الفوتوغرافى ، تقوم بتحميض صورها وطبعها بنفسها ، كما كانت رسامة جيدة أيضا تخصصت فى رسم لوحات جميلة من الزهور . .

ولما كانت نازلى فى صباها فتاة رومانسية قوية الإرادة ، فقد أحس الملك فؤاد بوضوح أنه ينبغى التأكد من عزلتها عن بقية العالم ، حتى أن أخواتها وأعضاء أسرتها كانوا مستبعدين من القصر ، وكان مسموحاً

لوالدتى فقط باعتبارها شخصية قوية ومحترمة للغاية بالوصول إلى الملكة . . ذلك بطبيعة الحال إلى جانب الوصيفات المختلفات اللاتى جندن من بعض الأسر البارزة من طبقة الباشوات ! .

وكانت كبرى وصيفاتها سيدة يهودية ، هى« مدام قطاوى باشا » القصيرة البدينة المرحة ، والتى كانت فيما سبق صديقة حميمة للملك فؤاد وواحدة من مضيفات قصر الدوبارة .

وكانت الحياة بالنسبة للملكة نازلى تمضى داخل هذا السجن الكبير ـ الذى أقيم وسط حدائق فسيحة فى ضاحية حدائق القبة والذى كان مكانا بديعا لإقامة حريم الملك فؤاد ـ تمضى بهدوء وراحة . وكانت تشهد الأوبرا فى موسم الشتاء عند بدء العروض الأولى التى كان يحضرها فقط أعضاء السلك الدبلوماسى وأعضاء الحكومة .

وكانت دار الأوبرا صغيرة وتم بناؤها على عجل ولكنها كانت صورة دقيقة لمسرح من طراز « الباروك » من النمط الذى يفضله أشخاص مثل ملك « بافاريا» أو أمير « هانوفر» .

وكان وصول الملكة وسيداتها مسألة غريبة تجرى فى تكتم تام ، كما كانت مقصورة الملكة مغطاة بستار مزخرف ، كالمشربية ، ويستطيع المرء أن يشعر بوصول الملكة عندما تبدأ المقصورة الصامتة ، بهمهمة أصوات نسائية .

وكانت هناك مناسبات آخرى تظهر فيها الملكة ، وهى الاستقبالات السنوية التى تقام فى أيام عيد الأضحى ، حيث كان الملك يستقبل

يومئذ أعضاء السلك الدبلوماسى والوزراء والأمراء ونبلاء أسرته وبالمثل كانت الملكة تستقبل سيدات السلك الدبلوماسى الآجانب وزوجات الوزراء .

وبخلاف ذلك كانت الملكة تقضى بعض أوقاتها فى قصر المنتزة بالإسكندرية ، ثالث القصور الملكية . لقد كان هذا القصر هو قصر المتعة والسرور الذى يقضى فيه فاروق وشقيقاته فصول الصيف بجانب أمهم . . وتستمر فى تلك الأيام حوالى خمسة شهور ، إذ تصبح الاسكندرية خلالها عاصمة لمصر . . حيث يعيش الملك والبلاط والحكومة ويعملون فى المدينة » .

●●●

وهكذا كانت الملكة نازلى طوال سبعة عشر عاماً تقضى حياتها فى ملل وضيق شديدين فى انتظار لحظة الإفراج التى لم تكن تعلم موعدها حتى وزوجها السلطان يحتضر . ! وما كان عليها إزاء ذلك الموقف سوى أن تكيف حياتها وأوقاتها وفقا لما فرض عليها من طقوس وقيود . ورغم ذلك كان يضيق بها المقام فى كثير من الأوقات وتشعر بنوع من الغربة كان يضطرها إلى البكاء المستمر . إلا فى حالات قليلة كانت خلالها تتجرأ على أن تشكو السلطان لمن حولها سواء من رجاله فى الحكومة أو فى القصر الملكى . .

ومن هذه المرات القليلة . . إرسالها خطاب لصاحب الدولة «اسماعيل باشا صدقى » عندما كان رئيساً للوزراء تشكو فيه من الملك

وسلوكه الطائش نحوها وتحبره بنظام حياتها داخل سجن قصر القبة .
ولقد ظل الأستاذ التابعى محتفظا بنص هذا الخطاب طيلة ستين عاماً بين أوراقه الخاصة حتى عثرت عليه زوْجته

وقد جاء فى هذا الخطاب :

« ياصاحب الدولة . .

عندما علمت أنك مريض أحسست أن سوء الحظ مازال يتابعنى . . إن أعدائى فى القصر لم يضيعوا وقتهم ، وهم يستفيدون من عدم استقرار الأمور للقيام بدسائس ومؤامرات لتحقيق مصالحهم . فمربيات الأطفال يتحكمن حتى فى اختيار ملابس أولادى . . والمربية « جانيت » وطدت مركزها فى القصر وأصبحت هى ذات الكلمة مع الأولاد ! . وهذا أمر يثيرنى إلى أقصى درجة . . وأنا لن أقبل مطلقا أننى وأنا الأم أن أراقب فى هدوء كل مايجرى حولى من الظلم الصارخ .

ونظراً لوجود الأميرة « نعمت مختار » فى القصر هذه الأيام وهى دائما تظهر لى من العطف والود مايؤثر فى نفسى نظرا لذلك فإننى ممتنعة عن إثارة أى مناقشة ستؤدى بنا إلى انفصال نهائى لا رجعة فيه .

وبدلا من أن يفسر الملك هدوئى وخضوعى المؤقت فإنه ينتهز الفرصة لإرضاء جميع الآخرين . إن الضعف الكبير الذى أظهرته هذه المرة بتنفيذ جميع رغباته لم يخدمنى بالمرة كما كنت تظن مع الأسف . بل إن هذا الضعف أفقدنى حقوقى نهائيا . . وأصبحت بغير خادمة خاصة . . إن الأغا « إدريس » يطرد بمكر ودهاء جميع الخياطات اللاتى يحضرن لى

موديلات الشتاء دون أن يكلف نفسه بإخبارى بخصوصهن .

وأؤكد لك ياصاحب الدولة أنه إذا كان لديك أقل فكرة عن مركزى الحالى لكنت بذلت همة أكثر مما يبذل . . إن جميع الآخرين يستفيدون من هدوئنا وضعفنا وهم يؤثرون على الملك ليتخذ قرارات لن يرجع فيها مطلقا . وهو يقول دائما إن مايقرره لايتراجع فيه .

لقد شرحت لك جميع وسائل مساعدتى ولكنك لأسباب أجهلها لم ترض أن تعمل أى شىء . . إن الخطاب الذى سبق أن أرسلته لك بخصوص الأغا « إدريس » فيه اتهامات صريحة ولو أنك أردت أن تضغط على « زكى باشا » الابراشى لكنت حققت النتيجة التى كنت أنتظرها .

وأود أن أخبرك قبل اختتام خطابى أن « الابراشى » كان متعوداً أن يراسلنى ولدى منه فى القاهرة خطاب ، لاأزال أحتفظ به ، يقدم لى اعتذاراته من كل قرار اتخذه وعلم أننى تضايقت منه .

إننى آسفة على إزعاجك وأنت مريض، وإذا كنت قد فكرت فى الكتابة إليك فى هذا الظرف فهو لأننى فى منتهى الضيق والحيرة وأنا أريد أن أعلم حقيقة مركزى ، ولا يمكننى الانتظار أكثر من ذلك .

إن الملك سيسافر إلى القاهرة بعد بضعة أيام ، ويجب أن أعلم قبل سفره إلى من أتجه ليساعدنى . . أخبرنى بصراحة إذا كان فى إمكانك عمل شىء . . فأنا مستعدة للعمل بمفردى وعلى بركة الله . . أما الانتظار أكثر من ذلك فهذا مالا أقدر عليه . . فإننى كما سبق أن قلت

لك إن سكوتى يقوى خصومى فى القصر ويجعلهم ينتظرون وهم متفوقون علىّ حتى هذه اللحظة ومغتبطون بانتصارهم .

وإننى رغم الصلح الذى كان قد تم فإننى أنا المهزومة وحالتى سيئة إلى أقصى حد . . أرجو أن تعذرنى ياصاحب الدولة على الطريقة التى كتبت بها هذا الخطاب وليس لدى الوقت الكافى لمراجعته .

وأن فتحية التى ستحمل لك هذا الخطاب ستغادر الإسكندرية فى قطار الظهر . . أتمنى لك الشفاء ولكنى ألومك فى حزن وأسى . . » .

ويقول الأستاذ صبرى أبو المجد : إننى لم أجد تعليقا للتابعى على هذا الخطاب إلا الكلمات التالية : الخطاب إلى « إدريس » صدقى يقابل الملك ، الملك يقول : مش عاوزها ، يحبسها واللا يطلقها : صدقى ينصح الملكة نازلى أن تهدأ(١٠).

●●●

وكما عرفنا من قراءة أول حديث أو تحقيق صحفى فى حياة الملكة الشيء الكثير عن حياتها وأسرارها الخاصة داخل جدارن سجن قصر الحريم فلا شك أن كلمات ذلك الخطاب التاريخى السابق تلاوته تكمل لنا الصورة أكثر وبدون تعليق . . ولكن يكفى أن نقول فى هذا المقام : إن الملكة نازلى . . يبدو أن ماكان بها من ضيق وملل من آثار هذا السجن . . قد فاض بها . . وأرادت أن ترتكب بعض الحماقات التى قد تغضب الملك فيطلقها . . فكانت ردود فعله تجاه ما كانت تقوم به على

---

(١٠) محمد التابعى ـ صبرى أبو المجد ـ مصدر سابق .

غير ما تتوقع . . كأن يضربها مثلا أو يزيد فى تضييق الخناق على حياتها داخل سجنها الحريرى . وله فى ذلك تجارب عديدة حتى مع زوجته السابقة الأميرة شويكار . .

وهناك واقعة هامة لابد من ذكرها للتدليل على ذلك السلوك الشاذ الذى كان يقابل به الملك كل تصرفات زوجته الطائشة .

وتقول تفاصيل تلك الواقعة أنه قبل وفاة الملك بثلاث سنوات أثارت الملكة غضبه بشدة . . . عندما كانت مع بناتها لمشاهدة مسرحية كانت تعرض على مسرح القصر . . وجلست الملكة مع بناتها فى الشرفة المخصصة لها أمام المسرح . . أما الملك ، فكان يجلس مع رجال حاشيته أمام خشبة المسرح . .

وأثناء عرض تلك المسرحية تطلع الملك ناحية الشرفة التى كانت تجلس فيها الملكة مع بناتها فوجدها تلبس فستانا للسهرة يكشف عن ذراعيها . . ولاحظت الملكة بوادر الغضب التى بدأت تظهر على ملامح الملك فتعمدت أن تمد إحدى ذراعيها العاريتين فوق حافة الشرفة التى كانت تجلس فيها حتى تغيظه .

ولم يتمالك الملك العجوز نفسه إزاء هذا التصرف ، وبادر بالاندفاع كالثور الهائج ناحية شرفة الملكة وهو يسب ويلعن . . ثم انهال صفعا بكفيه على وجهها أمام بناتها ، وأمام رجال حاشيته .

وكانت فضيحة عندما أخذ الملك يجر زوجته من شعرها الأسود الفاحم وكان يركلها بقدميه وهو يدفعها أمامه حتى أدخلها إلى حجرتها الخاصة فى بيت الحريم ثم أغلق الباب عليها بالمفتاح .

ولم يهدأ الملك إلا بعد أن طلب خادمته الخصوصية . . وكانوا يطلقون عليها اسم « الخازندارة » وكلفها بأن تقوم بدور السجانة الخاصة للملك. وأمرها بأن تفرض رقابتها الصارمة عليها داخل حجرة نومها.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد. . بل أمر أيضا بإحضار أحد النجارين الموجودين بالقصر لعمل فتحة فى أسفل الباب تسمح بإدخال الطعام إلى الملكة السجنية فى حجرة نومها . . بعدما أخذ المفتاح فى جيبه . وفى كل يوم ومع وجبات الطعام التى كانوا يدخلونها إليها من الفتحة التى بأسفل الباب كانت « الخازندارة » تناديها من وراء الباب المغلق بالمفتاح وهى تحاول إقناعها بأن تعتذر للملك .

وكان الجواب دائما أنه بمجرد أن كانت الملكة تسمع صوت هذه «الخازندارة » . . حتى تلقى فى وجهها فردة شبشب أو حذاء تعبيراً عن غضبها . . وفى تلك الفترة انتشرت إشاعة داخل القصر . . تقول إن الملكة أصيبت بالجنون .

●●●

وأمام تلك الضربات العنيفة والمتلاحقة التى كان يكيلها الزوج للملكة من آن لآخر . . لم يكن أمامها . . سوى اللجوء إلى التفكير الهادىء واختيار طريق الحب فى المقابل للانتقام منه . . هذا الطريق كانت من أهم معالمه . . انتهاز أية فرصة لإقامة علاقات غرامية غير مشروعة مع من كانوا حولها . . لا لشىء إلا بغرض تلويث شخصية السلطان و إظهاره مظهر الزوج العاجز رغم كل هذه القوة وأبهة الملك .

ولقد قسمت الملكة طريق الانتقام بالحب إلى رافدين . . كان الأول إقامة علاقات غير مشروعة مع بعض ضباطى القصر من حرسها الخاص . . أما الثانى فكان إقامة علاقات غرامية مع بعض رجال الحاشية .

وبالنسبة لما قررته الملكة سراً داخل قرارة نفسها . . والخاص بإقامة علاقات غير مشروعة مع بعض ضباط حرس القصر . . والذى كان يمثل الرافد الأول على طريق الانتقام الملكى . . فقد سعت بكل ماتملك من دهاء إلى تحطيم ذلك السياج الحديدى الذى كان يقيمه الملك حول تحركاتها حتى داخل قصر القبة . . مقر سجن الحريم . . خوفا وغيرة منه عليها ! .

وعندما وصلت إليه المعلومات بما يدور سراً فى نفس زوجته . . أصدر أوامره الصارمة لكل رجال حرس القصر وكل رجال الحاشية بضرورة أن يدير كل منهم رأسه أو ظهره ويخفى وجهه تجاه أقرب حائط اذا ماصادف رؤية الملكة فى إحدى الشرفات أو فى طرقات القصر . . والويل لمن يضبط مخالفاً لتلك الأوامر . فإن العقاب الملكى الشديد ينتظره سواء بالإعدام أو بالسجن مدى الحياة .

ولقد اضطر أحد ضباط الحرس الخاص تنفيذا لتلك الأوامر الملكية ان يغلق عينيه وهو يقود موتوسيكلاً داخل حديقة القصر عندما شاهد الملكة وهى تهبط درجات السلم . . وكان من نتجية ذلك أن اصطدم الشاب وهو يقود الموتوسيكل بأحد جدران القصر لينقلب به ويصاب بكسر مضاعف فى إحدى ساقيه .

وعندما شاهدت الملكة الحادث المؤلم اتجهت من فورها إلى مكان الضابط المصاب ، وأخذت تساعد فى إسعافه وهى تسب وتلعن غيرة زوجها وتعليماته العمياء التى تسببت فى إصابة الضابط .

وعندما عرف الملك فؤاد بالحادث وما بدر من الملكة نازلى تجاه ذلك الضابط انتابته ثورة عينفة . . إنتقل على إثرها من قصر عابدين متجهاً إلى سجن القبة وكان فى أشد حالات الهياج العصبى . ويقول شهود العيان : إن السلطان صعد إلى جناح الملكة وبيده كرباج وفور رؤيته لها انهال عليها ضرباً . . مما اضطرها بعد هذا الحادث أن تحتجب عدة أيام حتى زالت آثار ضربات الكرباج من على وجهها . وأمام تعمد تكرار ذلك السلوك المجنون والعنيف . . لم يكن أمام الملكة سوى الاندفاع وبقوة تجاه الرافد الثانى ، والذى اعتمد فى أحداثه على الارتماء فى أحضان رجال الحاشية . . وكان فى مقدمتهم « عمر فتحى » و« أحمد حسنين » .

الفصل
السادس

ظهور عشاق الملكة
من حاشية السلطان

لا يستطيع المؤرخ المحايد أن يحدد بالضبط الوقت أو التاريخ الصحيح الذى بدأت فيه الملكة نازلى اتصالاتها العلنية أو السرية بحاشية القصر الملكى . . للبحث عن الرجل المناسب الذى يوافق أن يلعب دور العشيق فى حياتها . وذلك وفقا لمخططها السابق .

وكما عرفنا من قبل . . فإن الملكة بعد ما ضاق بها المقام . . وأحرقتها نيران غيرة الملك العجوز . . حتى وهى سجينة قصر الحريم بضاحية القبة . بدأت اتصالاتها ببعض من كانوا حولها من رجال الحرس . . ولما فشلت لجأت إلى بعض رجال الحاشية التى رأت فيهم الاستعداد القوى للارتماء فى أحضانها . . وكان على رأسهم أحمد حسنين باشا والياوران عمر فتحى .

وبذكر هذين الرجلين ، يتواصل الحديث عن عدد الرجال الذين

عرفتهم الملكة فى حياتها . . وقد حكت بذلك أروع تفاصيل المغامرات العاطفية فى حياة الملوك والملكات .

وحين نحاول تحديد موقع هذين العاشقين الجديدين على خريطة الرجال الذين عرفتهم الملكة ، نرى أنهما قد احتلا وفقا لما ذكرناه من قبل المرتبة الثالثة والرابعة . . فى الترتيب العام لهؤلاء العشاق . وذلك بعد سعيد زغلول وشاهين شريف باعتبارهما شخصية واحدة من حيث الدور الذى لعباه ثم الملك فؤاد .

والملاحظ هنا فى هذا السياق . . أن الملكة نازلى وبعد مرور أكثر من خمسة عشر عاماً على وجودها خلف جدران السجن الحريرى وقبيل رحيل زوجها وفى الأشهر الأخيرة من عمره . . بدأت اتصالاتها تجاه رجال الحاشية . . ربما لسهولة التعامل معهم بحرية وذلك بحكم موقعها الملكى من ناحية . . ولصعوبة إستمرار إتصالها بالحرس الملكى من ناحية أخرى .

وعلى أية حال . . فإن مثل هذه الاتصالات التى تركزت على رجال الحاشية من جانب الملكة لم يعلن عنها صراحة إلا بعد وفاة الملك فؤاد . . على الرغم من أنها حدثت قبل هذا التوقيت بشهور طويلة . وربما كان الرجوع إلى تاريخ التحاق كل من عمر فتحى وأحمد حسنين أول وثانى عشاق الملكة ـ بالخدمة السلطانية ـ ساعد كثيراً فى تقدير السنوات أو الأشهر التى شهدت محاولات الملكة نازلى . . على طريق مواصلة العشق والمغامرات .

والغريب فى ذلك . . أن أول من أثار الانتباه لمغامرات الملكة نازلى واتصالاتها مع حاشية القصر . بعد وفاة زوجها . . كان الكاتب الصحفى محمد التابعى حين كتب يقول :

« . . . لم تمض سوى أسابيع قليلة على وفاة الزوج فى أبريل عام ١٩٣٦ حتى كثر الهمس سواء بين موظفى القصر أو فى الأوساط الخاصة المتصلة به . . بأن السجينة قد حطمت قيودها وانطلقت وهى لا تزال فى ثوب الحداد تمرح وتحاول تعويض ما فاتها من الحياة ومتعها . وكانت السجينة هى الملكة نازلى التى كانت تقول لكل من يقابلها وتأمن جانبه» « أنا سجينة الملك فؤاد . . » .

ونستطيع القول وفقا لمجريات أحداث هذه الحكاية . . بأن الملكة نازلى . . وفور الإعلان الرسمى عن وفاة زوجها كانت قد عقدت العزم على تحقيق كل ما كانت تتمناه سواء بالنسبة لحياتها الخاصة بداخل نفسها أو حياتها العامة بجوار العرش ! . كما رتبت كل أوراقها بنظام ملكى شديد الدقة . . لتحقيق أمانيها على هذا الطريق . . ورغم ذلك فقد كان عليها أولاً أن تفرغ مابداخلها من معاناة استمرت على مدى هذه السنوات الطويلة من جراء سطوة حراسها من النساء والرجال ولذلك فقد آن أوان الانتقام .

ويصور لنا الكاتب الصحفى عادل حموده . . طريقة الانتقام الحريمى كما تصورته الملكة فى عبارات لاذعة . . فيقول : « . . وكان أول ما فعلته نازلى انتقاما من زوجها . . أنها باعت ملابسه الملكية والشخصية والداخلية لباعة « الروبابيكا » الذين علقوها فى سوق

«الكانتو » فى عرض الطريق ، ثم سعت الملكة المحرومة المكبوتة إلى التخلص من مراكز القوى فى القصر الملكى ، والذين كانوا عيون الملك فؤاد عليها وكانوا أيضا حراس سجنها .

وكان على رأس هؤلاء رجل نوبى لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، ولكنه كان يتمتع بذكاء خطير مكنه من أن يدير الأمور حسب هواه إنه «إدريس عثمان » «شماشرجى » الملك ، الذى جمع ثروة هائلة ، وجعل بلدياته قوة لا يستهان بها فى القصر ، وأصبح صاحب أسلوب شهير ، فى سيطرة الخدم والحاشية على الملوك وكان من تلاميذه«محمد حسن» الذى لعب نفس الدور فيما بعد مع الملك فاروق .

وإلى جانب إدريس عثمان . . كانت « الخازندارة » الشركسية خادمة الملك الخاصة « سرد نور هانم » التى استمرت قريبة من قلب فؤاد بسبب « الكلفوات » اللاتى كانت تقدمهن للملك أول بأول وحسب المواصفات ، جمال ورشاقة وليونة وبراءة ، والكلفوات فتيات من أصل شركسى يخدمن فى القصور ويعشن فى الحرملك ، ويتزوجن بأمر الملك من كبار موظفى الديوان .

وكان نفوذ « الخازندارة » يفوق نفوذ «نازلى » . . وعندما مات فؤاد خرجت من القصر ووراءها طابور الكلفوات يحملن صناديقهن هرباً من انتقام الملكة ! .

وكانت حماية فؤاد مسئولية الحرس الألبان . . وكانوا فى منتهى الإخلاص . . مما جعل أحدهم وهو « يعقوب نظير » حارس الملك

الخاص مركزا من مراكز القوى . [1]

ثم يأتى مهندس القصر الإيطالى الغامض « فيروتش » الذى كان يسمى « راسبوتين القصر الملكى » وكان الملك يحرص على الاجتماع به منفرداً مرتين فى اليوم بعد الغداء . . وقبل العشاء .

ثم أخيرا . . مربية فاروق ، ومعلمته الإنجليزية « مسز نيلور » التى كان نفوذها يتجاوز نفوذ نازلى . . وكان فؤاد يوافق على ذلك . . بل ويرضاه .

لقد تخلصت نازلى من هؤلاء لتتنفس الصعداء . . وكان أول من طردته يوم وفاة زوجها « مسز نيلور » التى قالت فى ذلك اليوم « يكفى أننى كنت الملكة بدون تاج »

ويبدو أن « إدريس عثمان » كان بالفعل يمثل رأس مراكز القوى داخل القصر . . لذلك لم تسلم الملكة نازلى من نفوذه وجبروته وحدها . . بل وأيضا كل من كانوا حول السلطان فؤاد . . لذلك كان مثار تعليقات العديد من الصحفيين فى هذه الأيام ، فعلى سبيل المثال قال مصطفى أمين : « كان إدريس بك قد بدأ حياته سفرجيا فى القصر . . ثم ترقى وأصبح «شماشرجى » السلطان ومعناها الخادم الذى يتولى إعداد ملابس السلطان ومساعدته فى خلع ملابسه وارتدائها . وكان رجلاً نوبياً متوسط التعليم ويجيد عدة لغات . . واستطاع بذكائه وصلته بالسلطان أن يصبح حاكم القصر الحقيقى .

(١) الملك فؤاد الثانى ـ عادل حموده ـ مصدر سابق

لقد كان هو الذى يفتح البوستة ، ويعرض المذكرات على السلطان ، ويتلقى تعليماته ويبلغها إلى كبار موظف القصر ، وعندما أصبح السلطان فؤاد ملكا تزايد نفوذ السلطان الصغير ، وحصل على رتبة البكوية ، وأصبح كبار موظفى القصر يرتعشون فى حضرته ، ويرتجفون عند رؤيته ، لقد كان قادراً على أن يبطش بأى واحد منهم لأنه وحده الذى يستطيع أن يدخل على الملك بغير استئذان . . وكان الملك يتعالى أن يتحدث بالتليفون مع وزرائه ، فكان إدريس بك هو الذى يبلغهم الأوامر الملكية !! . (٢)

أما الأستاذ التابعى فكتب يقول عن « إدريس » :

« رجل واحد استطاع دائما ودائما أبداً أن يبقى فى القصر الملكى على تطاول السنين وامتداد العهد دون أن يتقلص نفوذه أو تخفت كلمته أو يعترى ما كان له من سلطان وهن أو ضعف .

فقد توالت على القصر شخصيات كثيرة كان لكل منها فى وقت من الأوقاف نفوذ وجاه وسلطان . . ثم جاءت الساعة التى أصبحت فيها هذه الشخصيات هباء لا قيمة لها وفقدت سلطانها ونفوذها وانقطعت ما بينها وبين القصر من صلات وعلاقات . . ولكن بقى إدريس فى مكانه لايتزعزع ولايعترى صلته برب القصر جفاء أو قطيعة .

كان « إدريس» هو الأمين المخلص والمشرف على كل شئون الأمير أحمد فؤاد المنزلية . . فلما تولى الأمير العرش ، وأصبح صاحب العظمة

---

(٢) سنة أولى حب ـ مصدر سابق .

السلطان . . ثم صاحب الجلالة الملك أحمد فؤاد الأول . . ولم ينس خادمه الأمين ، وانتقل إدريس من قصر الأمير إلى قصر السلطان ، فالملك ، وبقيت له حظوته ، وامتد نفوذه وسلطانه وأصبح هو المهيمن الأول على كل صغيرة وكبيرة فى القصور الملكية .(٣)

●●●

وبعد أن خلا القصر الملكى من أعداء الملكة فور التخلص منهم واحداً وراء الآخر وبعد أن أصبح الطريق أمامها ممهداً لاستعادة هيبتها وكيانها الرسمى . . بدأت فى ترتيب أوراقها الملكية فيما يخص حياتها العامة المرتبطة ارتباطاً وثيقا بالعرش . . وممارسة وظيفتها كملكة متوجة بحكم الدستور وقانون البلاط الملكى . وكان عليها فى هذا الإطار الحفاظ على عرش الملك فؤاد حتى يجلس فوقه من بعده ابنه ولى العهد فاروق . . وقد امتزجت جهود الملكة السياسية لهذاالغرض بالعديد من المغامرات غير المحسوبة والتى لولا حنكتها الطويلة ودرايتها بما يدور خلف كواليس السياسة والأحزاب . . لضاع العرش والسلطان منها ومن ابنها ولى العهد . .

ولسوف يكون لنا مع هذا الجهد السياسى الضخم الذى بذلته الملكة نازلى وقفات طويلة . . نتعرف من خلاله على ما قدمته لابنها من خدمات ساعدت كثيراً فى تثبيته على العرش وسط دوامة من الصراعات السياسية على كل المستويات . .

---

(٣) محمد التابعى ـ مصدر سابق .

وقد يتصور البعض أن تلك المشاغل السياسية الضخمة قد أوقفت مسيرة غراميات الملكة . . ونحتها جانبا . . حتى تحقق آمالها السياسية . . ولكن هذا التصور لم يكن صحيحا . . بدليل أن الملكة نازلى وتقريباً فى نفس التوقيت . . بدأت ترمى بسهامها العاطفية تجاه رجال الحاشية حتى تمكنت من اصطياد رجلين فى آن واحدا . وهما الياوران «عمر فتحى » والسياسى المحنك « أحمد حسنين » . . تماما مثلما فعلت من قبل مع كل من « سعيد زغلول » و « شاهين شريف » في مرحلة حياتها الأولى ـ مرحلة الحب والشباب ـ ولكن يبدو أن الظروف الاجتماعية هذه المرة قد تغيرت تماماً . . ولم تساعدها الأيام للاستمرار طويلاً فى اللهو بالرجلين معاً . فانسحب أحدهما وبقى الآخر ! .

والغريب أن الظروف المعاكسة التى نقصدها كان سببها الأول راجعاً فى الأصل لشخصيةآحد هؤلاء الرجلين وإمكانياته الخاصة والعامة . وكانت النتيجة أن تراجع أحدهما تاركاً ميدان العشق والغرام بما يتطلبه من جرأة ومواصفات خاصة تناسب ما فيه من مغامرات غير محسوبة النتائج للشخص الآخر الذى تمكن وحده وباقتدار من مسايرة أهواء الملكة .

لقد عاش الياوران عمر فتحى ـ الذى فضل الانسحاب المبكر ـ طوال عمره خادماً مطيعا داخل القصر الملكى . . ولم يكن يسمح لنفسه إزاء هذا الإخلاص أن ينظر بمطامع شخصية إلى الملكة نازلى ! . كما كان طوال خدمته في القصر حريصاً دائما على أن يكون فى حدود وظيفته . . وأن يؤدى واجباته الرسمية فقط .

ولكن يبدو أن انسحاب عمر فتحى من حلبة سباق غراميات الملكة . لم يكن له ما يبروه ، . ذلك وفى تصورنا أن قدرات حسنين باشا وطموحاته وآماله ودهاءه الذى فاق دهاء الملكة نفسها . . كانت كلها مؤهلات عالية المستوى وقد وجدت هوى خاصاً فى نفس الملكة . . كما ساعدته تلك المؤهلات كي يتقدم وبخطوات واسعة على منافسه الثانى عمر فتحى .

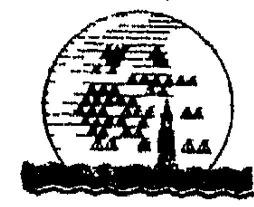
لقد كان الياوران عمر فتحى ووفقا لوصف زوجته السيدة أنيسة التى اقترن بها وهو فى عمر أبيها . . « جاداً دائما . . صارما . . صموتا دائما . . غير أن تلك الصفات لم تكن تخلو أبداً من كونه يحمل لقب الزوج المثالى . . خاصة بالنسبة لى كزوجة تصغره بأعوام كثيرة »(٤).

وفى المقابل كانت صفات أحمد حسنين مختلفة تماماً ! . وقد تباينت فيه الآراء واختلفت ، نظراً لتعدد هذه الصفات وتنوعها ! . فعلى الرغم من كونه ابن شيخ أزهرى متمسك بدينه ، كان أحمد حسنين من خريجى جامعة إكسفورد . . ومن عشاق الحياة الأوربية ! والتى أهلته لكى يكون صهراً للأسرة المالكة . . وكانت مصاهرته للملك فؤاد . . الطريق إلى القصور الملكية موظفا وسياسياً كبيراً .

لقد عمل أحمد حسنين فى البداية مفتشا بوزارة الداخلية عام ١٩١٤ ثم سكرتيراً بسفارة مصر فى واشنطن . . والأمين الأول للملك فؤاد ورائد الأمير فاروق ولى العهد وأمير الصعيد . ثم الأمين الأول لفاروق حين

---

(٤) قصة طلاق عمر فتحى ـ الجيل ٢٥ / ٥ / ١٩٥٣



تولى عرش مصر ثم رئيس ديوان الملك . ، والرجل الذى يمسك بخيوط السياسة المصرية فى فترة ما بين عامى ١٩٤٠ و ١٩٤٦ .

والمحقق المنصف لابد له وأن يتوقف أمام صفات ووظائف أحمد حسنين باشا . . ليناقشها بشكل محايد . . ليعرف هل كانت هى السبب الحقيقى التى جعلت الملكة نازلى تقاتل من أجل الانفراد به دون غيره ؟! . أم كانت هناك أسباب أخرى ؟! . مع العلم أن الملكة كانت تعرف مسبقاً أن أحمد حسنين متزوج من ابنة الأميرة شويكار مطلقة السلطان فؤاد وزوجها الراحل ! .

وقد يكون ذلك السبب فى مقدمة المبررات القوية التى دفعت بنازلى للتمسك بأحمد حسنين . إضافة إلى الصفات والمؤهلات الأخرى السابق الحديث عنها .

وعلى أية حال . . فليس من موضوعنا أن نقارن بين عمر فتحى وأحمد حسنين . . وكل ما هنالك أننا نقدم المعلومات المتاحة لدينا الآن عنهما ثم نفرد بعد ذلك الصفحات الخاصة بهذا الفصل للحديث عن أحمد حسنين دون غيره . لسببين . الأول : أنه الرجل الذى تمكن وباقتدار من إستكمال مشوار العشق نحو قلب وعقل الملكة نازلى بلا منافس . . ولمدة عشر سنوات بعد وفاة الملك فؤاد عام ١٩٣٦ وحتى يوم رحيله فى عام ١٩٤٦ .

أما السبب الثانى والأهم . . أن أحمد حسنين باشا قد نجح فى مسيرته تجاه قلب وعقل الملكة . . حتى وصل إلى غايته بأن أصبح الزوج الثانى

لها . . وفقاً للفرمان الملكى الذى أصدره الملك فاروق . . وفى المقابل كان مكافأته . . إختياره فى منصب رئيس الديوان الملكى .

●●●

وعلى أية حال لقد كان علينا أن نتوقف قليلاً لالتقاط الأنفاس من جراء محاولة اللحاق بحكاية الملكة نازلى وعشاقها الخمسة . من قبل إلقاء الأضواء المبهرة على حياتها على مدى عشر سنوات قضتها بجوار زوجها الثانى أحمد حسنين باشا . . ولقد آثرنا استغلال فترة التوقف هذه فى التعرف على الدور السياسى الكبير الذى لعبته الملكة نازلى للحفاظ على عرش الملك فؤاد بعد وفاته وتولية ابنه فاروق من بعده . على الرغم من أننا قد تناولنا ذلك الجهد بشىء من التوسع مصحوباً بمناقشة مستفيضة فى كتابنا الذى صدر تحت عنوان « النساء ولعبة السياسية » . . وقد يكون السبب فى إعادة بعض ما تناولناه عن هذا الدور . . هو الارتباط الوثيق بين حياة الملكة نازلى الخاصة والعامة . . على اعتبار أن وجودها على العرش أو بالقرب منه كان من المؤكد أن يستمر فى حالة استمرار عرش زوجها من بعده وتولية ابنها ولاية العهد . ولقد بدا ذلك واضحاً من سعيها للحصول على لقب الملكة الأم . . بل وتدوينه فى الدستور حفاظاً على وضعها السياسى وحياتها داخل القصور الملكية .

ولقد ذكرنا فى كتابنا المنوه عنه من قبل وتحت عنوان : الملكة نازلى زعيمة سياسية رومانسية « يبدو أن الملكة نازلى كانت تسمع فى ذلك الوقت أصوات نظائرها من نساء العصر اللائى بدأن فى المطالبة بالحقوق المدنية والسياسية . . وأن مركزها ووضعها الاجتماعى داخل القصر

الملكى لم يكن يسمح لها آنذاك بالنزول إلى هؤلاء النسوة ومشاركتهن فى تلك المطالبات . . من أجل ذلك اكتفت بممارسة الدور السياسى الذى كانت تحلم به المرأة المصرية من خلف ابنها الصغير فاروق ، الذى دفعت به الأقدار كى يعتلى عرش مصر ، وهو لا يزال صبياً تعوزه الحنكة ، ويحتاج إلى من يدله على التصرف السليم فيما يتعلق بشئون الحكم والسياسة .

لقد كان فاروق تلميذاً فى السادسة عشرة من عمره ، أرسله والده إلى إحدى المدارس الإنجليزية لاستكمال تعليمه وألحقة « بقصر كنرى هاوس » بلندن . . ولكن سرعان ما توفى والده ووجب رجوعه لمصر ، نصف أمى . .

وحين عاد إلى مصر فى الأسبوع الأول من شهر مايو عام ١٩٣٦ ، أحاط به بعض أفراد الأسرة المالكة الذين يشكلون تهديداً للعرش المصرى، وبالتالى لاعتلائه العرش بعد والده ، بجانب رغبة بريطانيا آنذاك والتى تبلورت فى ضرورة اختيار ملك غيره يحكم مصر ، سيراً على نهجها السابق ، إذ لابد وأن يكون للخارجية البريطانية النصيب الأكبر فى هذا الاختيار . . مثلما حدث مع عمه السلطان حسين كامل ووالده الملك فؤاد .

لقد كانت النية متجهة إلى اختيار الأمير محمد على توفيق كى يخلف فؤاد على العرش نظراً لصغر سن فاروق . [٥] .

---

(٥) النساء ولعبة السياسة .

إن الحديث عن العاشق الثانى فى حياة ملكة مصر . . كان يستلزم منا أن نسوق أولاً بعض المعلومات الخاصة والتى تقول عن أحمد حسنين إنه من مواليد عام ١٨٨٩ ، وأبوه هو الشيخ محمد حسنين البولاقى . . من رجال الأزهر الشريف وحفيد « أحمد باشا مظهر حسنين» آخر أميرال للبحرية المصرية .

وتلقى أحمد حسنين تعليمه فى القاهرة ، وبعد أن قضى ثلاث سنوات فى مدرسة الحقوق بها تركها والتحق بكلية « باليول » بجامعة إكسفورد البريطانية . وفى عام ١٩١٤ حاول أثناء إقامته فى لندن ودون جدوى أن ينخرط فى سلك الجيش البريطانى . ورغم ذلك عينه الجنرال «ماكسويل » سكرتيرا عربيا له . . كما كان أداة عون كبيرة للجنرال «تاليوت » أثناء المفاوضات التى دارت عقب هزيمة السنوسيين .

وعندما غادر الجنرال « ماكسويل » مصر عين أحمد حسنين فى وظيفة متواضعة فى وزارة الداخلية . . ثم سمح له بمصاحبة القوات البريطانية فى الصعيد بوصفه ضابطا سياسياً فى أعقاب الاضطرابات التى نشبت فى مصر عام ١٩١٩ .

وفى عام ١٩٢٠ شغل حسنين باشا وظيفة مساعد مفتش بالداخلية وفى العام نفسه تولى رياسة « الفريق المصرى فى الألعاب الأولمبية » فى سلاح الشيش فى مدينة بروكسل .

ولقد اشتهر حسنين إلى جانب ذلك برحلاته لاستكشاف الصحراء ما بين أعوام ١٩٢١ ، ١٩٢٤ . وفى العام الأخير عين سكرتيراً أول فى

المفوضية « المصرية » بواشنطن ، ونقل منها بنفس وظيفته إلى المفوضية المصرية بلندن .

وفى عام ١٩٢٥ عندما توفى والده ، ترك أحوال أسرته فى حالة من الارتباك . وفى محاولة من جانب الملك فؤاد لمساعدته فى إصلاح أحوال هذه الأسرة أمر بتعيينه أميناً ثانياً بالقصر ثم أمينا أول ، وسمح له بمصاحبة الأمير فاروق فى مختلف رحلاته إلى أوروبا .

وقد تخلف أحمد حسنين شهوراً طويلة عقب مغادرة الملك فؤاد لندن على عجالة عام ١٩٢٩ . . وظلت أسباب تخلف حسنين فى لندن غامضة وإن كان قد استغلها فى دراسة صناعة الطائرات ، وكان يمكن بقليل من الحظ أن يصبح طيار مصر الأول .

وتزوج أحمد حسنين عام ١٩٢٦ من السيدة « لطفية » ابنة سيف الله يسرى باشا ابنة الأميرة شويكار مطلقة الملك فؤاد وأنجب منها ولدين وبنتين . كما صحب حسنين الملك فاروق إلى انجلترا كمسئول عن حاشية الملك فى الفترة من اكتوبر عام ١٩٣٥ إلى أبريل ١٩٣٦ . ومنح لقب الباشوية فى أغسطس من نفس العام . . ثم عين رائداً بالحاشية الملكية عام ١٩٣٦ . . ولذلك آسندت إليه مسئولية تعليم وتنشئة الملك فاروق ! .

ولقد عين رئيسا للديوان الملكى عام ١٩٤٠ . . وظل بهذا المنصب حتى مات مقتولا فى حادث سيارة فى ١٩ فبراير عام ١٩٤٦ على كوبرى قصر النيل .

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا كمدخل حيوى لحديث يحتضن العلاقة المتميزة التى ذاع صيتها بين الملكة نازلى وأحمد حسنين . . تقول كلماته :

وهل كان أحمد حسنين بالفعل يحب الملكة نازلى ؟! . على الرغم من أنه كان فى تلك الفترة متزوجاً من ابنة الأميرة شويكار ؟ .

لقد أثبتت الأحداث والوقائع المعاصرة لحسنين باشا . . أنه لم يكن يحب الملكة نازلى بالمعنى العاطفى المتعارف عليه . . و كل ما هنالك أنه كان حريصاً فقط على استرضائها . . فقد كانت فى ذلك الوقت ملكة مصر وأم الملك فاروق . . وصاحبة النفوذ القوى عند ابنها الذى كان حتى هذه الفترة يحب أمه ويحترمها . . بل ويخشاها ويخشى غضبها . . وكان حسنين باشا يعرف ذلك جيداً ويدرك أن الذى ينجح فى السيطرة على الملكة نازلى يستطيع أن يسيطر عن طريق قلبها وعقلها على الملك فاروق .

أكثر من ذلك فقد أثبتت الأحداث نفسها أن معرفة حسنين باشا بالملكة نازلى . . لم تكن معرفة سطحية . . بل كان يعرف عنها أكثر مما كان يعرفه أى موظف آخر فى القصر . لقد كان يعرف مثلاً الكثير عن تفاصيلها . سجنها وعذابها وغيرتها وغيرة زوجها وحسرتها وتلهفها على الحياة المرحة الطليقة .

ولا شك أن معرفة حسنين باشا بأحوال الملكة نازلى ومطالبها الخاصة والعامة كان يرجع فى المقام الأول لمكونات شخصيته وتجاربه الواسعة فى

الحياة التى بدأت فى منزل والده الشيخ الأزهرى ، وانتهت فى البلاد الأوروبية والتى أسفرت عن اقترانه بابنة مطلقة سلطان مصر الأميرة شويكار . كما يرجع ذلك أيضا إلى مستوى الذكاء العالى الذى كان يتصف به . . والذى كان يرجع أيضا إلى البيئة الدينية التى تربى فيها .

هذه القدرات الخاصة التى كان يتمتع بها أحمد حسنين باشا . . على مدى حياته العاطفية والسياسية . . جعلتنا ننقب فى أوراقه الخاصة لكى نكشف النقاب عن بعض أسرارها . . وكانت أولى الحقائق التى توصلنا إليها من خلال هذا التنقيب . . قوة النزعة الصوفية والإيمانية بداخله . . والتى كانت ترجع فى الأصل إلى الجلسات التى كان يحضرها مع والده الشيخ محمد حسنين البولاقى . . ثم حفظه لكثير من آيات الذكر الحكيم .

وبخلاف تلك النزعة الإيمانية والتصوف كانت هناك هويته فى حب المغامرة التى ورثها عن جده الكبير « الأميرالاى مظهر باشا » وقد تمثلت فى مغامراته الشهيرة سواء فى الصحراء أو فى الجو .

ويبدو أن إتقانه ونجاحه فى تحقيق العديد من تلك المغامرات غير المحسوبة قد شجعه كثيراً على المضى قدماً نحو تحقيق المزيد . . فعلى سبيل المثال : كان حسنين باشا يحب سياحة الصحراء . . ويرجع إليه الفضل فى اكتشاف بعض واحات الصحراء المصرية المجهولة . . وكان كثيرا ما يدعو أصدقاءه وصديقاته من الأجانب لمشاركته هذه السياحة، وكانت على رأسهم الأديبة « روزيتا فوربس » التى وضعت

· كتابا وصفت فيه إحدى رحلاتهامع حسنين باشا. عندما واجه الموت عدة مرات . . ولكنه نجا بأعجوبة .

وبجانب مغامراته الشهيرة فى الصحراء . . كانت هناك مغامراته الأكثر شهرة وإثارة فى الجو . لقد خاض العديد من التجارب فى الطيران خلال عام ١٩٣٠ . كما قرر أن يطير بطائرة خاصة من لندن إلى القاهرة ، ولكنها سقطت وتحطمت بعد عدة ساعات فى فرنسا ونجا حسنين من الموت فى آخر لحظة ثم اشترى طائرة ثانية وكرر محاولته فى الطيران . . فسقطت به هذه الطائرة أيضا فى سويسرا . . وجاءت محاولته الأخيرة حين تحطمت به الطائرة فى إيطاليا . ومع ذلك لم يمت! .

●●●

وبشكل عام يرى العديد من الصحفيين والمؤرخين أن أحمد حسنين كان رجلا ذا أطماع واسعة ، وكان كل نجاح يحققه يساعده على تحقيق المزيد . . كما كانت كل خطواته دائما إلى الأمام . . وكانت حياته معظمها سلسلة من الانتصارات . . وأيضا لم يعرف الهزيمة سوى مرة واحدة على حد قول صديقه محمد التابعى .

لقد كان أحمد حسنين يضع كل خططه بإحكام . . وينفذها أيضا بمهارة عالية . . كما كان لا يضيق صدره ولا يخونه صبره مهما طال به الأجل أو واجه الصعوبات .

وكانت خطته البارعة على طريق تحقيق أكبر طموحاته . . قائمة على مصاهرة الأسرة المالكة . . حيث استطاع أن يفتن ابنة الأميرة شويكار

«لطفية » ، وأن يتزوج منها وبذلك أصبح زوجاً لأخت الأميرة فوقية ابنة الملك فؤاد من زوجته الأولى شويكار ، وأخت الملك فاروق من أبيه . وقد خدمه الحظ أكثر على نفس الطريق عندما تصالح الملك فؤاد مع مطلقته شويكار وذلك قبل زواج حسنين من ابنتها بعدة سنوات .

ولقد تمكن حسنين من تعزيز مركزه السياسى والاجتماعى بعد هذا الزواج . . حيث وضع قدميه على أولى درجات السلطة فى دنيا المناصب والجاه والنفوذ . . والغريب أن هذه الزوجة التى كانت سبيله إلى القصر الملكى . . كانت هى نفسها الطريق نحو قلب وعرش الملكة نازلى . وقد جاء اليوم الذى فضل فيه أحمد حسنين أن يضحى بالزوجة التى أحبها وأنجب منها أولاده فى سبيل الفوز بالملكة . لاعتقاده أنها أصبحت طريقه للفوز بالمزيد من الجاه والسلطان والمناصب، ففى الوقت الذى تفجرت فيه مشاكله العائلية كانت الملكة نازلى قد اختارته كمرافق لها خلال الرحلة الملكية التى قررت أن يقوم بها ابنها الملك فاروق فى عام ١٩٣٧ لزيادة تجاربه ومعلوماته فى الحياة قبيل توليه عرش مصر.

وعندما طلبت زوجة حسنين باشا أن ترافقه فى تلك الرحلة . . وعودها بعرض طلبها على الملك فاروق . ولكنه لم يفعل ذلك خوفاً من الملكة . . وكل ما هنالك أنه تحدث فى ذلك الأمر مع نازلى التى رفضت وبإصرار أن يصاحب زوجته . . وكان هدفها من وراء هذا الرفض قد بات معروفاً لكل من كانوا حولها . . لقد أرادت الانفراد بالعاشق أحمد حسنين بعيداً عن مضايقات القصر وبروتوكولات السياسة .

وقبل بدء الرحلة علمت السيدة «لطفية» . . برفض طلبها . . عندئذ تأكد لديها ما كانت تسمع عنه هنا أو هناك عن وجود علاقة خاصة بين زوجها أحمد حسنين وبين الملكة نازلى . . وعلى الفور اشتعلت ثورة الغضب فى منزلها . . فأخذت الزوجة فى البكاء والصراخ . . ولم يكن أمامه من حل سريع لإنهاء هذه الثورة سوى التخلص من تلك الزوجة المزعجةفأقدم على تطليقها .

●●●

ولعلنا من خلال استعراض سريع لتفاصيل هذه الرحلة الملكية التى استغرقت حوالى خمسة أشهر نستطيع القول بأن أحمد حسنين باشا قد تمكن وباقتدار من امتلاك ملكة مصر . . وكانت ربوع ومدن أوربا هى الأرض الخصبة التى ترعرت فوقها قصة العاشق والملكة الأم .

وحتى نكون منصفين فيما قلناه سوف ندع الأستاذ التابعى يحكى لنا بعض أحداث تلك الرحلة . . وإن كان ما سوف نسمح بتلاوته ليس بالتفاصيل التى ذكرها الاستاذ التابعى فى أوراقه الخاصة .

ذلك لأن التاريخ يقول : إن علاقة حسنين بالملكة نازلى استمرت فتره تسع سنوات ، ولم تقتصر فقط على تلك الشهور الخمسة . . وإن كانت تلك الشهور قد دعمت كثيرا هذه العلاقة . . بل وساعدت على استمرارها بقوة حتى عام ١٩٤٦ ! .

لقد كان حسنين طوال الرحلة حريصا على مقامه واحترامه فى نفس فاروق . . وحريصا فى نفس الوقت على تقوية قبضته على نازلى الملكة أم

فاروق . . وكانت الأميرات الشقيقات قد بدأن يتعلمن التزحلق فى ساحة الفندق المغطاه بالجليد . . وكانت أكثرهن حماسة ورغبة فى التعليم هى فتحية التى كانت ولا تزال فى السابعة من عمرها . . وذات يوم وكما يحكى الإستاذ التابعى : نزلت الملكة نازلى تريد أن تتعلم هى أيضا ، وأمسك المدرب بذراعها ، وأحاط خصرها بيده وراح يعلمها كيف تنقل قدميها فوق الجليد . . وصاحبة الجلالة تتثنى وتتمايل ، والمصورون يلتقطون لها الصور فى هذه الأوضاع .

ووقف حسنين على درج السلم الخشبى ينتظر وعلى عينيه نظارة تحمى البصر من وهج الثلج . . وأقبلت نازلى . . وانفجر حسنين ، ولكن صوته لم يعل عن طبقته العالية قائلا : «لا . . لا . . مش كده ياست . . مش كده أبداً . . بكره راح نسمع كلام فارغ كثير بسببك» .

ولم تزد هى ـ صاحبة الجلالة ـ عن أن تبتسم فى وجهه . . وهى تصعد إليه درجات السلم الخشبى . . حتى إذا وصلت أخذت بذراعه وهى تقول : « طيب خلاص . . مرة وفاتت » .

وعجبت (والكلام لا يزال على لسان محمد التابعى) لهذه اللهجة التى يخاطب بها موظف القصر صاحبة الجلالة الملكة وأم ملك مصر . . وعجبت أكثر وأكثر لخضوع صاحبة الجلالة . . فهى لم تغضب . . بل اعتذرت . . وتابت (٧) .

« . . وأنهيت مأموريتى فى مونتريه ولحقت بفاروق وحاشيته فى مدينة

(٧) من أسرار الساسة والسياسة ـ مصدر سابق .

زيورخ . . وبعد أيام سافرنا إلى باريس . . باريس التى كانت نازلى كما قالت مراراً تشتهى أن تزورها قبل أن تموت ! .

وكنا جميعا قد انتهينا إلى تقرير أمرين أو حقيقتين وهما . . فاروق يحب صافيناز ، ونازلى تحب حسنين ـ وحسنين . . هل كان يحب نازلى؟! . لا أعتقد ولا أحد غيرى كان يعتقد هذا . . والحقيقة أن الأثر الذى انطبع يومئذ فى نفوسنا هو أن نازلى هى التى تجرى وراء حسنين . . وأن حسنين « تقيل » . . ثم لعله كان يتعمد أن يثير غيرتها عليه فى بعض الظروف .

فقد لاحظت أن حسنين كان يحرص على التودد والتظرف والتحدث مع كل سيدة أو آنسة جميلة يلقاها فى قاعة الفندق . . إذا كانت نازلى موجودة و إذا لم تكن موجودة فإن حسنين كان قليل الاكتراث بالسيدات والآنسات . .

وحدث مرة ـ وكنا لا نزال فى « سان مورتيز » ـ أن قام حسنين يراقص فتاة ألمانية كنت أعرفها واسمها « جوى جيجل » وكانت معدودة يومئذ من أبطال التنس فى المانيا وحسنين راقص رشيق بارع . . والفتاة الألمانية طويلة القامة هيفاء العود . وطال رقص الاثنين . . وانتفضت الملكة نازلى واقفة ، ونادت بصوت ينم عن الغضب : حسنين ! . . وعلى الفور أرخى حسنين ذراعه التى كانت تطوق خصر الفتاة وأسرع إلى الملكة نازلى .

أما فاروق فكان يرقص حينئذ مع « شهيرة » هانم زوجة خاله حسين

صبرى باشا ولعله لم يلاحظ شيئا . وأكبر الظن أن فاروق لم يكن يومئذ يخامره أى شك فى سلوك أمه أو فى حقيقة علاقتها بأحمد حسنين . لقد كان فاروق يومئذ لا يزال يحسن الظن بأمه . . ويحسن الظن برائده أحمد حسنين .

وكان حسنين فى هذه الرحلة يعامل نازلى أمامنا معاملة الموظف المرءوس لصاحبة الجلالة . . أى بكل الاحترام والطاعة والأدب . ورغم ذلك كانت تبدو منه ـ ربما عفوا ـ بعض الإشارات أو العبارات التى وإن كانت لا تتنافى مع الاحترام والأدب إلا أنها كانت تنم بكل تأكيد عن القوة والسيطرة .

●●●

ومع بداية عام ١٩٣٧ . . كان أحمد باشا حسنين قد تفرغ لعلاقته الخاصة مع الملكة نازلى . . وقد أجمع شهود عيان هذا التفرغ أن ذلك العاشق الذى انفرد وحده بالملكة ظل يسير وفق منهجه الذى رآه مناسبا لحياة الملكة المحرومة ، والذى كان يقوم على الصد والإثارة ، وربط الملكة بسلوكياته الخاصة وذلك حتى عام ١٩٤٠ . . حين ظهرت فى حياته المغنية اللبنانية « أسمهان » . . وقد عاش معها فترة من الوقت قصة حب عنيفة سوف نتناولها وآثارها فى « أوراقنا القادمة » . . لكن المهم وقبل ذلك هو الوقوف على تفاصيل علاقته بنازلى ابتداء من عام ١٩٣٧ . ولدينا كشاهد على تلك الفترة . . ما سجله مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية الذى يحدثنا فيما سجله فى شهادته عن عمق تلك العلاقة فيقول :

« إن حسنين باشا كان أخطر رجل فى مصر . . وهو ممثل يجيد التمثيل أفضل من يوسف وهبى . . ، وأنا لا أنسى يوم جاءتنى الملكة نازلى تقول إنها تحب حسنين ولا تستطيع الحياة بدونه وأنها تعسة لأن حسنين صارحها بأنه لا يستطيع أن يقربها لأنه لا يحب الحرام . .

ثم قالت الملكة نازلى إنها كانت قد أوفدت إلى حسنين إحدى وصيفاتها ، لتسأله عن سر بروده مع صاحبة الجلالة ، فقال لها إنه يتعذب ، وأنه يمسك بعواطفه لأنه يحبها ـ أى يحب الملكة نازلى ـ ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا يغضب الله . . وانطلقت نازلى فى شكواها لمراد محسن باشا على حسب روايته التى تقول :ـ « يعنى أعمل إيه أنا؟! . لا هو يسمح لى أن أعرف رجلاً سواه . . ولا هو يريد أن يأخذنى . . لا عاوز يرحم ولا يخلى رحمة ربنا تنزل (وأستغفر الله لتلك المرأة الآثمة » .

ولقد دهشت ـ والكلام لا يزال لمراد محسن باشا ـ من هذا التصرف من حسنين فأنا أعرفه جيداً ، وأعرف أن فى حياته الخاصة وفى سلوكه الشخصى ليس شيخ الأزهر . . ولكن حسنين كان يمثل دوراً . . وكانت النتيجة أن ازداد وجد الملكة وتضاعف هواها وحبها له ، وأصبحت تعتقد أنه رجل غريب . . رجل يجد ملكة بين يديه ويرفض أن يقربها .

وذات يوم قالت له . أنا أعطيك إنذاراً نهائيا ، إما أن تعاملنى كامرأة . . وإما سأقطع كل علاقة بيننا وأصبح حرة أفعل ما أشاء . وأجاب حسنين ـ وهو يتظاهر بالبكاء ـ إنه لا يستطيع أن يقربها إلا إذا تزوجها

. . ثم أسرع يقول : . . « وغير معقول أن أتزوج الملكة » . . وهنا صاحت الملكة نازلى . طظ فى لقب الملكة . ولكن حسنين قال : معنى هذا أن جلالة الملك سيطردنى وأنا أفقر من أن أستطيع العيش على معاشى لأن الديون تأخذ جانبا كبيرا منه .

قالت الملكة نازلى : أنا مستعدة لأن أضع ثروتى كلها بين يديك قال : ولكننى لا أستطيع أن أعيش على حساب زوجتى وسوف أشعر بمرارة أنك لو دفعت لى ثمن هذا الزواج وصاحت هى : يعنى عايز أعمل إيه . زوجة . . لا . . رفيقة . . لا . . عاوزنى أبقى إيه ؟ !

قال حسنين : عاوزك ملكة ! .

قالت : يعنى قطعة جماد . . طوب . . حجارة . . لا يا سيدى أنا بنى آدم . . أنا دم ولحم . . أنا امرأة . . أنا حرمت كل حياتى من الحياة عاوزه أعيش . . سيبنى أعيش .

قال حسنين : أنا خايف على سمعتك وسمعة السراى ، وإلا لتركتك تفعلين ما تشائين . وهنا انفجرت قائلة : طيب . . سأبدل السراى . . أنا أخذت إيه من السرايات . . غير المرض والبؤس والشقاء . . أنا عشت « سبعتاشر » سنة فى ثلاجة . ولكن حسنين أصر أمامها على أنه يخشى الله ولا يستطيع أن يفعل شيئا يغضب الله ! .

وهنا قالت الملكة نازلى : إذن سأذهب إلى فاروق وأقول له إننى سأتزوجك قال حسنين : اذهبى . . ولكنه سيرفض .

وذهبت الملكة نازلى فعلاً إلى الملك فاروق . . وكانت مقابلة عاصفة

فقد قالت لابنها إنها تحب حسنين باشا ، وتريد أن تتزوجه وقال فاروق : رافقيه أحسن ! . قالت : إنه يرفض أن يكون عشيق الملكة ! . قال صاحب الجلالة الملك : سأصدر إليه أمرا ملكيا بذلك ! . ولعل فاروق كان يسخر من أمه .

ويختتم مراد محسن باشا شهادته بقوله :

« وعلى أى حال فإنه لم يفاتح حسنين فى هذا الموضوع ، وكان طبيعيا أننى أعتقد أن الملك سوف يغضب ، ويحقد على حسنين ويطرده من السراى . . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . . ولعل جلالته أحس بإخلاص حسنين باشا . . وأن هذا الإخلاص هو الذى يحول بينه وبين أن تكون له بالملكة علاقة غير شريفة » .

الفصل السابع

المغنية التى عجلت بزواج نازلى من حسنين ..

لايزال فيما تبقى لدينا من أوراق عبر هذا الفصل ثلاثة تواريخ لسنوات على درجة كبيرة من الأهمية .. بحيث يمكن اعتبارهم نقاط عبور رئيسية فى مسار حكاية الملكة ورئيس الديوان ، ذلك العاشق الذى استطاع أن يأخذ مكانة الملك أحمد فؤاد داخل قلب وعقل وجسد الملكة . كما أنه وبجانب ذلك لايزال لدينا أربع شخصيات سوف تظهر تباعاً على مسرح أحداث هذا الفصل ولأول مرة ، وتشارك بقوة فى صنع بقية الوقائع الملكية وبدون رتوش .

وفى تصورنا أنه لولا ظهور تلك الشخصيات لجاءت الأحداث بلا تسلسل منطقى خاصة فيما يتعلق بحكاية حسنين والملكة نازلى . ونظراً لأهمية تواريخ هذه السنوات فى استكمال بقية حكاية الملكة ورئيس الديوان ، فسوف نبدأ بها حديثنا التالى .. ثم نتبعها بحديث هذه الشخصيات .

وتاريخ تلك السنوات التى نقصدها هنا .. كانت بالترتيب ..

أعوام ١٩٤٠ و ١٩٤٣ و ١٩٤٦ . . فبالنسبة لعام ١٩٤٠ فقد كان يمثل بحق بداية مرحلة جديدة فى علاقة كل من أحمد حسنين والملكة نازلى . . والسبب فى ذلك أنه كان العام الذى عرف فيه حسنين باشا المغنية اللبنانية « أسمهان » . بعدما حقق من الآمال والانتصارات فى حياته السياسية من جراء علاقتة بالملكة نازلى الشى الكثير . . وكان فى مقدمة ذلك توليه أرفع المناصب السياسية داخل القصر الملكى . . كرئيس للديوان . . هذا المنصب الذى ظل شاغراً وفقا لرواية المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى أكثر من عام . . بسبب تولى رئيسه السابق «على ماهر » رئاسة الوزارة .

ولقد حاول أحمد حسنين استغلال علاقته الجديدة بالمطربة أسمهان فى تحقيق المزيد من المكاسب العاطفية والغرامية . . والتقدم خطوات جديدة وواسعة ناحية مجال اهتمام الملكة نازلى . . وبالفعل كان له ماأراد . . وكما خطط فى ذهنه . . إذ لعبت علاقته الجديدة بأسمهان دورها الرئيسى فى الضغط على الملك فاروق لكى يصدر أوامره الملكية لأحمد حسنين حتى يتزوج من أمه . رغم أن هذا الزواج كان وعلى حد تعبير مجموعة كبيرة من المؤرخين مجرد زواج عرفى وفقط .

أما التاريخ الثانى . . فكان عام ١٩٤٣ . . الذى شهد نهاية مأساوية لعلاقة أحمد حسنين بالمطربة أسمهان ، عندما وضع القدر نهاية غير متوقعة لحياتها . . فماتت غريقة فى النيل فى يوليو من نفس العام .

والغريب أنه بقدر ماحمل هذا التاريخ حزنا وبؤسا لرئيس الديوان

الملكى . . فقد كان من جانب آخر وفى المقابل بداية أمل جديد للملكة نازلى . إذ تصورت أنها سوف تستعيد عرش علاقاتها المتميزة مرة أخرى مع أحمد حسنين . .

والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا المقام . . وهل تمكنت الملكة نازلى من ذلك بالفعل ؟ وهل عاد حسنين باشا إلى أحضانها ؟ . وعلى الرغم من أهمية وضع إجابة لذلك السؤال ، إلا أننا سوف نرجىء تلك الإجابة حتى نفسر بقية الأحداث . . على اعتبار أنها تمثل فى الأصل الجزء المتبقى من الحكاية .

وأخيرا يأتى تاريخ السنة الثالثة وهو عام ١٩٤٦ والذى شهد كذلك قمة المأساة فى حياة الملكة نازلى نفسها . . عندما رحل زوجها وعاشقها الأول والأخير أحمد حسنين فوق كوبرى قصر النيل بالقاهرة . . ولهذا الحادث المروع أيضا قصة غريبة ومثيرة . . سوف نتوقف عندها كثيراً نظرا لما تتركه فى النفس من آثار إنسانية تطلق العنان لإثارة عشرات الأسئلة التى تكون فى حاجة « ماسة » إلى إجابات مقنعة ! وقبل أن نقذف بأنفسنا وبأقلامنا فى دروب المناقشة والإفصاح عن أسرار تواريخ هذه السنوات وعلاقتها ببطلة هذه الحكاية . . نستعرض معا الشخصيات الأربع التى ظهرت فى حياة الملكة وارتبطت بمعظم أحداثها . .

الشخصية الأولى : كانت المطربة أسمهان التى هزت عرش الغناء والطرب المصرى منذ ظهورها لأول مرة عام ١٩٣٠ فى صالة « مارى منصور » بشارع عماد الدين كمنافس قوى وعنيد لمطربات ذلك العصر . . كأم كلثوم ومنيرة المهدية وآخرين وأخريات . .

ولقد سبق وأوضحنا أن دورها فى علاقة حسنين ونازلى قد بدأ يظهر بقوة منذ عام ١٩٤٠ . . وكان لهذا الظهور تأثيره القوى على تغيير مسار حياة الملكة وتحويل ذلك المسار بقوة نحو تحقيق حلم نازلى فى الزواج من رئيس الديوان ، وأيضا حلم حسنين باشا فى نفس الوقت .

أما الشخصية الثانية التى يأتى ذكرها فى هذا السياق . . هى الكاتب «دون جوان » الصحافة المصرية لأكثر من خمسين عاماً . . محمد التابعى . . الذى كان يعدُّ المنافس القوى بل والوحيد لأحمد حسنين على قلب وعقل أسمهان .

ويبدو أن تلك المنافسة كانت الطريق الطبيعى نحو عقد صداقة متينة بين كل من حسنين و« الدون جوان » . . ودليلنا إلى ذلك وكما سوف نروى فيما بعد بالتفصيل . . أن حسنين قد اصطفى صديقه التابعى وخصه بأدق أسراره السياسية والعاطفية . ولعل ذلك يؤكد أن تلك المنافسة العاطفية كان مصدرها الطبيعى هو قلب أسمهان عندما نجحت فى الإيقاع بالرجلين فى آن واحد . . وكأنما كانت قد قرأت فى هذه الآونة أفكار نازلى ، صاحبة هذا الأسلواب العجيب . ! .

ومحمد التابعى لم يكن مجرد صحفى فقط . . بل كان كذلك من المقربين إلى كواليس السياسية المصرية . . وكذلك كان من أشهر عشاق بلاط صاحبة الجلالة . . ويمكن لمن يريد معرفة المزيد عن ذلك الرجل الأسطورة أن يرجع إلى كتابنا « غراميات عاشق بلاط صاحبة الجلالة » والذى قدمنا من خلاله شخصية محمد التابعى الغرامية والسياسية .

وتأتى الفنانة والفتاة الارستقراطية حفيدة الشاعر والسياسى محمود سامى البارودى والمعروفة باسم « أمينة البارودى » فى المرتبة الثالثة فى الترتيب العام لتلك الشخصيات . . مع أنه كان يسبقها من وجهة نظر البعض . . الفنان الراحل « أحمد سالم » . . باعتباره الزوج الشرعى الثانى لأسمهان بعد زوجها الأول الأمير حسن الأطرش .

والسبب الذى دعانا لإحداث ذلك التقديم هو ارتباط شخصية «أمينة البارودى» بحكاية الملكة نازلى ، أكثر من ارتباط أحمد سالم بتلك الحكاية . . على الرغم من أنه أى أحمد سالم يحتل المرتبة الأولى فى زمرة الرجال الذين عرفتهم أسمهان خاصة فى محيط علاقتها بأحمد حسنين ! .

وأمينة البارودى وكما سوف يمر علينا . . كانت هى المرأة التى انفردت بعلاقة خاصة ودائمة مع أسمهان ، مما جعلها على علم بكل أسرارها وحكاياتها سواء مع أحمد حسنين أو مع غيره . ويبدو أن علاقة أمينة البارودى بالمخابرات البريطانية قد ساعدها على ذلك كثيراً . بل لقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن أسمهان قد وجدت طريقها للعمل مع المخابرات بواسطة أمينة البارودى نفسها والتى كانت تعرف باسم « الأرنبة السوداء » .

أضف إلى ذلك أن الموقع الأرستقراطى المتميز والمتقدم لأمينة البارودى داخل المجتمع المصرى آنذاك جعلها أيضا تتابع عن قرب المغامرات العاطفية التى ارتبطت بحياة كل من نازلى وأحمد حسنين . وأحمد حسنين وأسمهان . وقد يكون هذا الإلمام الواسع بكل حكايات المجتمع

المصرى من جانب أمينة البارودى هو الدافع الحقيقى للجوء نازلى إليها للتوسط لدى أسمهان لإنهاء علاقتها بأحمد حسنين .

وعلى أية حال فإن لأمينة البارودى قصة تستحق الوقوف عند بعض تفاصيلها وذلك بقدر ماتسمح به مساحة الدور الذى لعبته فى هذه الحكاية .

أما بالنسبة للمخرج الراحل أحمد سالم الذى وقع فى غرام أسمهان والذى تزوجها بالمصادفة فيقول عنه التاريخ السياسى والفنى وعن ظروف تعرفه بالمطربة أسمهان . أنه وأثناء زيارته للقدس ونزوله فى فندق « الملك داود » فى رحلة فنية بصحبة الفنانة تحية كاريوكا . . تعرف على المطربة أسمهان وارتبط بصوتها طوال فترة وجوده هناك . . وبعد عدة لقاءات بينهما عرضت عليه أسمهان ،أن يتزوجها حتى يمكنها العودة معه إلى القاهرة . فوافق بدون إعتراض رغم ماأصاب الفنانة تحية كاريوكا وقتها من ضيق حين عرفت بالخبر .

وبعد عودة أسمهان إلى القاهرة ظلت زوجة للفنان أحمد سالم . . رغم أنها لم تنقطع فى علاقتها بأحمد حسنين . . الأمر الذى جعل المشاكل تتفاقم كما أدى فى الوقت نفسه إلى مأساة . . وذلك عندما أطلق أحمد سالم الزوج الغيور النار على أسمهان فكادت أن تموت . . وكان فى مقدمة أسباب تلك المأساة هو أحمد حسنين باشا نفسه ! .

وما نود الإشارة إليه قبل سرد المزيد من التفاصيل عن أسرار تواريخ هذه السنوات أو عن تلك الشخصيات . . أن المصاحب لنا حتى نهاية

رحلتنا عبر هذه الأوراق ، أو على الأقل حتى نهاية ذلك الفصل سوف يلاحظ نوعاً غريبا من النماذج بين تواريخ هذه السنوات وبين تلك الشخصيات ! ، بحيث يكتشف فى النهاية أنها تشكل « بانوراما » مرئية ومسموعة من الممكن إعادة عرضها ودراستها مرة أخرى .

●●●

ولما كانت الأرقام وما يدور فى فلكها من وقائع تاريخية . . هى السجل الذى ندون فيه حركة الشخصية داخل إطار الحدث ، فلقد رأينا أن نبدأ أولاً حديث الفقرة القادمة بمدلول تلك التواريخ وأرقام سنواتها . . وذلك بدءاً من عام ١٩٤٠ الذى نعتبره عام التحول الكبير فى مسار حكاية الملكة وعشاقها ! . وكذلك أعوام ١٩٤٣ و ١٩٤٦ .

وكان علينا لتحقيق التمازج المطلوب فى أحداث حياة نازلى وفقا لهذه التواريخ ، أن نعيد أولاً إلقاء الضوء على بعض ملامح فترة ماقبل عام ١٩٤٠ . . وذلك لمعرفة ذلك التغيير الكبير الذى لحق بحياة الملكة بعد هذه الفترة . فقد حفلت علاقة نازلى بأحمد حسنين خاصة فى فترة السنوات الثلاث التى أعقبت وفاة الملك فؤاد بالعديد من الوقائع . . وكان خير شاهد عليها ماسطره أحد المعاصرين حين قال : « لقد عرف الناس أن هناك شيئا ما أو علاقة ما بين ملكة مصر نازلى وبين أحمد حسنين باشا ، وأصبحت هذه العلاقة موضوع حديث فى النوادى والمجتمعات والسهرات . . أما الخاصة ـ دوائر القصر وأوساط الأسرة المالكة ـ فكانت تعرف أن نازلى هى التى تحب حسنين . . وتعرض نفسها عليه ، وتطلبه زوجا لها وتقدم له مئات الأفدنة من أراضيها هدية

خالصة ، وأنه يرفض ويعرض عنها ويتأبى عليها ، ويستغفر الله ويعلن أنه رجل يكره الحرام ويخاف الله ، ولا يمكنه أن يقرب امرأة إلا على شرع الله ورسوله وأن الملكة نازلى ثارت وهددت . . ثم حاولت أن تثير الغيرة فى صدر حسنين ، ولكنه لم يأبه ولم يتحرك وأن الملك فاروق كان يفزع إلى حسنين ويطلب منه النجدة فى كل مرة يخشى فيها أن تخرج أمه الملكة على العرف المألوف ومقامها السامى كأرملة ملك وأم ملك . . وأن حسنين كان يلبى نداء الملك ويسرع إلى نازلى ويفلح فى تهدئتها وكبح جماح أعصابها الثائرة .

ويضيف ذلك الشاهد بالإضافة إلى قوله السابق : أن نازلى صارحت صاحب السمو الأمير محمد على ولى العهد بأنها عرضت نفسها عشيقة على حسنين وأنه رفض . . وأن الأمير محمد على آمن بنبل وشرف حسنين وان وجوده فى خدمة الملك وفى السراى نعمة من الله . كما أن فاروق نفسه حاول أن يجد شيئا ضد حسنين ، كأن يضبطه مثلا فى موقف مريب مع أمه نازلى فلم يوفق ، بل على العكس . . فقد وجدهما فى خلوة وراء باب مغلق فى دار حسنين ، ويتلوان القرآن .

لقد كان حسنين باشا قبيل عام ١٩٤٠ أهل ثقة لدى الأسرة المالكة لأنه ولولاه ولولا نفوذه على الملكة لكانت قد خرجت على العرف والتقاليد وأثارت فضائح لاحد لها .

وكان هذا رأى الجميع ماعدا قلة لا تذكر . . ومن بينها مراد محسن باشا ناظر التى الخاصة الملكية الذى كان ينافسه على نفوذه فى القصر ويغار منه » [(١)].

---

(١) من أسرار الساسة « والسياسة » ـ مصدر سابق .

ونصل إلى أوائل عام ١٩٤٠ . . حين تعرف أحمد حسنين على المطربة أسمهان وأعجب بها أو بصوتها فقط . . كما كان يروى لمن كانوا حوله . وكانت أسمهان فى ذلك الوقت نجمة متألقة يسارع كل صحفى أو سياسى من أجل الفوز بصداقتها أو بحبها . . وعلاقتها مع « دون جوان» الصحافة محمد التابعى قد طوقت كل الآفاق .

والغريب أن عام ١٩٤٠ كان فى نفس الوقت عام الحسم فى علاقة أسمهان بالتابعى . . حيث كان قاب قوسين من تحقيق حلم حياته بالزواج منها . ولكن يبدو أن ظهور المنافس القوى الجديد على عرش قلب هذه المطربة اللبنانية المتألقة قد أفسد تلك الخطوة . . وربما شارك أيضا فى إلغائها نهائيا ! . ولم يكن ذلك المنافس بالرجل العادى الذى يمكن أن يستهان به فى مثل تلك المضاربات العاطفية . . بل كان هو أحمد حسنين باشا قاهر قلوب الملكات ! .

لقد تمكن عاشق الملكة بحرفية ومقدرة يحُسد عليها من الانفراد بقلب أسمهان مثلما انفرد من قبل بقلب الملكة نازلى . . وقد تفوق بذلك على كل من محمد عبد الوهاب ومحمد التابعى . . بل وتفوق كذلك حتى على زوجها الأمير حسن الأطرش .

ويسجل لنا أحد شهود عيان هذه العلاقة . . موقع أحمد حسنين من قلب أسمهان . . ولسوف نتعجب حين نعرف أن ذلك الشاهد كان محمد التابعى نفسه ! .

« لقد كانت أسمهان يوم عرفها حسنين تقيم بفندق ميناهاوس . .

وكان حسنين يزورها فى هذا الفندق . . وكان إذا لم يجدها يترك لها رسالة بخطه . . وعرف نزلاء الفندق والموظفون ان كبير رجال حاشية الملك فاروق يتردد على المطربة الشابة . . وكان طبيعياً أن يخرج هذا الخبر من الفندق ، وينتشر هنا وهناك إلى أن وصل إلى القصر والذين فيه .

ودهش الذين من حوله والذين يعرفونه ويعرفون مبلغ حذره وحرصه وتكتمه لقلة احتياطه ولعدم مبالاته أن يعرف الناس أن له علاقة بالمطربة أسمهان بل أكثر من ذلك عرف الملك فاروق نفسه بهذه الحكاية . . لذلك أدرك حسنين أن علاقته بأسمهان أو إعجابه بصوتها كما كان يردد لابد وأن تكون قد وصلت إلى مسامع الملكة نازلى » .

ويعلق الاستاذ التابعى على ذلك بقوله : « فهل جزع أحمد حسنين أو اهتم ؟ كلا . . بل استمر فى إعجابه وفى تردده على أسمهان . . وليس لهذا التصرف من جانبه سوى تفسير واحد . . هو أنه كان يتعمد إثارة الملكة . . جرياً على سياسته معها وهى إثارتها وإثارة غيرتها ووجدها ، والابتعاد عنها من وقت لآخر . .

لقد كان رحمه الله يعرف طبيعة الملكة نازلى حق المعرفة . . فإن نار الشوق التى فى صدرها لاتلبث أن تبدأ ثم تبرد وتخمد ثم تموت . »

ومما أكد عليه الاستاذ التابعى رغم علاقته القوية بالمطربة أسمهان . . أن الرجل الوحيد الذى أحست أسمهان نحوه بالحب أوبما يشبه ذلك كان فقط هو أحمد حسنين باشا . . الذى كان على حد تعبيره « ولا كل الرجال » . . جديراً بأن تهواه النساء وكانت أغنيتها المشهورة « أعمل

إيه علشان أنساك » فيما أعتقد له ومن أجله ، ولكنها كانت دائما تنكر أنها تحس نحوه بغير الود والإعجاب وتزعم أننى واسع الخيال مسرف فى الشك والظنون » .

ولقد اعترف الاستاذ التابعى بهزيمته المريرة أمام منافسه الشرس . . صديقه أحمد حسنين . . فقال : « ماكنت مغروراً حتى أطوى قلبى على وهم لاظل له من الحقيقة . . لقد كانت تضمر لى وداً . . نعم ، وكانت هناك صداقة وثقة وتقدير ، ولكن هذا كل ما كان هنالك . . » .

ويبدو أن شبح أسمهان قد ظل يطارد محمد التابعى رغم رحيلها . . حيث كانت السبب الحقيقى فى زواجه للمرة الثانية من السيدة هدى التابعى أم أولاده . . [٢] ولهذا الزواج قصة رويناها فى كتابنا عن أشهر غراميات أمير الصحافة المصرية .

وقبل أن نغادر هذا الحيز المرتبط بحديث أسمهان . . إلى حديث آخر عن شخصية جديدة ننقل تلك الصورة الحيوية التى رواها الأستاذ التابعى والتى توضح لنا قمة المنافسة العاطفية بين الملكة نازلى وبين أسمهان ! . وتقول ملامح هذه الصورة :

« . . وذات يوم جاءتنى أسمهان تشكو وتقول : إيه حكاية صاحبك ده ؟ ! . ـ صاحبى مين ؟ !

● قالت : صاحبك إللى اسمه حسنين .

ـ وعمل إيه صاحبى اللى اسمه حسنين ؟! .

---

(٢) من اعترفات زوجة الأستاذ التابعى الشخصية . . فى إحدى مقابلاتها مع كاتب هذه السطور . .

● قالت : كلمنى اليوم بالتليفون ومن غير « بونجور » أو سعيدة أو سلامات قال : « قولى لى يامدام أطرش هل صحيح أننى أزورك فى بيتك؟ » وقبل أن أستطيع الرد أو سؤاله عن إيه الحكاية . . عاد يسألنى :

ـ وهل صحيح إنك بتزروينى فى بيتى ؟ .

وقبل أن أرد مضى يجيب هو نفسه ويقول :

ـ مش كده . . لا أنا أزورك . . ولا انت تزورينى . . الحمد لله . . متشكر يامدام أطرش . . وأنهى المحادثة وأقفل التليفون .

وضحكت طويلاً وقلت لها :

● ولم تفهمى إيه الحكاية ؟ ! .

قالت : لا . . لم أفهم . قلت :

ـ حسنين كان بيكلمك وإلى جانبه شخص آخر لابد أنه كان يبحقق معه فى علاقتك به . . ولقد أراد حسنين أن يبرىء نفسه من هذه التهمة فطلبك فى التليفون ووجه إليك الأسئلة وتولى هو الإجابة عليها ولكن بطريقة يفهم منها الشخص المذكور أنها إجابتك أنت .

وصاحت أسمهان غاضبة : تهمة . . معرفتى تهمة . ويضيف التابعى : وانطلقت رحمها الله تسب وتشتم . . ثم كأنها تذكرت شيئاً كانت نسيته فسألتنى :

ـ ومن يكون هذا الشخص الذى يحقق مع حسنين ؟!

● قلت : الملكة نازلى .

وزال فى الحال غضب أسمهان ، وابتسمت غبطة وسروراً . . فقد أرضى كبرياءها أن تكون غريمتها التى تغار منها صاحبة الجلالة الملكة . .

واضطر حسنين بعدئذ أن يقتصد فى إعجابه بأسمهان وأن يكف عن زيارتها فى دارها واستقبالها فى داره . وقابلت أسمهان هذا الفتور بعدم المبالاة أو على الاقل تظاهرت بعدم اللامبالاة . . ومع ذلك فقد كان يمر شهر دون أن يتحدث الاثنان معا فى التليفون . . وكان هذا الحديث بالتليفون يطول ساعات . وهكذا دخلت أسمهان ثم خرجت من حياته ولو إلى حين ! .

●●●

وتصورت الملكة نازلى أنها قد استحوذت من جديد على عاشقها الأول . . وأنه عاد إلى أحضانها مستسلماً ولكن رجال القصر والحاشية بدأوا فى الوقت نفسه يتندرون « بغزوات » حسنين الغرامية الجديدة مع بعض الراقصات والمطربات . . ولم يكن ذلك بالشىء الجديد على شخصية حسنين باشا . . فقد كان على حد قول أحد المعاصرين له وطوال حياته موضع إعجاب النساء . ومن كل الطبقات .

ولقد وجد الملك فاروق فى تلك القصص التى بدأ رجال القصر يتناقلونها عن أحمد حسنين مادة هامة يتشفى بها من أمه . . ولم يدر أنه كان يخدم بذلك مصالح حسنين الشخصية . . وكانت النتيجة التى لم

يتوقعها الملك نفسه أن اقتنعت الملكة بأن اعتقادها بابتعاد حسنين عن المطربة أسمهان ما هو الا مجرد وهم كبير .

ولم يكن أمامها من طريق تسلكه إزاء ذلك سوى أن تعاود الضغط على الملك فاروق حتى يصدر الفرمان الخاص بتزويجها من أحمد حسنين. ولم يكن ذلك بالأمر الهين على فاروق . . لذلك قررت الملكة نازلى العودة من جديد إلى اللهو وسهر الليالى فى النوادى الليلية . . بل ومصاحبة شباب الإنجليز .فسافرت إلى القدس . . وأمضت هناك أسابيع طويلة ، خاصة فى فندق « الملك داود » . وعاشت بأروقته أعنف مغامراتها التى بدأت تتناقلها الألسن . . وتصل تباعاً إلى القصر .

ولما طالت غيبتها فى مدينة القدس . . وعلى إثر وصول أخبار عبثها ومجونها إلى قصر عابدين لجأ الملك فاروق كعادته إلى أحمد حسنين يطلب منه ضرورة إنقاذ سمعة العرش المصرى وسمعة الملكة . ولذلك كان عليه أن يسافر فوراً إلى القدس لتنفيذ تلك المهمة . . وتعود معه الملكة نازلى . والغريب أن أحمد حسنين رفض طلب الملك فاروق خوفاً من مقابلته المطربة أسمهان التى كانت تعيش هناك فى تلك الفترة وبعد انفصالها عن زوجها الأمير حسن الأطرش .

ونظراً لما كان يتمتع به أحمد حسنين من خبرة سياسية وذكاء واسع . . فقد اقترح على الملك فاروق أن يسند تلك المهمة الخطيرة إلى مصطفى النحاس متعللاً فى ذلك بأن جلالة الملكة نازلى وفدية مثل والدها ولسوف تحترم رغبة النحاس باشا .

وفعلاً سافر زعيم الوفد إلى فلسطين وبرفقة زوجته لإحضار الملكة نازلى . . وقد نجح فى تلك المهمة السياسية الخطيرة . عندما استجابت نازلى لرجاء رئيس وزراء مصر . . وعادت معه ، ولكن مقابل عدة شروط . . كان أهمها أن يصدر الملك أوامره الملكية بأن تتزوج حسنين من الملكة نازلى .

ولم يجد الملك فاروق أمامه من مفر سوى الموافقة بشرط . . أن يكون زواجاً عرفيا فقط . وبالفعل وافقت الملكة . . وتزوج حسنين من نازلى . . وكان أحد شهود عقد الزواج الفنان « سليمان نجيب » مدير دار الأوبرا المصرية فى ذلك الوقت . . إذ كان حسنين باشا يثق به كل الثقة . كما كان الشاهد الثانى هو مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية .

وبعد عقد القران العرفى الذى تم فى طى الكتمان . . اختارت الملكة نازلى سراى الدقى . . [٣] التى ورثتها عن والدها لتكون دار الزوجية ، تقابل فيها زوجها الثانى أحمد حسنين باشا . . ذلك وكما يرى البعض أن الملكة الأم خجلت بل واستحت من ابنها فى أن تقابل زوجها الثانى فى جناحها الملكى بقصر القبة أو بقصر عابدين مخدع زوجها الأول الملك أحمد فؤاد .

●●●

وقبل أن نصل إلى خط النهاية فى قصة المغنية اللبنانية التى ظهرت فى حياة الملكة نازلى كمنافس قوى على قلب العاشق الزوج أحمد حسنين

---

(٣) سراى الدقى ـ الآن مقر الأكاديمية العسكرية المصرية .

. . نود أن ننقل هنا قصة نادرة ارتبطت إلى حد بعيد بقصة زواج حسنين عرفيا من الملكة نازلى . . والغريب أن تفاصيل تلك القصة لم يتم الإفصاح عنها إلا بعد رحيل الملك فاروق وأسرته ، لأول وآخر مرة عن مصر عام ١٩٥٢ ، عندما نشر فاروق مذكراته . لقد قال فاروق : إن والدته كانت على علاقة بموظف كبير فى القصر الملكى . . وأنه دخل عليهما وأشهر مسدساً وهددهما بالقتل إذا لم يقطعا هذه العلاقة ، وأنه بعد عشر سنوات تجددت هذه العلاقة ، وفكر فى أن يقتلهما . . ولكن ماحدث بعد ذلك أن مات هذا الموظف الكبير [٤] .

وتعليقاً على ماكتبه الملك فاروق فى مذكراته بخصوص هذه الواقعة ومن أجل تقصى حقيقتها قامت جريدة الأخبار باستطلاع واسع المدى شمل العديد من رجال الحاشية . . [٥]

فقال كريم ثابت المستشار الصحفى للديوان الملكى فى هذا التحقيق : « لم يذكر لى فاروق مطلقاً أنه هدد والدته أو الموظف الكبير بالقتل . . ولكن الذى حدث أنه لما توفى الموظف الكبير ذهب فاروق فوراً إلى دار هذا الموظف بعدما بلغه النبأ . . ودخل فاروق غرفة الموظف الخاصة بداره وفتح جميع أدراجها ، وأخذ كل الأوراق التى بالدار ، وانصرف . . وكنت فى ذلك الوقت فى بيت ذلك الموظف الكبير .

« وقال لى الملك فاروق فى ذلك اليوم : إنه عثر فى أدراج مكتبه على وثيقة عقد زواج الملكة نازلى بالموظف الكبير . وهذا يفسر ما قالته الملكة

---

(٤) الموظف الكبير . . هو أحمد حسنين باشا .

(٥) نشر هذا الاستطلاع بتاريخ ١ / ١٢ / ١٩٥٢ (صفحة أولى وبقية)

نازلى فى تعليقها على المذكرات التى نشرها ابنها فاروق عندما قالت : «إننى أقسم بالله وبينى وبين القبر خطوات ، أنه لم يكن بينى وبين هذا الموظف الكبير الذى أشار إليه فاروق مايغضب الله أو ما يخالف الشريعة »

من هنا يتبين أن فاروق كان على علم مسبق بأن والدته كانت متزوجة من ذلك الموظف بوثيقة زواج ، وأننى فى دهشة كيف يهاجم فاروق أمه الآن . . وأعتقد أن الصحفى الانجليزى الذى يكتب له المذكرات أراد أن يكشفه أمام الرأى العام مستغلا استعداد الملك الدائم لأن يلوث كل من حوله . »

أما « أنطونيو بوللى » فيقول تعليقا على هذا الموضوع :

« إن فاروق لم يذكر لى شيئاً عن هذه الواقعة إطلاقاً ، ولم أسمع أنه هدد أمه بقتلها أو بقطع علاقته بالموظف الكبير المذكور . . والذى أعلمه أن فاروق كان يأخذنى معه دائما إلى بيت هذا الموظف ، وكان يتردد على داره دائما . . وكان غالباً لا يدخل من الباب وإنما كان يدخل من البكلونة أو من باب المطبخ .

وكان لايخطر أمه بأنه سوف يزورها . . كما كان يجده أحيانا فى الحمام فيدخل إلى الحمام ، أو يجده فى غرفة نومه فيقتحم عليه الغرفة . . ولم أسمع أو أشعر بأى خناقة من هذا القبيل مع أن صلتى بفاروق بدأت منذ عودته من انجلترا عام ١٩٣٧ ، واستمرت إلى آخر يوم تولى فيه العرش .

وفى يوم وفاة الموظف الكبير كان فاروق متأثراً جداً ، ولكنه ما كاد يسمع بوفاته حتى صحبنى معه إلى فراش الموت الذى كان راقداً عليه ذلك الموظف وراح يبحث وينقب حتى أخذ أوراقا كان يهمه ألا تقع فى يد إنسان . . ولم يخبرنى عن هذه الأوراق بشىء . »

●●●

وفى ابريل عام ١٩٤٣ عادت أسمهان مرة أخرى إلى القاهرة . . بعدما تركتها للعيش فى القدس بعد طلاقها من زوجها الأمير حسن الأطرش على إثر ثورتها على القيود التى فرضها ذلك الزوج على زوجته المطربة . . وكان عليها إزاء خروجها من القاهرة أن تسعى للعودة من جديد إليها بعد أن نالت حريتها . . وذلك لمعاودة الاتصال بأحمد حسنين باشا .

ولقد شهدت الفترة من ابريل عام ١٩٤٣ وحتى يونيه من نفس العام المزيد من الصراعات الدامية بين الملكة نازلى وأسمهان وبعد عودتها من جديد إلى القاهرة . إذ تصورت الملكة أن وضع العراقيل فى طريق عودة أسمهان إلى القاهرة بعد ما تم ترحيلها وسحب جواز سفرها الدبلوماسى ، قد يحول دون اتصالها مرة أخرى بأحمد حسنين . فى الوقت الذى كانت تجتهد فيه من جانب آخر لتعويض ذلك العاشق الملكى بإقناع ابنها فاروق لاختياره لتولى منصب رئيس الوزراء خلفا للنحاس باشا .

ويبدو أن أسمهان كانت على علم مسبق بمخططات الملكة . .

وبرغتها فى إبعادها عن أرض مصر . . فسارعت هى الأخرى لإفساد ذلك المخطط . . وعرضت الزواج على أحمد سالم الذى قبل فوراً . وقد ضمنت بذلك العودة من جديد إلى مصر . كما نجحت فى تأكيد عودتها بشكل رسمى عندما حصلت على عقد احتكار للعمل السينمائى فى ستديو مصر . ولم يكن أمام الملكة نازلى من سبيل للتخلص من أسمهان وأمام كل هذه التطورات سوى الانتقام منها حتى ولو بقتلها .

ويميل العديد من المؤرخين إلى تصديق ذلك مستندين إلى ما أذاعته أمينة البارودى نفسها حين أزاحت الستار عن تهديدات الملكة لأسمهان ولها بسبب استقبالها اليومى لكل منهما فى منزلها .

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا تقول كلماته : ولماذا اختارت الملكة نازلى أمينة البارودى بالذات دون غيرها ؟ .

وربما كان استعراض مالدينا من معلومات خاصة عن أمينة البارودى ، وعن موقعها المتميز داخل الحياه الإرستقراطية المصرية فى ذلك الوقت يكون الطريق الصحيح لوضع إجابة محايدة ، دون تدخل من جانبنا أو جانب المؤرخين .

وأشهر ما تردد عن « أمينة البارودى » أنها حفيدة لبطلين تاريخيين ساهما فى الثورة العرابية . . أحدهما هو محمود سامى البارودى الشاعر والسياسى الشهير . . والثانى هو الأمير الاى طلبة عصمت أحد رجال العسكرية المصرية فى ثورة عرابى .

وكانت تدعى ـ وهذا هو اسمها الحقيقى المدون فى شهادة ميلادها ـ «

علية فؤاد طلبة » ووالدها كان يعمل فى بداية حياته مستشاراً سياسياً للسفارة المصرية فى واشنطن . . وكان قد انفصل عن أمها وهى طفلة . . لذلك تربت فى بيت جدها « البارودى باشا » . . ولذلك حملت اسمه ، وأصبحت معروفة فى الأوساط الاجتماعية المصرية باسم « أمينة البارودى » .

ويضيف سجل معلوماتها الخاصة أنها من مواليد عام ١٩١٥ . . وأنها اشتغلت بالفن فترة من الزمن عندما اختارها الفنان سليمان نجيب للعمل معه فى أحد أفلامه كما عرفت كذلك فى الأوساط الارستقراطية وفى السهرات الليلية كسيدة مجتمع أكثر منها كفنانة . . وربما يكون السبب فى ذلك كما كان يرى البعض هو شهرتها بعدد أزواجها الذين بلغوا خمسة من رجال المجتمع والسياسية .

ولعلنا نتساءل عن تفاصيل تلك التهديدات التى كان مصدرها الملكة نازلى . . خاصة بعدما عرفت جانباً من علاقاتها بأسمهان . . ولسوف نترك أمينة البارودى تحكى لنا على لسانها عن تلك التهديدات من واقع ماسجلته فى أوراقها الخاصة . .

« كنت أستقبل كل ليلة صديقتى المطربة الراحلة أسمهان ، ومعها صديقها أحمد حسنين باشا رئيس الديوان بالقصر الملكى المصرى . . وعرفت الملكة نازلى بأمر هذه السهرات . . فأرسلت لى خطاب تهديد مع ضابط من حرسها الخاص تهددنى بالقتل إن لم أتوقف عن علاقتى بأسمهان وصديقها حسنين باشا . .

وذات مساء اقتحمت الملكة نازلى منزلى ومعها بعض صديقاتها وحرسها الخاص . . وقد استقبلتها بترحاب شديد . . ووددت توضيح الأمر للملكة الأم وبعدما استمعت لأقوالى . . أنهت استقبالها بتكرار تحذيرها لى . . ولأسمهان فى وقت واحد ! . ورغم هذا التحذير ظللت على علاقتى بأسمهان وصديقها حتى ماتت فى الحادث المشهور . »

ويبدو أن خصوصية الوضع الاجتماعى لأمينة البارودى قد مكنها بالفعل من الوقوف فى وجه الملكة التى كانت تسعى للتخلص من صديقتها المغنية بأية وسيلة . . حفاظاً على زوجها وعشيقها . . لذلك فقد اضطرت الملكة لأن تسلك طريقا جديداً على سبيل الانتقام من أسمهان . . ولكنه بحق كان محفوفا بالمخاطر . . هذا الطريق كان يعنى تصفية أسمهان جسدياً على يد زوجها أحمد سالم .

ورغم الاعتداء الفعلى الذى وقع على أسمهان . . بعدما أطلق زوجها عليها الرصاص من مسدسه الخاص . . لم تمت وأنقذها القدر من رصاصات ذلك الزوج الغيور . إلا أنها وبعد عدة أسابيع قد ماتت غريقة فى النيل وهى فى طريقها إلى مدينة رأس البر .

ولقد حاول بعض مؤرخى تلك الفترة إلصاق تهمة إسقاط سيارة أسمهان فى النيل بالفنانة الراحلة أم كلثوم ، وذلك لإبعاد الشبهة عن الملكة نازلى . وكان أغرب ماروجوا له أن أم كلثوم اتفقت مع سائق أسمهان الخاص . . وكان يدعى الأسطى « عبد الحميد » . . لتنفيذ هذه الجريمة . . وكانت مكافأته أن عينته أم كلثوم موظفاً فى إحدى الصحف .

وفى المقابل نستطيع أن نؤكد ووفقا لتصورنا الشخصى أن الملكة نازلى كان لها اليد الطولى فى تنفيذ تلك الجريمة ، والأسباب معروفة وكذلك الدوافع والإمكانيات ! .

●●●

وفى الوقت الذى كانت فيه الملكة تحتفل بنشوة انتصارها الكبير الذى ساهم فى تحقيقه غرق أسمهان . . كان أحمد حسنين باشا على النقيض . . فقد أصابته لعنة رحيل المطربة اللبنانية . . سواء فى السياسة أو فى حياته الشخصية ذلك لأن الفترة التى بدأت من عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٤٦ والتى انتهت بمقتل أحمد حسنين نفسه كانت من أسوأ فترات الخوف والترقب على المستويين المحلى والدولى .لأنه فى الوقت الذى خسر فيه رئيس الديوان معركته السياسية مع الوفد ومع الانجليز . . كانت القوات الألمانية على أبواب مصر الشرقية . وباتت تهدد بالفعل بغزو مصر . . الأمر الذى أصاب مصر بالشلل . . وأصاب ساستها كذلك بالخوف والهلع مما جعل نسبة كبيرة منهم يعدون أنفسهم للهروب من مصر إلى داخل إفريقيا أو إلى بلاد اليونان ! . وكان على رأس هؤلاء الملك فاروق نفسه وكبار حاشيته . . وكبار رجال السياسية من الوزراء .

وكان لابد وأن يصيب أحمد حسنين ما أصاب هؤلاء من رجال الحكم والسياسة . . ولكن وحتى بعد أن توقف الخطر الألمانى . . وبعد عودة الحياة إلى مجراها الطبيعى فى مصر بدأت صحة أحمد حسنين من جانب

آخر تعتريها الوهن وتصيبها العلل على إثر رجيل أسمهان . . وعودته من جديد إلى جبروت زوجته الملكة نازلى . .

ويقول مصطفى أمين : « إنه فى أوائل شهر نوفمبر عام ١٩٤٤ ، وكنا نستعد لإصدار العدد الأول من أخبار اليوم . . وجاءت الأنباء بأن حسنين باشا أصيب بذبحة صدرية ولا أمل فى حياته ، وأنه قد يموت قبل صدور العدد الأول . .

وتشاءمت . . تشاءمت من أن يصدر العدد الأول من أخبار اليوم وفيه نعى أحمد حسنين ، ذلك الرجل الذى أحببناه ، وأحببنا فيه الوطنية والشرف وأعددنا له صورة كبيرة وجلسنا نحاول أن نكتب رثاء الرجل قبل أن يموت فلم نستطع . . ونجا أحمد حسنين .

وذهبت إليه يوما وقصصت عليه القصة ، وكان يضحك ويقهقه . . ثم سألنى كيف أردت أن أرثيه ؟ فأجبته : إننى لم أعرف كيف أكتب الرثاء ؟ ! فقال تعال نكتب رثائى معاً . »

ويبدو أن القدر كان بالفعل مختبأ وراء كلمات الرثاء التى كتبها أحمد حسنين لمصطفى أمين . . وكانت فى صورة أبيات قصيدة للشاعر الانجليزى « كبلنج » . ذلك لأنه وبعد مرور أقل من عامين تحققت نبوءة رئيس الديوان . . ومات حسنين مقتولا على كوبرى قصر النيل ويومها لم تنشر أخبار اليوم كلمات الرثاء فقط . . بل نشرت أيضا تفاصيل وقوع الحادث . . وما ارتبط به من إشاعات وأقاويل . .

ولقد رأينا قبل نشر تلك التفاصيل أن نعيش آخر ساعات فى حياة

هذا العاشق العظيم . . والتى رواها بدموعه الكاتب الصحفى محمد التابعى الذى تصادف وجوده بجوار أحمد حسنين باشا فى ذلك الوقت . .

« . . وكان قد أمضى سهرة يوم الأحد ١٧ فبراير عام ١٩٤٦ فى مسكنى مع بعض الأصدقاء ومنهم أم كلثوم . . وغنت أم كلثوم « سلوا قلبى » . . وحمل حسنين مقعداً صغيراً جلس فيه بين يدى أم كلثوم ، وكان ينصت لها بكل جوارحه . . وامتدت السهرة حتى مطلع فجر . . يوم الإثنين ، وشيعته إلى باب المصعد وكانت هذه آخر مرة أراه فيها . .

وفى يوم الثلاثاء ١٩ فبراير كان حسنين مدعوا لتناول الغداء عند أسرة صديقة فى المطرية . . ولكن تراكم الأعمال أبقاه فى مكتبة بقصر عابدين إلى الساعة الثالثة ظهراً ، ورأى رحمه الله أنه تأخر كثيراً عن الموعد فاعتذر لأصحاب الدعوة بالتليفون .

واستقل سيارته عائداً إلى داره بالدقى . . وكانت السماء تمطر . . وبينما كانت سيارته تجتاز كوبرى قصر النيل فى طريقها إلى الدقى أقبلت سيارة لورى بريطانية من الجهة المضادة . . ولفت السيارة اللورى نصف لفة على الكوبرى وصدمت سيارة حسنين من الخلف صدمة شديدة . . وسمع سائق السيارة صوت حسنين باشا خلفه يقول : ياساتر . . ياساتر يارب » . .

والتفت السائق خلفه فرأى الدم يسيل من فم حسنين باشا . . وأوقف السائق السيارة ، ونزل منها يصيح ويطلب المساعدة . . ومرت

مصادفة فى نفس اللحظة سيارة وزير الزراعة أحمد عبد الغفار باشا صديق حسنين وزميله أيام الدراسة فى « أوكسفورد » الذى أسرع وحمل صديقه إلى مستشفى الأنجلو أمريكان القريب من مكان الحادث . . ولكن حسنين كان قد أسلم الروح . . فنقلوه إلى داره ! . »

وقد نشرت «أخبار اليوم » تفاصيل ذلك الحادث فى العدد الأسبوعى الذى صدر بتاريخ ٢٢ / ٢ / ١٩٤٦ . . وفى الصحفة الأولى تحت عنوان : من « المسئول عن مصرع حسنين باشا » . .

وقالت الصحفية فى تفاصيل هذا الخبر :

على إثر وقوع الاصطدام الفاجع انتقل وكيل النيابة المختص الأستاذ أنور حبيب إلى مكان الحادث . . وكانت معالمه لاتزال كما هى باستثناء نقل المغفور له حسنين باشا من سيارته (٦) .

وقد رأى وكيل النيابة بعد أن عاين المكان أن يوجه بعض الأسئلة الاستيضاحية ليكمل بها معاينته لسائق اللورى الذى تسبب فى فاجعة الاصطدام . . وكان السائق واقفا مع زميلين له ، وقد بدت عليه آثار إصابات خفيفة . . وقبل أن يجيب السائق على أسئلة النيابة تقدم إليه ضابط انجليزى برتبة كابتن وأمره بألايجيب ، فلما أفهمه وكيل النيابة أنه يريد توضيحاً لمحضر المعاينة ولن يستغرق إلا دقائق أجاب الضابط فى خشونة : سآخذ هذا الجندى معى الآن للعناية به ، ولن أسمح بتوجيه أى سؤال إليه لأن صحته أهم لدينا من كل شىء تريدونه منه وزاد

(٦) نشرت الصحيفة مع الموضوع صورة لسيارة الفقيد وهى محطمة من الخلف .

الضابط على هذا أقوالاً نمسك عن ترديدها الآن ثم أركب السائق المتهم سيارة وانطلق به . . وقد حاول أخذ اللورى ولكنه لم يتمكن من ذلك .

وقد أحدث تصرف الضابط دهشة واستياء عدد ممن شاهدوه وهم كثيرون واهتمت بأمره الدوائر المختصة . . ويرى المسئولون أن اختطاف السائق بهذه السرعة حال دون أن تعرف النيابة هل كان السائق «سكران» وقت وقوع الاصطدام أم لا ؟ ولا سيما أنه كان عائدا بعد وقت الغداء مباشرة من معسكر بعيد فى ضواحى الجيزة .

وقد تجمعت ثلاث شهادات دلت على أن سائق السيارة اللورى كان يسير بسرعة غير عادية . . فقد ذكر سائق سيارة المغفور له حسنين باشا أنه رأى اللورى يندفع نحوه من مدخل الكوبرى بسرعة كبيرة . وأيد هذا القول عسكرى المرور الواقف تحت تمثال سعد .

وأهم الشهود هو مراقب الإذاعة البريطانية فى الشرق الأوسط الذى كان يسير بسيارته فى مكان الحادث . وتوقع أن كارثة ستقع عندما شاهد اندفاع اللورى واختلال توازنه فأوقف سيارته .

وكان أول من خف إلى سيارة الفقيد ، وقد أدلى هذا الشاهد بشهادة مكتوبة قال فيها : إن سرعة اللورى كانت حوالى ٣٠ ميلاً فى الساعة . . وتوجد عند مدخل الكوبرى من الناحيتين لافتة كبيرة مكتوب عليها أن السرعة لا تزيد على ٢٠ ك أى ١٢ ميلا فى الساعة .

وقد انتدب الأستاذ « أحمد حمزة » المفتش بوزارة الداخلية والخبير فى

السيارات لبحث سيارة الجيش البريطانى فتبين أن فيها خللاً فى «الديركسيون » بسبب فقد إحدى « صواميله » .

وقد قيدت النيابة حادث الفقيد العظيم جنحة ضد المتهم برقم ١٩٥ جنح أجانب سنة ١٩٤٦ بدائرة قسم عابدين . . لأنه فى ١٩ فبراير عام ١٩٤٦ بدائرة قسم عابدين تسبب بغير قصد ولا تعمد ، فى قتل حضرة صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا . . ونشأ ذلك عن إهماله وعدم احتياطه ومخالفته اللوائح ، بأنه قاد سيارته اللورى بسرعة فائقة رغم تساقط المطر . . ولم يلزم الجانب الأيمن فانزلقت السيارة منه وفقد سيطرته عليها . . فارتطمت بسيارة رفعة المجنى عليه فأحدثت به الإصابات التى أودت بحياته .

وأضافت الصحيفة فى معرض قولها عن تفاصيل هذا الحادث : وقد علمنا أن تقرير الطبيب الشرعى يتضمن : « أن الفقيد أصيب بجرح فى الرأس نشأ عن كسر بقاع الجمجمة أحدث انفصالاً بالقاع مع نزيف بسيط بالمخ وكسور بالأضلاع اليسرى أحدثت كدما ونزيفاً . وقد نتجت الوفاة من إصابة شديدة فى الرأس وقاع الجمجمة وضغط الأضلاع على القلب . . » .

ولم تكتف الصحيفة بوصف الحادث . . بل كتب المحرر تعليقا قال فيه : « . . وهكذا يتجلى أن هذا الحادث الفاجع الضخم كان يثير استخفاف سيارات الجيش البريطانى بجميع القواعد والنظم المعمول بها داخل المدن . . فالسرعة الجنونية التى يسير بها السائقون وعدم اكتراثهم

بإشارات المرور أدت إلى فواجع لا تحصى الأسبوع الماضى وحسبنا أن نذكر أن أحد جنود المرور من رجال البوليس المصرى قتل تحت سيارة من هذه السيارات البريطانية فى نفس الاسبوع ، وقبل حادث حسنين باشا بيومين ، لأنه كان يؤدى عمله بقفل الطريق أمام هذه السيارة حتى تمر سيارات أخرى من الطريق المقاطع له . . فلم تعجب هذه الإشارة السائق البريطانى ومر . . ولكن على جثة عسكرى المرور » .

●●●

الفصل
الثامن

هجرة الملكة .. وظهور العاشـق الأخيـر

فى حياة الملكة نازلى عشرات المواقف والمشاهدات والصور التى تعين أى باحث على وضع تصور عام لها ولإمكاناتها العامة والخاصة .

ولقد سبق لنا الحديث عن بعض تلك المواقف ، وتلك الصور والمشاهدات ، التى سجلتها على طول عمرها الطويل والذى امتد لنحو ثلاثة وثمانين عاماً . . ورغم أننا قد توقفنا من قبل وإلى حين عند حافة الزمن المدون فى تاريخ علاقاتها الخاصة ، برحيل العاشق أحمد حسنين فى عام ١٩٤٦ . إلا أن ذلك لم يكن يعنى بالضرورة توقف دوران الأرض وتجمد الأحداث فوق سطحها ! . كما لم يكن يعنى حتى بالنسبة للملكة نازلى توقف الحياة . . إذ سرعان ما حاولت استعادة توازنها الذى فقدته فور رحيل زوجها الثانى أحمد حسنين .

ومن المؤكد ، ووفقا لقاعدة المعلومات التى تمكن الباحث من تحديد هوية وإمكانات الشخص موضوع الدراسة ـ نرى أن الملكة نازلى رغم

فجيعتها الكبرى فى زوجها الثانى . . الذى كان يمثل بالنسبة لها ولابنها المعلم والسياسى والداهية والثعلب فى آن واحد قد حاولت وبعد التقاط الأنفاس و الخروج من إطار السواد الذى أحاطت به نفسها منذ ذلك الرحيل أن تعيد حساباتها فى مسيرة حياتها لمواصلة الإقبال على متع الحياة حتى نهاية المطاف رغم أن عمرها فى تلك الفترة كان قد تجاوز الخمسين عاماً بسنوات قليلة .

ولقد آمنت نازلى من خلال تجاربها العديدة أن لكل مرحلة فى حياة الإنسان . . نوعا من المتع ، وألوانا من المطالب . . كما آمنت أن مقياس النجاح يتوقف كذلك على معرفة الإنسان بكيفية أن يجنى ثمار متعه وفقا لمتطلبات كل مرحلة من تلك المراحل . . لذلك نجدها ـ ووفقا لما عقدت عليه العزم من إعادة محسوبة لخطواتها المقبلة ـ قد استعرضت كل ما مر بها من أحداث ومواقف وصور ومشاهد. ارتبطت بعمرها فى مراحله المختلفة وإمكاناتها النفسية والاجتماعية . . والسياسية أيضا ، وذلك استعدادا لمرحلة مابعد رحيل أحمد حسنين .

وحتى نكون منصفين فيما توصلنا إليه من نتائج ـ رغم إيماننا باحتمال الخطأ قبل الصواب ـ نقول إن الملكة نازلى لم تصل إلى قرار حاسم لإعادة حسابات حياتها إلابعد عدة أشهر من رحيل أحمد حسنين . لأن هناك من الدلائل مايشير إلى تأثرها الشديد بفجيعة فراقه وربما كان أكثر من تأثرها من رحيل الملك فؤاد نفسه .

ولقد توصلنا من خلال متابعة متأنية لبقية رحلة الحياة داخل نفس الملكة نازلى . . أنه لم يكن فى ذهنها فور رحيل حسنين باشا أو من قبله

أية نية أو أية رغبة للدخول فى تجربة عاطفية جديدة . . على الأقل فى مصر . وربما كان السبب الرئيسى وراء ذلك هو دخولها إلى منطقة خريف العمر . . وأنها وطوال علاقتها بحسنين باشا ولمدة تصل إلى أكثر من تسع سنوات قد استطاعت تعويض جزء كبير مما فاتها من متع الحياة بألوانها المختلفة ! كما لايجب كذلك أن نغفل وقع مفاجأة الرحيل التى أقعدتها شهورا طويلة عاجزة عن التفكير . . وذلك على عكس ماكانت عليه أحوالها أيام زوجها الأول أحمد فؤاد . . عندما كانت على معرفة مسبقة بدنو أجله من واقع ما كانت تسمعه من أفواه الأطباء . وماكانت تتمناه فى قرارة نفسها . . .

ونظراً لحالة الذهول التى صاحبت مفاجأة رحيل حسنين باشا والتى أصابت نازلى فقد اعتمدت فى حساباتها الجديدة على تغيير موقعها ومكانها . . ليس فى سرايا الدقى التى كانت قد اختارتها كمقر جديد للإقامة مع أحمد حسنين . . بل عن مصر كلها ! .

ويبدو أن إصابتها فى السنوات الأخيرة بمرض حصوة الكلى . . وحاجتها للعلاج قد ساهم كثيراً فى وضع تلك الحسابات ، بدقة متناهية وكان أساس الاعتماد فيها على تحقيق جانب مهم من أحلامها التى كانت مرتبطة إلى حد بعيد بحب السفر وعشق تقاليد الأوروبين . ووسط جو الحزن الملكى الذى خيم على سراى الدقى وعلى حياة الملكة نازلى نفسها بعد عام ١٩٤٦ . لعلنا نتساءل عن الظروف والملابسات التى صاحبت ظهور « رياض غالى » . . الرجل الأخير فى حياة الملكة نازلى . باعتباره يمثل الختام المأساوى لقصتها التى دامت لأكثر من

ثمانين عاماً . . وقد يجرنا هذا السؤال إلى سؤال آخر يرتبط كذلك برياض غالى . . بل ومن الممكن أن تكون الاجابة عليه بداية مطلوبة للحديث عن ذلك الرجل . : وهل تدخل الملكة نازلى الحاسم لصالح رياض غالى فيما يتعلق بموضوع زواجة من ابنتها الأميرة فتحية رغم اختلاف الديانة . كان دافعه الحقيقى الارتباط به حتى النهاية عملاً بالمثل الشعبى الذى يقول : « ضل رجل ولا ضل حيط » . . أم كان دافعه غير مرئى ومرتبط بشكل مباشر برغبة نازلى فى العيش للمرة الأخيرة مع قصة حب جديدة يكون بطلها الشاب الوسيم رياض غالى ؟! .

وقبل أن نتعجل الإجابة علينا أن نحاول أولاً الربط بين الحسابات الجديدة للملكة نازلى وبين ظهور رجال جدد أيضا فى حياتها . مع التأكيد على شيء هام وهو أن نازلى كانت تريد وفقا لهذه الحسابات أن تعيش فى سلام وأمان بقية أيامها مع أحلامها المتبقية ومع أمراضها التى اشتدت عليها فور رحيل أحمد حسنين ، وهى لازالت تنعم بلقب الملكة الأم التى وفر لها الدستور احتراماً خاصاً كان يفوق احترام ووضع الملكة زوجة فاروق ! . كما يبدو من خلال استعراضنا لخفايا هذه الحسابات أنها لم تكن تنوى الارتباط برجل جديد تعيش معه قصة حب جديدة حتى ولو كان ذلك الرجل هو رياض غالى الذى كان يبلغ من العمر آنذاك ثلاثين عاماً . رغم محاولة الكثير من المؤرخين خاصة بعد ثورة يوليو التأكيد على عكس ذلك .

لذلك نستطيع القول . . بأن الصدفة وحدها . . كانت صاحبة الفضل الأول فى ظهور الرجل الخامس فى حياة الملكة نازلى . على الرغم

من أننا لاننكر وجود الاستعداد الطبيعى بداخلها لمعرفة رجال آخرين فى حياتها حتى ولو على سبيل الصداقة أو اللهو المؤقت ! والدليل لدينا على هذه الرؤية سلوكيات الملكة نازلى خلال رحلتها الأخيرة إلى البلاد الأوروبية خاصة فى فرنسا ،كذلك إلى كل مدن الولايات المتحدة الأمريكية .

أضف إلى ذلك جمالها وحيويتها المتألقة فى هذه السن المتأخرة والتى التقت على طريق واحد مع حيوية وشباب رجل فى مثل سن رياض غالى الذى وقع فى هوى الملكة متستراً خلف رغبته فى الزواج من ابنتها الصغيرة الأميرة فتحية .

●●●

ووفقا لما هو متعا رف عليه فى مجال التشويق أثناء سرد الحكايات . . كان علينا مواصلة حديث العشق فى حياة الملكة نازلى وخاصة فيما يتعلق بعلاقتها الجديدة مع رياض غالى الذى لعب دور العاشق الخامس والأخير فى حياة الملكة رغماً عنه وعنها . وقبل أن نعيش أحداث تلك البقية المرتبطة بحياة بطلة هذه الأوراق . . لاحظنا من خلال تتبع واع لمجريات هذه الأحداث لحظة بلحظة . . وجود موقفين فى منتهى التناقض مرتبطين إلى حد كبير بأحاسيس الملكة . وشعورها فور رحيل كل من الزوجين . . الأول أحمد فؤاد وهو الزوج الشرعى . . ثم الثانى أحمد حسنين الزوج العرفى ! .

والحقيقة أن هذا التناقض الغريب فى الموقفين تجاه حادث رحيل كل

من هذين الزوجين . . لم يظهر إلا عندما تم الاعلان عن تفاصيل أحاسيس الملكة ومشاعرها الحقيقية تجاه رحيل الزوج الثانى أحمد حسنين. بل وسلوكها العجيب فور الإعلان عن خبر موته مقتولا على كوبرى قصر النيل . ففى الأوراق الخاصة التى تركها وراءه الكاتب الصحفى الراحل محمد التابعى ، تصوير دقيق لتلك الأحاسيس . . وذلك السلوك الغريب . . وقد سجله لنا وللتاريخ باعتباره أحد شهود العيان . . وكذلك أحد أصدقاء الفقيد . . زوج الملكة . ويقول التابعى فى هذا التصوير : « وبعد وفاة حسنين بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع ذهب فاروق يزور أمه نازلى فى قصرها الذى ورثته عن أبيها فى حى الدقى . . ودخل عليها فى قاعة السرايا الكبرى ، وتسمرت قدماه عند الباب . . فقد رأى أمامه فى صدر القاعة صورة لأحمد حسنين بالحجم الطبيعى وقد جللت بالسواد .

وأمام الصورة وعلى الأرض جلست أمه نازلى وحولها سيدات الحاشية وخادمات القصر وجميعهن متشحات بالسواد وعلى جانبى القاعة الكبيرة جلس نحو عشرين شيخاً يتلون الأوراد ويدعون بالرحمة للراحل الكريم.

توقف فاروق لحظة عند باب القاعة وقد عقدت الدهشة لسانه . . ثم مشى إلى حيث كانت أمه وقال لها وهو يشير بيده إلى الصورة وإلى السيدات والمشايخ :

- إيه ده كله ؟ ! . وعلشان إيه . . مات خلاص . . مات . . فلزومه إيه ده ؟ !

وانتفضت نازلى واقفة على قدميها وانفجرت فى ابنها تصيح :

ـ ده ؟! . . ده اللى عملك راجل . . ده اللى حافظ لك على العرش . . بكره راح تشوف يجرى لك إيه بعد موت حسنين . وهز فاروق كتفيه ساخرا وانصرف . . » .

وما هى إلا أسابيع معدودة حتى غادرت نازلى مصر إلى أوروبا للعلاج والراحة . . ولكنها غادرت مصر وفى نيتها آلا تعود .

ولابد لهذا المشهد الذى رآه الملك فاروق من تأثير عنيف بداخله . . خاصة حينما كان يجلس بينه وبين نفسه ويقارن بين سلوك أمه بعد رحيل أبيه زوجها الأول وبين رحيل عشيقها وزوجها الثانى .

هذا التأثير النفسى الشديد داخل فاروق الغريب الأطوار ، اتجه إلى طريقين . . الأول طريق الانتقام من نفسه ومن أحمد حسنين باشا الذى كان رائده وأستاذه . . وقد تجلى هذا الانتقام فى الانطلاق نحو الرذيلة والفسوق والعيش فى فساد دائم حتى يوم رحيله ! .

أما الطريق الثانى فقد اتجه نحو زيادة جرعة كراهيته لأمه . . بسبب سلوكها المجنون بعد رحيل أحمد حسنين ومعاصرة الملك فاروق لكل من حادثى الرحيل . . ومن المؤكد أن مؤشر كراهية الابن لأمه الملكة قد ظل فى ارتفاع مضطرد وخاصة حين تركت مصر للأبد وعاشت فى أوروبا . . حتى وصل ذلك المؤشر إلى نقطة اللاعودة بعدما التقت بالعاشق الأخير رياض غالى . . ولسوف نلمس ذلك بوضوح حين نتحدث عن النتائج المباشرة التى صاحبت قرار الملكة نازلى تزويج ابنتها الأميرة فتحية من رياض غالى .

ويبدو أن أحمد حسنين كان بالفعل يمسك بعصا كرسى العرش داخل قصر عابدين . سواء بالنسبة لسلوكيات الملكة نازلى أو ابنها فاروق . . بدليل أن رحيله كان وبالاً على كل من الاثنين فى آن واحد . فبالنسبة لفاروق كان قبل وفاة أحمد حسنين لا يستطيع أن يغشى أنديه القمار أو يقيم علاقات مع الراقصات ! . كما لم تكن صحف العالم وخاصة صحف أمريكا تنشر تحذيرات لرجال الأعمال لعدم ممارسة أى نشاط تجارى فى مصر . . بسبب سلوكيات الملك وحاشيته .

أما بالنسبة لنازلى وسلوكياتها الخاصة والعامة . . فقد قررت الرحيل من مصر فى يوليو عام ١٩٤٦ وبالضبط بعد ثلاثة أشهر من رحيل أحمد حسنين . . ولم تكن تنوى العودة إلى مصر مرة أخرى . . وعلى ذلك فقد أعلنت العصيان الملكى على ابنها وعلى نفسها . . وبالتالى رحلت رغما عنه مصطحبة معها الأميرة فتحية ! . ولا نعرف هل كانت هذه الصحبة مقصودة أو غير مقصودة . . المهم أنها سافرت إلى أوروبا . . وبدأت رحلة اللاعودة من فرنسا . . ذلك البلد الأوروبى الذى شهد ميلاد أولى خطوات الملكة على طريق العشق الجديد الذى كان يقف بآخره رياض غالى . . ولسنا فى حاجة إلى إعادة القول بوجود النية المبيتة على إقامة هذه العلاقة من عدمها . . لكن المهم أن الملكة قابلت ذلك الشاب الوسيم على رصيف ميناء مرسيليا . . عندما بعث به القدر لكى يستقبلها فى أولى رحلاتها خارج مصر بعد وفاة أحمد حسنين . والغريب وكما سوف يمر علينا . . أن رياض غالى نفسه لم يكن يتوقع مقابلة الملكة نازلى . . وحتى لو توقع ذلك بحكم منصبه الدبلوماسى . . فلم يكن فى تصوره

أن هذه المقابلة من الممكن أن تفرز علاقة من نوع خاص . . انتهت بمأساة ! .

ولأهمية هذا اللقاء الذى تم مصادفة بين الملكة نازلى وبين آخر رجل فى حياتها . . بحثنا طويلاً عن وصف دقيق له . . نعرف من خلال سطوره كيف التقى رياض غالى بالملكة ؟! . وكيف أدى هذا اللقاء إلى العيش فى أحضانها عشرات السنين. ولقد عثرنا بالفعل على ذلك الوصف الدقيق . وقد كتبه أحد شهود عيان لقاء الملكة برياض غالى . . وهو الدبلوماسى الكبير « أحمد فراج طايع » الذى عمل قنصلاً مصرياً فى ميناء مرسيليا فى ذلك الوقت . وجاء فى هذا الوصف الذى وقعت أحداثه فى يوليو عام ١٩٤٦ :

« أخطرت من وزارة الخارجية فى أواخر يونيه عام ١٩٤٦ بوصول الملكة نازلى وكريمتيها فتحية وفائقة إلى مرسيليا فى غضون شهر يوليو على باخرة فرنسية لا أتذكر اسمها ومعهن حاشية مكونة من سيدة ورجلين .

وقبل وصول الباخرة بيوم وصلت مساء الأميرة فايزة قادمة من باريس لاستقبال والدتها . . ونزلت بفندق « سبلنديد » الذى كنت قد حجزت فيه غرفا للملكة وكريمتيها والحاشية . وقد تناولت فايزة العشاء معى وزوجتى ، وذهبت معى فى الرابعة صباحاً إلى الميناء ، وكان ذلك تقريبا موعد وصول الباخرة .

وكنت قد طلبت من رياض غالى أمين المحفوظات أن يرافقنى لمراقبة نقل أمتعة الملكة ومن معها إلى الميناء ثم إلى الفندق .

وقد وصلت الباخرة فى موعدها ، واستقبلت الجميع ، وكانت الحاشية مكونة من وصيفة وهى السيدة « بهيجة محب » كريمة المرحوم «محمد محب» باشا الوزير السابق ثم « محمود أسعد » كتشرفاتى للملكة «وأحمد موحد» ـ وهو حفيد شيخ الإسلام بتركيا وقتئذ ـ سكرتيرا خاصاً لها . . وكنت قد أعددت للملكة وكريماتها الغداء فى مسكنى بالقنصلية فرغبت الملكة أن نذهب جميعا إلى دارى بالقنصلية لتأخذ قسطاً من الراحة قبل تناول الطعام .

وما كدنا نصل إلى القنصلية حتى طلبت الملكة أن تنام فدخلت وكريماتها غرف النوم ولم يستيقظن إلا ظهراً . ولم أكن قد دعوت أحداً من موظفى القنصلية للغداء معنا . . كما أنى لم أدع احدا من الحاشية إذ لم أرد أن يكون الغداء وليمة رسمية . ومع ذلك لم تتناول الملكة عندى طعاماً إذا انتابتها آلام شديدة فى الكلى قبل الأكل كانت نتيجتها أن امتنعت عن تناول الطعام . . كما امتنعت عن الذهاب إلى الفندق ، وآثرت أن تبقى وكريماتها عندى حتى الساعة الواحدة صباحاً . . وهو موعد قيام القطار الذى سينقلها إلى بلدة الاستجمام الفرنسية المعروفة «شامونى » .

وكان قد طُلب إلى من القاهرة أن أحجز صالونا خاصاً لها ولبناتها فى القطار . . ولما كانت « شامونى » تتبع فى شئونها الخاصة بالمصريين قنصليتنا فقد رتبت أمرى لأرافق الملكة ومن معها إلى « شامونى » حيث وصلنا بعد بضع ساعات . . ثم عدت فى نفس اليوم إلى مرسيليا وقد قضت الملكة وبناتها والحاشية أسبوعين فى « شامونى » . . ثم أرادت

الانتقال إلى جنيف . . ولم أعلم أنها ستقضى أسبوعين فقط فى «شامونى» وأنها ستنتقل بعد ذلك إلى جنيف إذ لم يكن من شأنى أن أسألها عن برنامجها فى أوروبا .

وبعد عودتى من « شامونى » بأيام سافرت إلى جنيف لأزور عائلتى التى كنت أرسلتها إلى هناك مع أولادى بعد مغادرة الملكة مرسيليا . . وخلال وجودى فى جنيف مع عائلتى حدث أن اتصلت الملكة بالقنصلية فى مرسيليا لتطلب أن أرسل إليها أحد الموظفين ليقوم بشحن الأمتعة إلى جنيف فلم تجدنى وتحدثت إلى نائب القنصل الذى طلبت إليه الحضور ، ولكنه اعتذر بأنه مريض وأرسل إليها رياض غالى الذى لم تكن قد رأته إلا برهة فى الميناء عند وصولها إلى مرسيليا .

وسافر فعلاً رياض غالى إلى « شامونى » ! وعلمت فى جنيف من المفوضية فى « برن » بموعد وصول قطار الملكة إلى جنيف فذهبت مع بعض أعضاء المفوضية لاستقبالها وكريماتها فإذا بى أفاجأ بوجود رياض غالى ضمن الحاشية .

وسألته : ماذا جاء بك إلى هنا ؟

وأمرته بالعودة فوراً فى نفس اليوم إلى مرسيليا ، إلا أن الملكة طلبت بقاءه أياما معها ، فرفضت وأخبرتها أن هذا لا يصح طالما لم تأمرنى الوزارة بذلك . . وفعلاً عاد رياض إلى مرسيليا فى نفس اليوم .

وبعد أيام قليلة عدت إلى مرسيليا فإذا بالملكة تتصل بى تليفونيا لتقول : انها تنتدب رياض لخدمتها أثناء وجودها فى أوروبا ، فاعتذرت

عن تلبية طلبها وقلت إن هذا الندب لن يتم إلا بأمر من وزارة الخارجية فى القاهرة .

ولم تمض أيام قليلة على هذا الحديث التليفونى بينها وبينى حتى تلقيت خطابا من الخارجية يتضمن قراراً بندب رياض غالى ليكون فى خدمة الملكة ، ودون تحديد زمن للندب .

وقد قمت بعد عودتى من جنيف قبل أن أتلقى تليفون الملكة ، بنصح رياض أن يبتعد عن العمل فى حاشية الملكة ، وألا يقبل ذلك بأية حال لأنه لابد سيعود عليه بالضرر . . وقد اعترف رياض غالى بذلك فى إحدى أحاديثه الصحفية .

ولو كنت موجوداً فى القنصلية حين اتصلت الملكة نازلى تليفونيا من «شامونى » تطلب إرسال أحد الموظفين لمعاونتها لكنت رفضت إرسال رياض . . ذلك لشعور تملكنى بأن خدمة هذا الشاب الذى عمل معى فى الوزارة فى القاهرة وكنت أعتبره ابناً لى ، أقول تملكنى شعور بأن خدمته مع الملكة سيقضى عليه وسيكون فيه الضرر له .

ولقد صارحته بذلك أكثر من مرة ، وأيضا بعد تسلمى أمر انتدابه من الوزارة لم أحجم عن نصحه بأن يرفض هذا الانتداب ، وأننى أضمن له ألا يصيبه ذلك الرفض بأى ضرر . . إلا أن رياض أبى الاستماع لنصحى ، وسافر إلى سويسرا ليبقى بجوار الملكة ، وانقطعت صلتى به وبالملكة حتى عام ١٩٤٩ حيث عينت فى يناير عام ١٩٤٩ رئيسا لمكتب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة فى نيويورك [١] .

---

(١) مجلة المصور فى ٧ يناير ١٩٧١ .

وما ذكره السفير « أحمد فرج طايع » الذى تم اختياره وزيرا للخارجية قبيل رحيل الملكية عن مصر للأبد عام ١٩٥٢ لا يختلف كثيراً عما سجله رياض غالى نفسه فى أوراقه الخاصة عن ظروف وملابسات لقائه بالملكة نازلى . . إلا فى نقاط قليلة تتعلق فقط بمعلومات خاصة عنه وعن طباعه وعن بعض صفاته .

فقد قال رياض غالى « لجميل عارف » الذى سجل هذه الكلمات :

« إن الحظ هو البطل الحقيقى الذى لعب الدور الأول فى حياتى . . فبعد أن تخرجت من كلية التجارة رغبت فى العمل بالسلك الدبلوماسى حتى تتاح لى فرصة مشاهدة العالم الخارجى . ولكن والدتى عارضت رغبتى وصممت على أن أعدل عن هذه الفكرة .

وهنا يتدخل الحظ ويمسك بيد الاستاذ كامل عبد الرحيم سفير مصر فى واشنطن وكان وقتئذ وكيلا لوزارة الخارجية ويجعله يوقع قراراً بتعيينى فى الخارجية بناء على الطلب الذى تقدمت به . . وكنت مغامراً بطبعى ولذلك لم أتردد فى قبول الوظيفة التى عرضت على فى « الكنغو البلجيكية» .

وبعد حين بذلت المسعى حتى نقلت إلى لندن . . ومرة أخرى عاد الحظ يلعب دوره فى خدمتى . . فصدر قرار بانتدابى للعمل بقنصلية مصر فى مارسيليا . . وما إن تسلمت وظيفتى الجديدة حتى أخطرت القنصلية بمجىء الملكة نازلى وكريمتيها فائقة وفتحية إلى مارسيليا . وكان الاستاذ أحمد فراج طايع وزير الخارجية الحالى (عام ١٩٥٢) هو

قنصل مصر العام فى هذه المدينة فى ذلك الوقت . . فأسرع مع موظف القنصلية إلى الميناء حيث قام باستقبال الأسرة المالكة . . أما أنا فقد وقفت بعيداً عن الاستقبال . . خلف الصفوف ، فقد كلفت بالإشراف على نقل الحقائب والمتاع إلى الفندق الذى اختير لإقامتهن .

وطيلة مدة إقامة الملكة وابنتيها فى مارسيليا لم أحظ بمقابلتهن ولم أدع إلى الحفلات التى أقيمت لتكريمهن . . وظللت كذلك حتى تدخل الحظ ولعب دوراً جديداً . .

ففى صبيحة اليوم المعين لسفر الملكة استدعانى القنصل وكلفنى بحمل البريد الذى ورد باسم الملكة إلى جناحها فى الفندق الذى تنزل به . . وفى غرفة الاستقبال الملحقة بالجناح المخصص للأسرة فى الفندق ، دعتنى الملكة للجلوس حتى تفرغ من تصفح الرسائل التى جئت بها . وبعد أن فرغت منها سألتنى عن اسمى وأسرتى وعملى وثقافتى وغير ذلك من الأسئلة . . ثم أذنت بانصرافى .

وحسبت أن هذه الأسئلة لا تعدو أن تكون شيئا عابراً ، اعتاده أمثالنا عندما يلتقون بذوى المكانات الرفيعة ولكن يبدو أنها كانت تخبىء لى قصة من نوع جديد .

فعندما وصلت إلى دار القنصلية علمت أن الملكة اتصلت بالقنصل ليتخذ الإجراءات اللازمة لانتدابى لمرافقتها إلى الولايات المتحدة ! . لقد تفانيت فى خدمة الملكة نازلى . . وكنت قد سافرت معها إلى أمريكا . .

• • •

وعند هذا الحد لم ينته بعد كلام رياض غالى للصحفى « جميل عارف» . . وقد آثرنا التوقف ولو للحظات . . نستكمل خلالها بعض المعلومات المتاحة بالإضافة إلى ما سبق قوله . . وهى تلقى الضوء المبهر على مكونات شخصيته كشاب مغامر وقع فى طريق ملكة شرهة . . وقد خرجت لتوها من محنة ضياع الحب والزواج . . ولسوف تكشف لنا هذه المعلومات عن حقيقة فى غاية الأهمية ، وهى وجود صفات مشتركة بين رياض وبين الملكة نازلى . . مع اختلاف السن والموقع والوظيفة والمنصب والنوع أيضا . . والغريب أنه كانت على رأس هذه الصفات صفة حب المغامرة . . والترحال وحب الأسفار . . والجرأة . . وانعدام الضمير . .

وعلى أية حال . . لقد عرفنا من قبل أن رياض غالى من مواليد مدينة القاهرة وأن والده «بشاى غالى » من أهالى محافظة أسيوط وبالذات من قرية تدعى «دير تاسا» وقد قتل والده عام ١٩٥٣ بعد نزاع مع جيرانه فى القرية على حيازة قطعة أرض زراعية . . وعندما توفى انتقلت والدته السيدة ـ «جليلة وهبه مينا» للعيش مع رياض هناك فى أمريكا . وفى الفترة التى كان فيها متزوجاً من الأميرة فتحية ! .

وقد حصل رياض على بكالوريوس التجارة من جامعة القاهرة . . ثم التحق بالسلك الدبلوماسى ابتداء من عام ١٩٤٦ . . وهو نفس العام الذى شهد نهاية حياة الملكة نازلى بجوار زوجها الثانى أحمد حسنين. ولقد أوقع القدر الشاب رياض غالى فى طريق زوجة وزير اليابان المفوض فى القاهرة . . فأحبته مثل ابنها الذى فقدته . . وكأنها

كان يعيش بروفة حيوية لعلاقاته مع نازلى . . هذه العلاقة التى كانت فى تلك الفترة فى رحم الزمن . . وكانت هذه السيدة تدعى « كاوازوى » . . وهى روسية الأصل . . والغريب أنه عندما قامت الحرب العالمية الثانية وعلى إثر دخول اليابان الحرب . . اضطرت هذه السيدة لمغادرة مصر مع زوجها . كما اضطرت المفوضية اليابانية وبناء على هذه العلاقة أن تبيع سياراتها لرياض غالى الذى اشتراها فعلاً بثمن بخس . . وقد باع إحدى هذه السيارات لمصطفى باشا النحاس زعيم حزب الوفد آنذاك . . بأقل من أسعارها المعروفة . . وكانت مكافأته . . علاوتين استثنائيتين فى عمله . ويبدو أن هذه السيارات وعلاقة رياض بمصطفى النحاس هى التى دفعت السياسى مكرم عبيد إلى إثارة هذه القضية فى كتابه الأسود وكما سبق وأشرنا .

ونستطيع من خلال الوقوف على تفاصيل حكاية رياض غالى مع السيدة الروسية زوجة المفوض اليابانى فى مصر . . التوصل إلى وجود تشابه كبير فى كل التفاصيل . . من حيث الشكل والمضمون . . وأيضا الشخصيات . . ويبدو أن رياض غالى قد تعلم الأسرار الخاصة بكيفية التعامل مع نساء ما فوق الخمسين . . هذه الأسرار الخفية أعانته كثيرا فى علاقته الجديدة مع الملكة نازلى . . وجعلت الملكة تطلب إبقاءه معها وفى خدمتها . . منذ رأته لأول مرة على رصيف ميناء مرسيليا .

وتقول تفاصيل حكاية رياض غالى مع محبوبته الأولى . . زوجة المفوض اليابانى فى مصر : أنه فى أحد أيام عام ١٩٤٠ وعندما كان رياض طالبا بكلية التجارة حيث كانت كل طموحاته محصورة فى حب

الظهور فى المجتمعات والسهرات الراقية . . دخل إحدى المستشفيات فى القاهرة لاجراء عملية جراحية . . وحدث أن كان يسير فى ممرات المستشفى أثناء فترة النقاهة وإذا بسيدة شقراء فى الأربعين من عمرها تسرع نحوه وتعانقه وهى تقول : « ولدى ، ولدى » . ولم تكن هذه السيدة هى أمه فعلاً ! وإنما كانت السيدة « كاوازاوى » زوجة سكرتير المفوضية اليابانية بالقاهرة فى ذلك الحين .

وكانت فى الأصل سيدة روسية . . وقد رزقت ولدا من زوج روسى قتل فى الحرب العالمية الأولى ، ومات ابنها فى إيران . . ثم تزوجت من السكرتير اليابانى وكانت هى نفسها تجرى عملية جراحية فى نفس المستشفى .

وتصورت هذه السيدة أن رياض هو ابنها بالفعل وأن ابنها لم يمت . وأى شاب غير رياض غالى كان يعتبر هذه السيدة مجنونة . . ولكن رياض على العكس جلس يحدثها ويلاطفها . . وقدمها لوالده وكان مدرسا فى المدرسة التوفيقية ثم قدمها لأمه . . والمفاجأة أن السيدة الروسية طلبت أن تتبنى رياض !! [٢] .

وأصبحت تلك السيدة منذ ذلك الوقت لا تفارق رياض غالى ولا يفارقها . . وقدمته إلى الوزير المفوض اليابانى ، وكان يدعى إلى حفلات المفوضية . . وعندما قامت الحرب باعه ذلك الوزير ثلاث سيارات «بويك » « وكريسلر » « وشفروليه » بمبلغ ١٣٠٠ جنيه .

---

(٢) سن الدبوس المختفى ـ مقال لمصطفى أمين نشر فى الأخبار بتاريخ ١٠ / ١٠ / ١٩٥٢ .

لقد تمكن رياض غالى وبسرعة غريبة من السيطرة على تلك السيدة العجوز . . ومن هذه السيدة تعلم أشياء كثيرة ، فقد كان بينها وبين الملكة نازلى شبه فى الأخلاق وفى الظروف أيضا .

● ● ●

ومنذ اليوم الأول للقاء رياض غالى بالملكة نازلى على رصيف الميناء الفرنسى . . بدأت الأنباء تتردد كثيرا ليس فى الدول الأوروبية فقط . عن علاقة الملكة بعاشق جديد . . بل ووصلت كذلك إلى القاهرة . . وتسللت إلى قصر عابدين . . والغريب أن هذه الأخبار لم يكذبها أحد من رجال الملك فى حينه . . بل سرعان ما انتشرت بسرعة غريبة حتى فى الشارع المصرى . . وكأنما الناس وفاروق والحاشية كانوا يتوقعون مثل ذلك السلوك من الملكة نازلى ! . مع أن المفروض وفى مثل هذه الأمور التى تخص الذات الملكية . . يسارع القصر إلى التكذيب أو إلى النفى .

والحقيقة أنه ووفقا لما سوف نرويه بعد لحظات . فقد كانت هناك عيون ملكية عديدة تراقب تحركات الملكة نازلى وتتابعها وبناتها كظلها أينما ذهبت . . هذه المراقبة كانت تتم تحت سمع وبصر الملك فاروق نفسه مما يدل على أنه كان يعلم مسبقا برغبة أمه فى الدخول فى علاقة غرامية جديدة . . وإن لم يكن يتوقع أن تكون مع أحد رعاياه . . من موظفى الدبلوماسية المصرية .

ولقد عثرنا على عدة تقارير سرية كانت تبعث بها الخارجية المصرية من مختلف المدن الأوروبية حيث كانت تنزل الملكة نازلى . هذه التقارير

كانت تصل إلى الملك بصفة شخصية . . مما يوحى بأنه كان بالفعل يراقب أمه ويراقب سلوكياتها تحسباً لعلاقة جديدة من الممكن أن تهز عرشه أكثر وأكثر . . والمعنى العام الذى نستطيع أن نفهمه من وراء هذه المراقبة التى تمت على أعلى مستوى سياسى . . هو أن الملك فاروق قد بات ومنذ زواج أمه من أحمد حسنين . . يكره الملكة نازلى . . كراهية عمياء . . رغم دورها البارز فى الحفاظ على عرشه الذى تولاه من بعد وفاة والده أحمد فؤاد . . كما كان الملك فاروق يهيىء نفسه وحاشيته ورجال قصره وفقا لهذه المراقبة لاتخاذ القرار السريع والقاطع لعقاب الملكة أمه . . على كل سلوكياتها التى بدرت منها منذ عام ١٩٣٧ عقب وفاة أبيه وحتى مقتل زوج أمه الثانى أحمد حسنين عام ١٩٤٦ ! . والوقوف على ما سوف نسوقه من تقارير يمكننا من معرفة هذه النتائج وأكثر . حيث جاء فى هذه التقارير التى أرسلت أولا من باريس بتاريخ ٢٥ يوليو عام ١٩٤٦ . . أى بعد أقل من أسبوع من رحيلها من مصر لآخر مرة مانصه « وصلت الملكة نازلى قادمة من نيس ومعها رياض غالى . . وقد قدمته إلى المستقبلين باعتباره سكرتيرها الخاص » . . وعلى الفور وضع فاروق خطاً باللون الأحمر تحت كلمة السكرتير الخاص .

ومن جنيف جاء فى التقرير الذى أرسل إلى الملك بتاريخ ٢٥ أكتوبر عام ١٩٤٦ مانصه : « سافرت الملكة نازلى إلى جنوب فرنسا وقد لوحظ أنها سلمت رياض غالى كل أموالها . . وجعلته المتصرف الأول والأخير فيها . .

أما بقية التقارير فكانت بالترتيب والتواريخ والصيغ التالية :

●● نيس ٣ نوفمبر عام ١٩٤٦ :

ـ شوهدت الملكة نازلى مع رياض غالى فى المعرض ، وكانت تتحدث معه بغير كلفة ، واشترت روائح عطرية مختلفة وكانت تضع بعضها على أنف رياض ليشم الرائحة .

●● باريس ١٧ نوفمبر عام ١٩٤٦ :

ـ وصلت الملكة نازلى إلي هنا وحجزت غرفة لرياض غالى فى فندق «بلانتزا أتينيه » بجوار جناحها .

●● باريس ٢٠ نوفمبر ١٩٤٦ :

ـ كان رياض غالى يصطحب الملكة نازلى فى ذهابها إلى الخياطات لشراء الفساتين الجديدة . . وقد أوصت الملكة على أثواب ثمنها ٢٧٠٠ جنيه .

●● باريس ٢٢ نوفمبر ١٩٤٦ :

ـ شوهدت الملكة نازلى فى مسرح « الكازينودى بارى » ومعها رياض وكان يجلس بينها وبين الأميرة فتحية . . وبعد ذلك خرجوا إلى مطعم فى الحى اللاتينى وتناولوا العشاء .

●● باريس ٢٧ نوفمبر عام ١٩٤٦ :

ـ شوهد رياض غالى فى البنك يودع فيه مبلغا طائلاً باسمه كما شوهد فى نفس اليوم يقود سيارة ومعه الملكة والأميرتان .

●● جنيف ٢٧ مارس ١٩٤٧ :

ـ وصلت الملكة نازلى إلى جنيف ومعها رياض غالى . . وقد حرصا

على ألا يقابلا احدا من المصريين . . واتصل رياض غالى بالمفوضية المصرية وأصدر إليها أوامر باسم الملكة .

●● جنيف ٧ ابريل عام ١٩٤٧ :

ـ لوحظ أن الملكة تتناول إفطارها فى الفندق يوميا مع رياض غالى وهو الحاكم بأمره فى الحاشية الملكية ويبدى أفراد الحاشية استياءهم لنفوذه الذى يزداد ، وسيطرته الكاملة على الملكة .

●● جنيف ٢٧ ابريل عام ١٩٤٧ :

ـ قالت الملكة نازلى إنها إذا أرادت أن تختار بين صداقتها لرياض غالى وبنوتها لفارق فإنها تختار صداقة رياض ، لأن فاروق أثبت فى كل مناسبة أنه إبن عاق ، أما رياض غالى فقد أثبت أنه ولد مخلص .

●● لندن ٧ مايو عام ١٩٤٧ :

ـ قالت الملكة نازلى اليوم إنها لا تريد أن تعود إلى مصر لأن جلالة الملك ينظر إلى رياض غالى نظرة شك ، وأنه خير ألف مرة من جميع رجال القصر . . وقالت : إن جلالة الملك ليس له بخت لأنه يكره المخلصين ويحب الخائنين ! . وقالت إنها لو اطمأنت إلى مصير رياض غالى فى مصر لعادت فورا ، ولكنها تخشى غدر جلالة الملك وتعتقد أن وجود رياض فى مصر معناه تقديم رأسه للمشنقة . . ولهذا فإنها لا تنوى العودة لمصر .

●● لندن ٨ مايو عام ١٩٤٧ :

ـ قالت الملكة نازلى إنها ستهاجر إلى أمريكا وأنه معروض على رياض

غالى مناصب كبيرة فى شركات مالية وصناعية فى أمريكا وأنه يستطيع أن يكون مليونيرا إذا أراد ، ولكنه فضل أن يكون فى خدمتها .

●● لندن ١١ مايو عام ١٩٤٧ :

ـ يقول رجال البوليس السرى الذين كلفتهم السفارة أن يتولوا حراسة الملكة نازلى أن رياض غالى هو المتصرف فى شئونها . . وأن الأميرتين قبل سفرهما مع الملكة لم تكونا لتستطيعا شراء أى شىء إلا بإذنه وبموافقته . . وعندما كان يمرض رياض غالى كانت الملكة هى التى تقوم برعايته .

● ● ●

وفى منتصف مايو عام ١٩٤٧ تحرك الركب الملكى المصرى الذى كان يضم الملكة نازلى وعشيقها الأخير رياض غالى وابنتيها فائقة وفتحية مرة أخرى . . ولكنه هذه المرة كان إلى واشنطن كبداية مرحلة جديدة . . هذه المدينة وغيرها من المدن الأمريكية التى شهدت أحداث مرحلة من أعنف مراحل حياة نازلى وذلك لأنها قد انتهت وكما سوف نعرف بعد قليل بمقتل ابنتها الأميرة فتحية ودخول زوج ابنتها رياض إلى السجن . . ثم وفاتها بعد هذا الحادث بعامين ! .

كما شهدت تلك الفترة أيضا أخطر قرار فى حياة الملكةوهو ارتدادها عن الدين الإسلامى واعتناقها المذهب الكاثوليكى . . فى خطوة جديدة أعقبت موافقتها على أن يتزوج رياض غالى المسيحى الديانة من ابنتها المسلمة .

ونستطيع أن نقول : إنه إذا كانت المرحلة الأولى فى علاقة نازلى

برياض قد توقفت عند حدود التعارف ، والانتقال فى خدمتها بعد ما قدم استقالته من العمل الدبلوماسى . فإن المرحلة الثانية والتى نحن بصدد الحديث المفصل عنها الآن قد شهدت عدة أحداث درامية وهزلية فى آن واحد . . كما تميزت كذلك بطول سنواتها . . إذ بلغت ثمانية وثلاثين عاماً ، وكانت بذلك أطول فترة من الأحداث الساخنة فى حياة الملكة نازلى .

وإذا كانت أحداث المرحلة الأولى قد بدأت منذ اليوم الأول الذى خرجت فيه نازلى من مصر عقب رحيل عشيقها قبل الأخير أحمد حسنين . . فى منتصف عام ١٩٤٦ . . واستمرت حتى منتصف عام ١٩٤٧ فإن أحداث تلك المرحلة قد بدأت تاريخياً مع أواخر شهر مايو عام ١٩٤٧ وامتدت حتى منتصف عام ١٩٧٨ . وإن كان يحلو للبعض أن يعتبر بدء التاريخ الحقيقى لتلك المرحلة عام ١٩٥٠ عندما تزوج رياض بالفعل من الأميرة فتحية وليس عام ١٩٤٧ . . العام الذى التقى فيه رياض بالملكة نازلى .

وعلى أية حال لقد ارتبطت تلك المرحلة بالعديد من الأحداث المثيرة والغريبة فى آن واحد . . ويمكن أن نسوقها فى سطور على سبيل الاجمال ثم نحاول من بعد الإجمال قول التفاصيل . وأولى هذه الأحداث استقالة رياض غالى من عمله الدبلوماسى وقبوله الالتحاق بخدمة الملكة نازلى رغم معارضة الخارجية وكما مر بنا من قبل . . أما ثانى تلك الأحداث وأهمها . . هو موافقة الملكة نازلى على زواج عشيقها رياض غالى من ابنتها الأميرة فتحية . ولسنا هنا فى مقام يسمح لنا بمناقشة الأسباب

والدوافع . . ذلك لأنها معروفة ومحسوبة من قبل . . ثم يأتى بعد ذلك حادث مقتل الأميرة فتحية في عام ١٩٧٩على يد زوجها رياض غالى عندما أطلق عليها رصاص مسدسه فأرداها قتيلة فى الحال. ثم دخوله السجن ووفاته بعد ذلك . . أما آخر هذه الأحداث المؤسفة فكان مرتبطاً بارتداد الملكة عن دين الإسلام . . ووفاتها على دين المسيحية بدليل موافقتها قبيل موتها على أن تدفن فى إحدى الكنائس الأمريكيةبجوار ابنتها فتحية .

ولما كنا قد تحدثنا من قبل وبالتفصيل عن حكاية استقالة رياض غالى والتحاقه بخدمة الملكة نازلى . . فسوف نحصر الحديث التالى وبالتفصيل المطلوب عن حادثى الزواج والقتل .

ولقد عثرنا فى مذكرات الملك فاروق على حكاية زواج رياض غالى من أخته الأميرة فتحية وموقفه وموقف القصر من هذا الزواج كما عثرنا فى الوقت نفسه على تصريح صحفى للملكة نازلى ترد فيه على ما ذكره ابنها فاروق فى مذكراته عن زواج أخته الأميرة فتحية . وكذلك اعتراف رياض غالى بظروف ذلك الزواج . .

أما بالنسبة للملك فقد قال فى هذه المذكرات :

« فى عام ١٩٤٦ سافرت والدتى إلى أمريكا مع الأميرة فائقة والأميرة فتحية صغرى كريمات والدى . . وتعرف إليهن فى هذه الرحلة رجل لم يكن مسلماً . . وإن كان مصريا بحكم ميلاده ومع أن عقيدته تغاير عقيدتنا إلا أن أمى أعجبت به ، وسمحت بعد ذلك بزواجه من ابنتها

الصغرى . . وكان من المتوقع أن أتسامح عندئذ وأن أصفح عن هذا الزواج ، ولكننى خلال ايام حكمى كنت قد منعت كثيراً من الزيجات بين أعضاء من العائلة أقل قرابة من أخواتى وبين أشخاص من أديان مغايرة . وكانت هذه الزيجة بالذات أبشع من أن أسمح بها . . أنا الذى أحببت فتحية أثناء طفولتنا المشتركة . . » .

ثم ردت الملكة نازلى على قول ابنها فى مذكراته سواء فيما يتعلق بسيرتها الخاصة أو بموضوع زواج ابنتها من رياض غالى فقالت فى العديد من الأحاديث الصحفية التى أدلت بها من فيلتها الخاصة التى كانت تقيم بها فى ضاحية « بفرلى هيلز » فى هوليود بولاية لوس أنجلوس :

« . . هكذا كانوا يقولون لفاروق عنى ويذيعون ما يسىء لى . . ولكن الله لن يغفر أبدا لأولئك المفترين . . إننى أعرفهم جيداً . . أعرف أولئك الذين تآمروا ضدى وأفسدوه حتى فقد ملكه . . أعرفهم تماماً لأننى كنت أولى ضحاياهم ، فقد أخرجونى من القصر وظلوا هم فيه .

وقبل أن يتولى ابنى سلطته الدستورية كنت أتعهده برعايتى وأنبهه إلى واجباته فكان يستمع إلى ويحترم رأيى ، ولكنه بعد أن تولى السلطة التقى بمن بذلوا جهودهم لتعكير صفو العلاقات بيننا حتى يتخلص من تأثيرى ويتمكنوا من السيطرة عليه لتتحقق أغراضهم ونجحوا فى تحقيق رغبتهم . . وعندما أوقعوا به تخلوا عنه وتنصلوا مما قدمت أيديهم . . جازاهم الله .

إننى أريد أن يفهم الناس شعورى كأم ، ثم يحكموا علىّ بعد ذلك

وأريدهم أن يعلموا أننى كنت تعسة جداً فى حياتى الزوجية وأن الأيام قد علمتنى ألا أؤمن بزواج القصور . . فقد كنت ضحية زواج سياسى، وإن اختلفت الظروف والأسباب ! .

وعندما تزوجت ابنتى فائزة صممت على أن أستعمل حقى كأم ، وأتدخل لحماية فائقة وفتحية من تعسف فاروق وعناده ، وقررت أن أشجعها على الزواج ممن يختاره قلب كل منهما . . إننى مرتاحة الضمير . . ولم أرتكب جريمة ما ، ويكفينى أننى قربت بين القلوب المتحابة ، وحققت السعادة لإبنتى » .

وتواصل الملكة نازلى دفاعها عن نفسها وعن عشيقها بقولها :

أما بالنسبة لرياض غالى فإنى أؤكد أنه قد شهر إسلامه مرتين وأؤكد لكم أنه قد أسلم عن عقيدة وإيمان دون أن يكون له مأرب أو غاية ، وأنه لم يفكر فى ثروة فتحية كما أشيع فى مصر . . إننى أقرر لكم أن هذا الرجل نبيل فقد كنت أعالج من سكرات الموت فى المستشفى ، وكان الأمل ضعيفا فى نجاتى من العمليات الثلاث التى أجريت لى . . وكان الرجل الوحيد الذى خدمنى فى تلك المحنة هو رياض غالى . . أما ابنى . . فلذة كبدى فلم يعن حتى بالاستفسار عن صحتى تليفونيا . ولولا هذا الإنسان النبيل لضعت فى غربتى . .

تصوروا أن المستشفى طلبت منى ستة وثلاثين ألف دولار مقابل إجراء عملية استئصال الكلى اليمنى ، وكنت وقتئذ بحاجة إلى المال ، ومع ذلك فقد شرعت فى دفع المبلغ ، وإذا برياض يقابل مدير المستشفى

ويقنعه بتنزيل المبلغ إلى خمسة آلاف دولار فقط . وبعد ذلك يتهم مثل هذا الشخص بأنه غير أمين على مصالحى » .

وإذا كان ما سردناه من قبل يمثل وجهتى نظر كل من الملك فاروق وأمه الملكة نازلى . فماذا قال رياض غالى نفسه عن ذلك المشروع ؟ ففى تصريحات صحفية عديدة . . ذكر رياض غالى عن ظروف زواجه من فتحية فقال :

« . . فى أمريكا أمضيت شهرين فى خدمة الملكة وكريمتها . . وهناك شعرت بشىء أثار اهتمامى . . شعرت أن الأميرة فتحية تعاملنى برقة شديدة ، وتوجه نحوى نظرات عميقة . أهذا معقول ؟ . أميرة من البيت المالك وابنة ملك ، وشقيقة ملك تخصنى باهتمامها . . أنا الموظف الصغير . . هذا غير معقول .

ولكن الأيام أثبتت لى ما كنت أنكره على نفسى . . ففكرت فى الأمر فرأيت أن هناك عدة أسباب تمنع قيام مثل هذه العاطفة الوليدة . وحاولت أن أتجنبها ، لكننى فشلت . فكيف أتجنبها وأنا أعيش معهما فى فندق واحد . . فلجأت إلى طريقة أخرى .

لقد انتهزت فرصة حديث لى مع الملكة ، وصارحتها برغبتى فى العودة إلى عملى الأصلى فى وزارة الخارجية . . لكنها تمسكت بى . . فلم أملك إلا الطاعة ولتفعل الأقدار ما تشاء . . وذات يوم جمعتنى الظروف بفتحية . . وكنا بمفردنا ، وحدث ما كنت أخشاه . . فقد صارحتنى بحبها لى . . وأفقت من الدهشة لكى أجد لسانى يجيبها : مستحيل . . أنت أميرة . . وأنا لا شىء .

ويبدو أن الملكة نازلى شعرت بما كان يجول فى أعيننا من عاطفة ، ففوجئت بها تستدعينى ذات يوم وتفاجئنى بقولها :

● اسمع يا رياض . . أنا أعرف جيداً كل ما يدور وراء ظهرى بينك وبين فتحية . . فلا تنس أننى أم ، ومن حقى أن أعرف كل شيء عن أولادى وخاصة ما يتعلق بسعادة ابنتى .

وسكت ولم أحر جواباً . . خشيت أن يحدث مالا يحمد عقباه ، ولكن الملكة ابتسمت لى وقالت :

● لا تنس أيضا أن الأم يجب ألا تحول بين ابنتها وبين سعادتها . . ولكن !!

وفهمت . . فهمت أنها لا تمانع فى علاقتى بابنتها . . العلاقة التى تنتهى بالزواج ، ولكنها تريد أن تلفت نظرى إلى اختلاف دين كل منا فقلت :

ـ لقد فكرت فى هذا الموضوع . . وقررت إشهار إسلامى .

● فقالت :

على بركة الله وتأكد أننى لن أدخر وسعاً فى تحقيق السعادة لكما .

واستدعت ابنتها فتحية ، واستقبلتها بقبلة تفيض حنانا ثم هنأتها وتمنت لها السعادة فيما أرادت . .

وأمام تعنت الملك فاروق فيما أقدمنا عليه . . قررنا أن نضعه أمام الأمر الواقع بعد ما سمعنا بثورته وتهديده لنا جميعا . فحددنا موعداً

للزواج ولكن فاروق ازداد هياجاً وثورة . . بل لقد هددنى بأنه سوف يقتلنى بنفسه إن رآنى .

وتسرب النبأ إلى القاهرة ، ووجدت بعض الصحف ، وقد بلغتها الأنباء مشوهة ـ مادة خصبة فى قصتنا ـ ولكن كيف كان بوسعنا الدفاع عن أنفسنا وفاروق يكمم الأفواه فى مصر ولا يسمح إلا بنشر ما يرضيه .

وفى أواخر إبريل عام ١٩٥٠ كنت أنا و « فانى » (فتحية) فى حجرة الملكة نازلى عندما دق جرس التليفون ، كانت القاهرة تتكلم وعلى السماعة رئيس الوزراة المصرية مصطفى النحاس .

قالوا إن رئيس الحكومة يريد محادثة الملكة ، ولكنها رفضت أن تتحدث معه فأقنعتها أن ترد عليه وقد طلب منها أن تمنع هذا الزواج بأى ثمن . ولم ينتظر منها جوابا ، بل هددها بالسعى لدى الحكومة الأمريكية لإعادتنا إلى مصر وسحب جوازات سفرنا الدبلوماسية . . كما قال لها :

ـ ثقى أن هذا الزواج سيكون أول مسمار ينزع من عرش ابنك الملك ، وأول مسمار يغرس فى نعشه .

وتطورت الأمور بسرعة رغم أننى عرضت على الملكة نازلى أن أعود إلى مصر فقد صدر أمر بفصلى من وظيفتى . . وقام بعضهم بتهديد أبى وأسرتى . . ورفضت السفارة المصرية فى واشنطن تجديد جواز سفرى ، وأصبحت شريداً ، ولم يبق لى إلا شىء واحد . . « فتحية » فقررت أن أستميت فى الدفاع عنها وعن نفسى .

وفى أوائل شهر مايو عام ١٩٥٠ . . أجرينا مراسيم الزواج المدنى فى بيت أحد الأصدقاء بضواحى سان فرانسسكو ، وبينما نحن نتم تلك الإجراءات طرق الباب بعنف . . ففتح صاحب الدار وإذا بالأميرالاى «أحمد كامل » قائد القصور الملكية يطلب مقابلة الملكة . . ولما رفضت مقابلته . . هدد بنسف البيت إذا تمت مراسيم هذا الزواج . وحتى عندما عدنا إلى الفندق ، وجدت ثلاثة خطابات تنتظرنى وتتضمن تهديدى بالقتل إذ لم أتراجع عن إتمام الزواج .

وأكثر من ذلك فوجئت فى صباح اليوم التالى بالأستاذ « كامل عبد الرحيم » سفير مصر فى واشنطن فى بهو الفندق ، فدعانى للجلوس وأخبرنى بأن الملك فاروق يعرض على خمسين ألف جنيه ، بل مائة ألف إذا عدلت عن إتمام هذا الزواج .

ورفضت طبعاً . . وقلت له إن السعادة لا تشترى بالمال ! وفى ٢٥ مايو عام ١٩٥٠ أتممنا مراسيم الزواج على يدى شيخ الجامع «سكرامنتو» القريب من سان فرانسيسكو . . وعلى يديه أيضا شهرت إسلامى للمرة الثالثة . . ولقد اضطررنا لاستئجار نفر من البوليس لحراسة الاحتفال بعقد قراننا . . فقد كان « أحمد كامل » قريبا منا وقد خشيت أن يقتلنا أنا وزوجتى فتحية » .

• • •

وانتقلت معركة زواج رياض من فتحية إلى القاهرة . حيث حاول الملك فاروق تصعيد السخط العام على أمه . . وتشويه صورتها وصورة

ابنتها وزوجها . . فأخذت الصحف والمجلات فى تناول هذه القصة بشىء من التفصيل المصحوب بكثير من السخرية بل وأمر الملك فاروق مجلس البلاط برئاسة الأمير محمد على توفيق للانعقاد فوراً . . لاتخاذ إجراءات حاسمة ضد أمه وضد أخته فتحية ! . . بعدما فشلت كل جهوده وجهود رجاله وحاشيته فى منع هذا الزواج الذى وجد فيه التحقير من شأنه . .

وفعلاً عُقد مجلس البلاط فى ١٧ مايو عام ١٩٥٠ وحضره كل أعضائه السبعة بالإضافة إلى رئيسه الأمير محمد على الابن الثانى للخديوى توفيق وهؤلاء الأعضاء السبعة كانوا هم :

ـ عبد الفتاح الطويل : وزير العدل وعضو مجلس البلاط وعمره آنذاك ٦٢ سنة .

ـ محمد محمود باشا [٦٠ عاماً] .

ـ محمد حسن يوسف باشا : رئيس الديوان الملكى [٤٧ عاماً] .

ـ الشيخ علام نصار : مفتى الديار المصرية وعضو مجلس البلاط [٥٩ سنة] .

ـ الشيخ محمد ابراهيم سالم : رئيس المحكمة الشرعية العليا .

ـ الشيخ عبد الرحمن حسن : عضو مجلس البلاط نيابة عن الشيخ مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر [٦٧ عاماً] .

ـ د . محمد حسين هيكل : رئيس مجلس الأعيان [٦١ عاماً] .

لقد ناقش المجتمعون بعض نصوص قانون البلاط الذى صدر عام ١٩٢٢ . . وكان أهمها ثلاث مواد هى :

ـ المادة الخامسة التى كانت تنص على أن تجرى على أمراء الأسرة المالكة العلوية وأميراتها أحكام الشريعة الإسلامية وقوانين المملكة المصرية إلا ما استثنى به هذا القانون .

ـ والمادة السادسة والتى تنص : على أنه إذا أراد أمير أو أميرة أن يعقد زواجه أو أراد من له الولاية على أمير أو أميرة أن يتزوج موليه ، وجب عليه أن يحصل على إذن من الملك بذلك . . فإذا صدر له الإذن أثبته رئيس ديوان الملك فى سجل خاص . . وأبلغه كتابة . . فإذا تزوج الأمير أو الأميرة بغير إذن أو وقع الزواج على خلاف الإذن فالملك من حقه أن يقرر بأمر ملكى حرمانه من لقب الإمارة . وللملك أن يقرر حرمان ذرية الأمير من الزوجة من ذلك اللقب وله فوق ذلك أن يحرم من اللقب الأمير الذى عقد الزواج لموليه القاصر .

ـ والمادة الثالثة عشرة التى تقول : إذا ارتكب أمير أو أميرة أموراً تخل بكرامة الإمارة فللملك أن يصدر بعد أخذ رأى المجلس أمراً بإخراجه من الأسرة المالكة لعدم جدارته بالانتساب إليها وبحرمانه من لقبه .

كما كانت لائحة إجراءات مجلس البلاط بخلاف هذه المواد تنص على ضرورة دعوة من ينظر المجلس فى أمرهم للمثول أمام أعضائه ، وتعطى المقيم منهم فى أوروبا مهلة قدرها ثلاثون يوما ، وتعطى المقيم أبعد من ذلك مهلة قدرها ستون يوماً . كما كانت تقضى نفس اللائحة

أيضا على أن يتولى وزير العدل إعلان الأحكام بعد تصديق الملك عليها ثم تنفيذها بعد ثمانية أيام من الإعلان عنها .

وبعد جلسة واحدة قرر المجلس رفض زواج فتحية من رياض غالى وتجريد الأميرة وأمها الملكة نازلى من كل امتيازاتها الملكية .

●●●

وهكذا بات معروفاً لكل الدنيا فى مصر أو فى خارجها أن الملكة نازلى تم تجريدها وابنتها من كل ما كان يربطها بالحياة الملكية فى مصر .. وأصبحت بذلك امرأة من عامة الشعب .. ورغم ذلك لم تستسلم أو تتراجع عن قرار تزويج ابنتها من رياض غالى وكأنها الموضوع كله يخصها هى شخصياً ويتعلق بحياتها الخاصة وليس بحياة ابنتها الأميرة الصغيرة .

والغريب أنه ابتداء من منتصف عام ١٩٥١ .. وبعد صدور قرار مجلس البلاط بالحرمان الملكى تم إنزال الستار عمداً على قصة الملكة نازلى وأخطائها السبعة ! سواء مع عشاقها من رجال الحاشية أو قصتها مع ابنتها وزوجها رياض غالى .. واستطاع الملك فاروق آنذاك أن يكتم كل الأفواه الرسمية وغير الرسمية حتى لا تتحدث مرة أخرى عن أمور الملكة نازلى بعدما أصبحت واحدة من عامة الشعب .. وبات لها ما لهم وعليها ما عليهم .. دون أن تسبب حرجاً للتاج الملكى ! .

وبالفعل تحول الناس حتى فى أحاديثهم الخاصة عن ذكر أمور نازلى وحياتها العامة .. بعدما خرجت من العباءة الملكية . وقد ساعد على ذلك ابتعاد نازلى عن مصر .. واستمرارها فى العيش بجوار رياض

وفتحية فى أمريكا . وقد ظل ذلك التجاهل قائما حتى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ . . عندما جاءت الثورة وخلعت الملك وبدأت تنشب فى ملفاته الخاصة والعامة . . فأثيرت قضية نازلى وفتحية ورياض غالى مرة أخرى . . وأخذت الصحف الموالية لرجال التورة فى تناول حياة نازلى وسلوكياتها بقسوة وعنف بالإضافة إلى الحديث الشامل عن أخطاء الأسرة الملكية منذ إنشائها لأول مرة على يد محمد على عام ١٨٠٥ .

ولقد استمرت الصحف والمجلات لفترات طويلة تنشر قصص وحكايات سواء صحيحة أو غير صحيحة عن الملك وأمه وعن أسرته . . ولكن سرعان ما ذابت هذه الموضوعات الصحفية المثيرة فى الهموم والنكسات والمشاكل التى خلقها رجال الثورة للشعب . مما جعل هؤلاء الضباط يسارعون لإصدار تعليماتهم بالحديث عن إنجازات الثورة ومشروعاتها سواء فى الواقع أو فى الأحلام . . حتى ينسى الناس الملك وحاشيته وأيامه . وبالتالى ظل هذا الوضع قائما حتى فترة زمنية قريبة . وقد اختفت بالفعل كل أخبار الأسرة المالكة إلا ما كان يتعلق فقط بالفضائح والأخطاء .

وابتداء من عام ١٩٧٦ . . دخلت أخبار الأسرة المالكة . . دائرة الضوء من جديد . . على إثر ارتكاب رياض غالى جريمة قتل الأميرة فتحية وبدأ الناس فى الشارع يتذكرون حكايات الملكة نازلى بعد ما تناسوها على مدى الستة والثلاثين عاماً الماضية .

ومن جانبنا نستطيع القول بأن المرحلة الأخيرة . . بل إن شئت قل إن : الفصل الأخير فى حكاية نازلى أصبح منذ ذلك التاريخ على وشك

النهاية . . وكانت تلك النهاية على غير ما يتوقع حتى أمهر المؤرخين . . ذلك لأن رصاصات رياض غالى التى وجهها إلى قلب زوجته بعد سنوات هجر طويلة لم يكن المقصود بها قتل فتحية . . بقدر ما كان المقصود . . التنكيل بالملكة نازلى فى أخريات أيامها . . بعدما فشل رياض غالى فى إحراز كل أهدافه السرية والعلنية .

ونستطيع أن نقول كذلك : إن لحظات النهاية التى بدت بجلاء عام ١٩٧٦ . . قد تأخرت كثيراً . . لأنه من المفروض أن يكون موعد تلك النهاية عام ١٩٥١ . . على إثر مصادرة أملاك نازلى وطردها من الأسرة الملكية . . أو كانت على أكثر تقدير فى عام ١٩٥٢ بعد قيام ثورة يوليو . . ورحيل الملكية لآخر مرة عن مصر .

وعلى أية حال ـ وبعيداً عن تلك التصورات والنتائج ـ كان علينا أن نعيش لحظة بلحظة إرهاصات تلك النهاية المأساوية التى هزت الولايات المتحدة الأمريكة والتى أسفرت عن مصرع الأميرة فتحية ودخول رياض غالى السجن . . ثم وفاة الملكة نازلى نفسها بعد هذا الحادث حزناً على ابنتها وزوجها . . وعشيقها الأخير .

ولقد نقلت إلينا وكالات الأنباء وصفا دقيقا لجريمة رياض غالى ضد زوجته الأميرة ومكان وقوعها وتوقيت ارتكاب الحادث فقالت إن الجريمة وقعت فى شقة رياض غالى المفروشة والتى كان يقيم بها بعد انفصاله عن الأميره فتحية . . منذ عام ١٩٦٥ . . بعدما اهتزت حالته المالية وإدمانه الخمر والمخدرات .

وجاء فى نفس الوصف :

« فى صباح اليوم التاسع من ديسمبر عام ١٩٧٦ وفى الشقة رقم ٥ بالدور الثانى بالمبنى رقم ١٢٨٢ بشارع « بارى » فى غرب لوس أنجلوس . . أطلق رياض غالى ٥ رصاصات متتابعة على الجانب الأيسر من رأس الأميرة فتحية فقتلها على الفور ثم تركها فى مكانها جثة هامدة وخرج إلى غرفة المعيشة ، حيث جلس يشاهد برامج التليفزيون . . ولم ينتبه إلى خطورة ما ارتكبه . . إلا بعد زيارة ابنته « رانيا » لتسأله عن والدتها التى لم ترجع إلى منزلها منذ أمس. وقد حاول رياض غالى التخلص من جثة الأميرة إلا أن الخمر قد لعبت برأسه فاستسلم للنوم حتى الصباح بجوار جثة الأميرة فتحية .

وفى التاسعة من صباح اليوم التالى بعدما استيقظ قرر الانتحار فأطلق النار على رأسه من مسدسه الخاص الذى قتل به زوجته فتحية . إلا أنه لم يمت . . بل خرج يستغيث جيرانه وهو ينزف الدم من رأسه فاستعانوا برجال الشرطة الذين أنقذوه من موت محقق . . فى الوقت الذى اكتشفوا فيه جثة زوجته » .

وبعد إنقاذ رياض غالى كما تقول بقية الحكاية التى أخذت تتناقلها الصحف فى كل مكان . . تم سجنه على ذمة المحاكمة . . وبعد عام ونصف من ارتكاب هذه الجريمة ومحاكمته أمام المحكمة العليا الأمريكية . . صدر الحكم فى عام ١٩٧٨ بسجن رياض غالى لمدة ١٥ عاماً . .

• • •

وأوشكت حكاية الملكة نازلى التى عاشت لأكثر من ثمانين عاماً على

الانتهاء . . وقد ظلت معنا ومعكم فوق هذه الأوراق طوال الفصول الثمانية ! . والحقيقة أن الملكة لم تكن بعيدة عن أحداث مقتل ابنتها . . بل لقد كانت تعيش الحكاية لحظة بلحظة . . وإحساساتها التى ماتت بفعل الشيخوخة كانت منقسمة على نفسها ما بين حبها لابنتها التى اغتالتها يد الأقدار . . وحبها لرياض غالى الذى كان يمثل لها كل أيام الخريف . ولم تشعر براحة فى قرارة نفسها إلا حينما رحل رياض غالى والتقى من جديد بزوجته القتيلة الأميرة فتحية بعد ما تم دفنهما سويا بعد انتهاء إجراءات ومراسم الدفن التى أقيمت فى إحدى الكنائس الكبرى .

وبعد رحيل رياض غالى . . ورحيل الأميرة فتحية رحلت الملكة نازلى فى الثانى من شهر يونيه عام ١٩٧٨ . . وكان عمرها آنذاك ٨٣ عاماً . وقد لحقت هى الأخرى بابنتها وزوج ابنتها . . ودفنت كذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية بعد مراسم الدفن التى تمت فى إحدى كنائس ولاية لوس أنجلوس !!! .



الملكة نازلى فى الثوب الملكى الرسمى . . صورة التقطت لها فى عهد إبنها فاروق وبعد رحيل زوجها الملك فؤاد .



لوحة نادرة للملكة نازلى وهى بالتاج الملكى

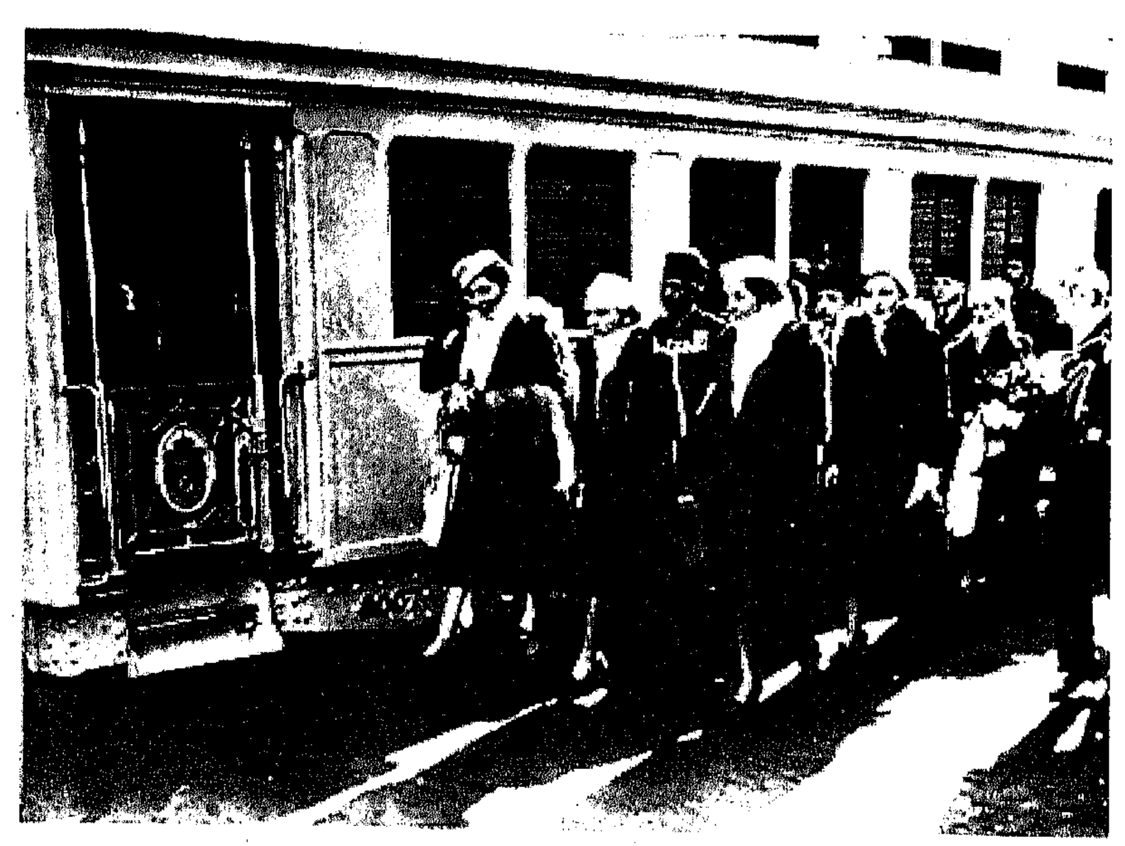


الأميرات الأربعة . . بنات الملكة نازلى فى لقطة تذكارية على إحدى السفن

بعد العودة من إحدى الرحلات



الملكة نازلى وثلاث أميرات بعد زواج إبنتها الأميرة فوزية .



القطار الملكى . . وفى الصورة الملكة نازلى والأميرة فوزية قبل زواجها والأميرة فائزة بزى الخروج الرسمى تصحبهن الوصيفات وحرس الشرف .



الملك فاروق يجلس بجوار أمه الملكة نازلى فى أول رحلة ملكية . . داخل عربة مكشوفة . . ويظهر فى الصورة وراء السائق أحمد حسنين باشا .



الجنرال سليمان الفرنساوى . . أبو العسكرية المصرية الحديثة ، والجد الاكبر للملكة نازلى



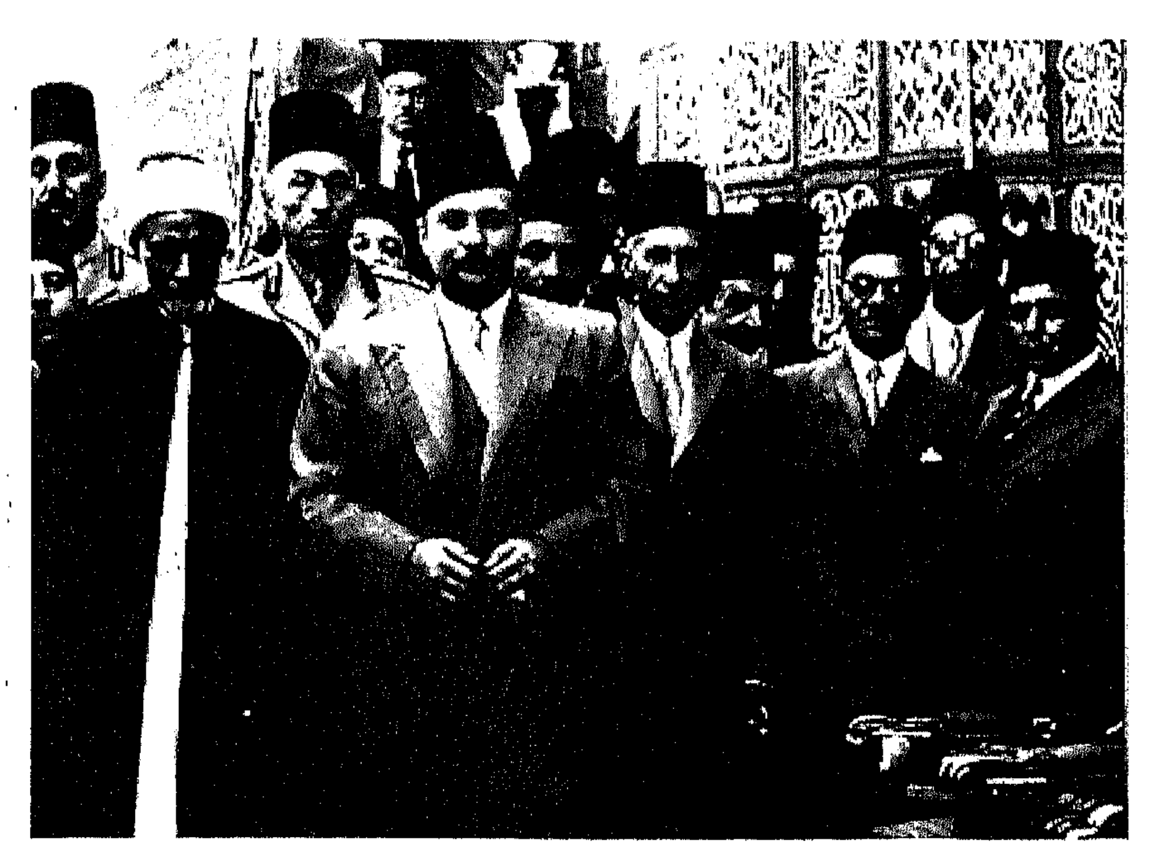
غلاف كتاب يوضح لقطة تضم كل من الوالى محمد على وسليمان الفرنساوى
أثناء تفقدهما أحوال الجيش المصرى .



سعيد زغلول . . أول قصة حب فى حياة نازلى . .



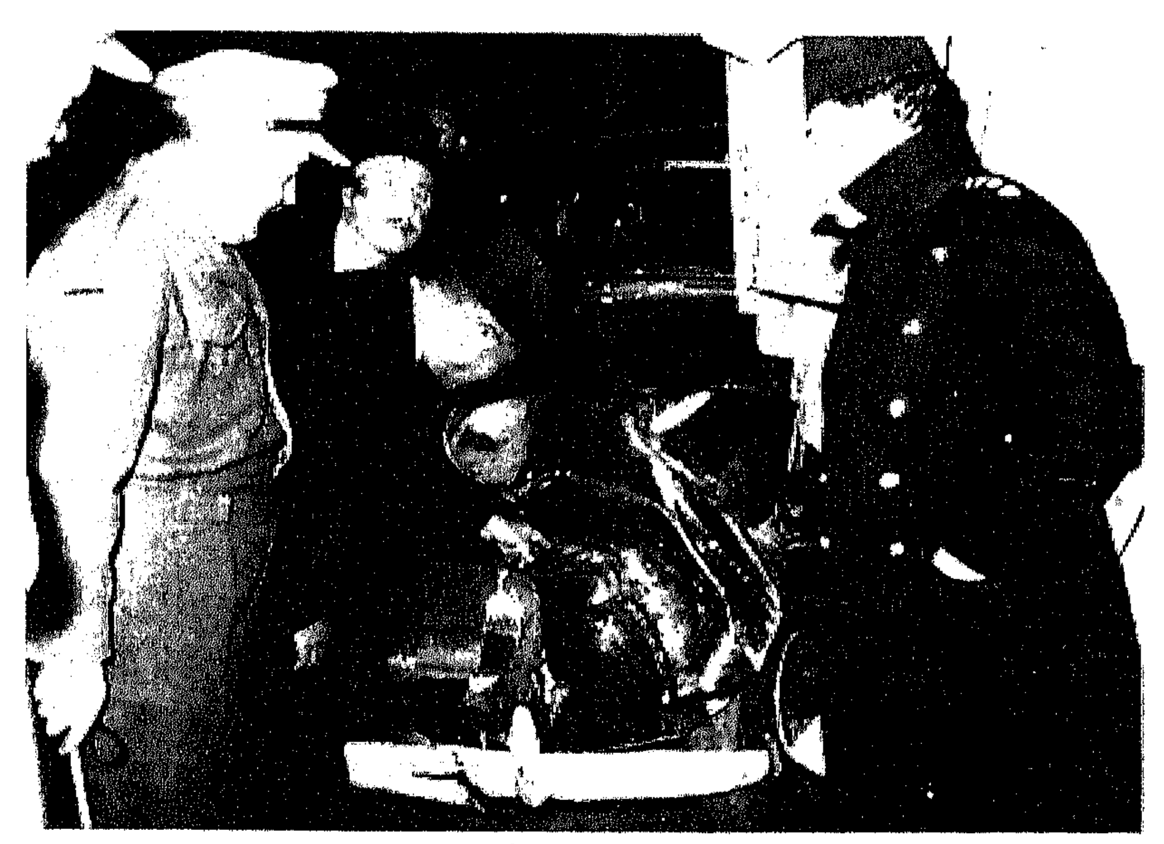
أحمد حسنين باشا فى لقطة تذكارية مع بعض فنانى الأوبرا المصريه ويظهر خلفه الفنان سليمان نجيب
وفى طرف الصورة الفنان عبد الوارث عسر ، والفنان بشارة واكيم وآخرون



العاشقان . . أحمد حسنين وعمر فتحى . . يقفان خلف الملك فاروق . . وبجواره الشيخ المراغى فى إحدى المناسبات الدينية !



الفريق عمر فتحى كبير الياوران . . وأول عشاق الملكة نازلى . . فى صورة عائلية مع زوجته .



قوات من البوليس المصرى تعاين حادث مقتل أحمد حسنين باشا . وتظهر فى الصورة السيارة اللورى الانجليزى . . وسيارة الفقيد فوق كوبرى قصر النيل .



الملكة نازلى ورياض غالى فى أمريكا قبل زواجه من إبنتها الأميرة فتحية



رياض غالى يراقص الأميرة فتحية فى إحدى
الحفلات الخاصة قبل زواجها عام ١٩٥٠



الملكة نازلى ورياض غالى والأميرة فتحية فى حفل خطوبة إبنتها من رياض



الملكة نازلى تحتفل بعيد زواج إبنتها الأميرة فتحية . . وبجوارها زوج إبنتها رياض غالى والشيخ الباكستانى الذى عقد زواجهما .



الملكة نازلى [٨١ سنة] تمشى بين حفيديها من الأميرة فتحية . . وهى فى طريقها إلى الكنيسة التى ستدفن فيها الأميرة فتحية . وتسير خلفها الأميرتان فايزة وفايقة .



جثمان الأميرة فتحية محمول داخل صندوق خشبى فى طريقه للدفن فى إحدى الكنائس الأمريكية !!

الفهـرس

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب مجموعة من الموضوعات المثيرة التى تضمنتها ة
حياة « الملكة نازلى » . . وحكاياتها الغريبة مع عشاقها . . والأدوار ا
لعبتها ـ بشخصيتها الطاغية وسلوكياتها المنحرفة ـ فى الحياة السيا
والاجتماعية أثناء العهد الملكى فى مصر .

ومن الصعب أن تُجمع حكايات امرأة فى مثل جبروت وقوة وذكاء و
الملكة نازلى فى كتاب واحد . . ومع ذلك فقد استطاع الاستاذ « ح
المحلاوى » ـ بما عُرف عنه من قدرة على البحث فى أوراق التاريخ ـ أن يج
لنا كل هذا القدر من المعلومات المستفيضة عن حياة هذه الملكة من صب
حتى رحيلها .

وفى هذا الكتاب الشيّق ، ستتعرف على كل المغامرات التى خاضتها ه
الملكة مع عشاقها . . وعلى قصة حياتها بعد أن تزوجت السلطان أحمد ف
الذى أصبح أول ملك فى تاريخ مصر الحديث . . وكيف فرض عليها ،
الملك أن تعيش فى سجن الحريم . . وكيف عاشت بعد موته حياة معر
دون أن تراعى مسئوليتها تجاه سمعة ابنها الملك فاروق وسمعة عرش مصر
وكيف اضطر ابنها إلى نفيها خارج البلاد وتجريدها من ممتلكاتها وامتياز
. . ثم كيف عاشت فى المنفى حياة تجردت من الضمير والأخلاق . .

« الناشر



الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالخالق ثروت تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣ فاكس ٣٩٠٩٦١٨ برقيا دار شادو ص.ب ٢٠٢٢ القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL LUBNANIAH — PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022 Cairo Egypt PHONE 3936743 3923525 FAX 3909618 CABLE DARSHADO